الحياة الاجتماعية

في الأندلس

الحياة الاجتماعية في الأندلس

خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

تأليف الأستاذ الدكتور

مثنى فليفل سلمان الفضلي

الطبعة الأولى 2015 م

عدد النسخ: 1000

القياس : 17 × 24

عدد الصفحات: 328

التنفيذ والإخراج دار صفحات - سورية

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 0000 لسنة 0000



الحيـاة الاجتمـاعيـة

فـي الأنـدلـس

خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

تأليف
الأستاذ الدكتور
مثنى فليفل سلمان الفضلي

2015

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن سار على خطاه الى يوم الدين.

وبعد:

فالتأريخ علم مبني على عناصر أساسية، شأنه في ذلك شأن أي علم آخر، ويمكن اجمالها بالزمان والمكان والجماعة البشرية التي يعد الفرد فيها محور الأحداث، اذ انه هو الذي يضطلع بها والتي تقع بأجمعها على عاتقه، سواء منها السياسية أم الاقتصادية أم الاجتماعية وما يتشعب عنها، والتي تشكل بأجمعها مفهوم الحضارة.

وعليه فأن التقصي والكشف عن مكنون الجماعة، بما فيها الفرد طبعاً، يعد ضرورياً اذ اننا من خلال ذلك سوف نسهم في تبسيط وتيسير معرفة أسباب الحدث التأريخي سواء الرئيسي أم الثانوي منها، وما قد يترتب على ذلك من نتائج ايجابية كانت أم سلبية، ومن هنا تكمن أهمية بحثنا الموسوم (الحياة الاجتماعية في الاندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين) ، للباحثين في التأريخ الاسلامي.

بالاضافة الى ماتقدم، فأن الكثير من نواحي الحياة الاجتماعية مازالت مجهولة، فالبحث فيها والتحري عن غوامضها، سوف يعطي القاريء الكريم، صورة مشرقة من معالم الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، ونميل الى الاعتقاد ان سبب الغموض هذا يعزى الى ان مفهوم التأريخ لدى بعض المؤرخين، هو عبارة عن تعاقب

الحكومات، واذا ما ألقينا نظرة على الأحداث التأريخية، منذ أن قامت المجتمعات والدول، لأدركنا ان الصراع من اجل السلطة كان هو الغالب في الكتابة التأريخية، ولهذا جاءت مؤلفاتهم وقد صبغت بالصبغة السياسية، متجاهلين في ذلك، البحث عن الأسباب الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفكرية وربما غيرها، مجتمعة أو كل على حدة، والتي تدخل في وقوع هذا الحدث السياسي أو تلك المعركة الحربية.

الفصل الأول

بنية المجتمع الاندلسي

أولا: المسلمون

أ ـ العرب

ب ـ القبائل المغربية

ج ـ الصقالبة

ثانياً: غير المسلمين (أهل الذمة)

أ ـ النصارى

ب ـ اليهود

بنية المجتمع الأندلسي

تمتعت الأندلس بموقع جغرافي مهم، فهي حلقة وصل بين قارتي اوربا وافريقيا[1] وأصبحت مركز استقطاب لموجات بشرية مختلفة الأوطان والأديان كانت تميل الى الاستقرار في بؤرات عمرانية خاصة، الا انه في الوقت نفسه، لايعني عدم وجود تداخل سكاني بين أفراد تلك الموجات التي اندمجت في مجتمع واحد هو المجتمع الأندلسي والذي يمكن تقسيمه من الناحية الدينية الى قسمين:ـ

أولاًـ المسلمون: ويشمل هذا القسم :

أ: العرب

سكنت القبائل العربية في أماكن متفرقة من الأندلس، فبنو عباد الذين يرجع نسبهم الى لخم من ولد النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة في العراق[2] استقروا في أشبيلية، وكانت فيها منازل بني الباجي الذين يعدون من اعيانها[3]،

1- ينظر: الهمذاني، أبو بكر بن محمد، مختصر كتاب البلدان، (ليدن: 1885م)، ص82 المقدسي، محمد بن حامد، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، (لبدن: 1909م)، ص222 – 223.

2- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تح: أ.ليفي بروفنسال، دار المعارف، (مصر 1368هـ / 1948م)، ص398.

3- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، ج1، (بيروت: 1968م)، ص297.

وسكنها أيضاً بنو المغيرة[1] وبنو قيس[2]، أما بنو طاهر فهم قيسيون فقد كانت لهم منازل فيها[3].

وفي مرسيه[4]، "ومن قضاعه من ينتسب الى مهرة كالوزير أبي بكر ابن عامر الذي وثب على ملك مرسيه "[5] وفي ولبة وشلطيش كان البكريون الذين يرجع نسبهم الى ربيعة[6]، أما شنتمريه فقد قطن بها بنو هارون[7]، وفي لبلة استقر بنو يحيى[8]، في حين استوطنت الجزيرة الخضراء ومالقه من قبل بنو حمود[9] والذين يرجع نسبهم الى بني هاشم من قريش[10].

1- ابن حزم، جمهرة، ص84.

2- المقري، نفح، ا/ 291.

3- ابن الاثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التأريخ، مطبعة الاستقامة، ج7، (القاهرة: د.ت)، ص293؛ ابن الابار، أبو عبد الله محمد عبد القاضي الأندلسي، المعجم في أصحاب القاضي الامام ابن علي الصدفي، تح: ابراهيم الايياري، مطبعة روخس، (مجريط: 1885م)، ص151.

4- ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل، المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، ج2 (مصر: د.ت)، ص148؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، تأريخ ابن الوردي، ط2، المطبعة الحيدرية، ج1، (النجف: 1389هـ/ 1969م)، ص459.

5- المقري، نفح، 1/ 297.

6- ينظر: ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: احسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ق4م1، (بيروت: 1398هـ/ 1978 م)، ص324، وما بعدها؛ المقري، نفح، 1/ 292.

7- ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج2، (القاهرة: 1963م)، ص18؛ مجهول، اخبار دول الطوائف بجزيرة الأندلس، (ذيل مشتمل على أوراق مبتورة ملحق بكتاب البيان لابن عذاري)، تح: أ.ليفي بروفنسال، ج3: دار الثقافة، (بيروت: د.ت)، ص 298 – 299.

8- ينظر: مجهول، أخبار، (ملحق بالبيان لابن عذاري)، 3/ 299 – 300.

9- ينظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح: احسان عباس، ط1، (بيروت: 1975م)، ص73 و76؛ عنان، محمد عبد الله، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة:1381ه/ 1961م)، ص45.

10- المقري، نفح، 1/ 290.

أما شلب فقد كان أهلها "وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها" [1] وهم من بني مزين[2] كما كان لهم موضع في شمال قرطبة يعرف بدار بَلَيّ[3].

"وأما المخزوميون فمنهم أبو بكر الأعمى الشاعر المشهور من أهل حصن المدور، ومنهم ...أبو بكر بن زيدون" [4]، وفي سرقسطة كانت بيوتات بني نجيب [5]، وكذلك بنو هود الجذامي[6]، كما كان للأخيرين تواجد في لاردة [7]، ومن ساكني مدينة سرقسطة بني عامر[8] الذين يرجع نسبهم الى الخزرج [9]، وفي قرطبة سكن بنو جهور[10] ونسبهم "الى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان" [11]، وفيها بنو عك الذين كانت ديارهم "بالأندلس معروفة باسمهم في الجوف من شمال قرطبة"[12]، وبنو عمرو بن مالك بن الأوس "ومن بقيتهم بنو ربيع بن محمد... بن المتوكل بن طاهر...، كانوا

1- الحميري، الروض، ص342؛ عنان، الاثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: 1381هـ/ 1961م)، ص402.
2- مجهول، أخبار، (ملحق بالبيان لابن عذاري)، 3/ 312 – 313.
3- ابن حزم، جمهرة، ص415؛ مؤنس، حسين، فجر الأندلس، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، (القاهرة: 1959م)، ص377.
4- المقري، نفح، 1/ 290.
5- ابن حزم، جمهرة، ص94 و404؛ ابن الاثير، الكامل، 7/ 292؛ السامرائي. خليل ابراهيم، علاقة المرابطين بالممالك الأسبانية بالاندلس وبالدول الاسلامية، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، (العراق: 1985م)، ص21.
6- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري، الأكتفا في أخبار الخلفاء، تح: أحمد مختار العبادي، نشر تحت عنوان (تأريخ الأندلس لأبن الكردبوس ووصفه لابن الشباط: نصان جديدان)، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، (مدريد: 1971م)، ص67؛ ابن سعيد، علي بن موسى بن عبد الملك، اختصار القدح المعلى في تأريخ المحلى، تح: ابراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (القاهرة: 1959م)، ص109.
7- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: أ. ليفي روفنسال، دار الثقافة، ج3، (بيروت: د . ت)، ص222.
8- ابن حزم، جمهرة، ص117.
9- ابن حزم، جمهرة، ص346.
10-ينظر: ابن عذاري، البيان، 3/ 185 ومابعدها؛ ابن الوردي، تأريخ، 1/ 485.
11-المقري، تفح، 1/ 298.
12-ابن حزم، جمهرة، ص309.

بقرطبة... في الجانب الشرقي" [1]، ومن استقربها أيضاً بنو خولان[2]، "ومن ولد عباد بن الصامت قوم يسكنون بالمدينة عندنا بباب العطارين بقرطبة، يعرفون ببني هارون"[3]، ومع هؤلاء استوطن بنو زياد وهم من لخم[4]، في حين نرى ان قبيلة قضاعة اليمانية كانت لها بيوتات في أنده[5]، وقوم من القيسيين استوطنوا في شاطبة[6]، كما كانت بجاية مستقراً للعرب[7]، الذين اتخذوا من العربية رباطاً لهم[8]، وهنالك من القهريين ممن سكن في البونت[9]، أما القبائل الهلالية كبني رياح[10] وبني جشم وبني عدي وغير هؤلاء[11]، فقد كانت لهم منازل في مدينتي بلنسية[12] وأشبيلية[13].

1- ابن حزم، جمهرة، ص313.

2- ابن حزم، جمهرة، ص393.

3- ابن حزم، جمهرة، ص335؛ خلاف، محمد عبد الوهاب، قرطبة الاسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي ـالخامس الهجري الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية للنشر، (القاهرة: 1978م)، ص236.

4- ابن حزم، جمهرة، ص397.

5- ابن الابار، اعتاب الكتاب، تح: صالح الأشتر، مطبعة مجمع اللغة العربية، (دمشق: 1380هـ/ 1961م)، ص7.

6- ابن الابار، اعتاب،ص173.

7- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابراهيم اللوفي الطنجي، تحفة الأنظار في غرائب وعجائب الأسفار، بقلم: فؤاد أفرام البستاني، المطبعة الكاثوليكية، ج1، (بيروت: 1927م)، ص11 - 12.

8- ابن الدلائي، أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري، قطعة من: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك)، تح: عبد العزيز الاهواني، = = نشر تحت عنوان (نصوص عن الأندلس)، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، (مدريد: 1965م)، ص86.

9- ينظر: ابن عذاري، البيان، 3/ 215.

10- ينظر: ابن صاحب الصلاة، عبد الملك، تأريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تح: عبد الهادي التازي، دار الحرية للطباعة، (بغداد: 1979م) ص121؛ علام، عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب على عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف بمصر،(القاهرة: 1971م)، هامش (1)، ص22.

11- ابن صاحب الصلاة، تأريخ المن، ص136.

12- البيذق، أبو بكر الضهاجي، أخبار المهدي أبو تومرت وابتداء دولة الموحدين، تح: أ.ليفي بروفنسال، (د م:1928م)، ص127.

13- المراكشي، عبد الواحد، المعجب، تح: محمد سعيد العريان

وأخيراً لابد من القول ان العرب لم يقتصروا في سكناهم على المدن والمناطق السالفة الذكر. بل في طول البلاد وعرضها، غير ان ماتقدم هو ما اسعفتنا به المصتدر التي وقعت بين أيدينا، والتي ذكرت بعضاً من صفاتهم كقول الغرناطي "... وأهلها عرب في الأنساب والعزة والأنفة وعلو الهمة وفصاحة الألسن وطيب النفوس واباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما في أيديهم والنزاهة عن الخضوع"[1].

أما ابن الآبار فقد ذكر ان أهل بلنسية يتحلون بأخلاق عربية تتصف بالكرم وطيب النفوس[2].

على ان هذه الصفات هي صفات عامة لدى المسلمين في كل أرجاء المعمورة، ومنها الأندلس.

ب ـ القبائل المغربية

يعد المغرب العربي الموطن الذي انطلقت منه معظم القبائل المغربية نحو الأندلس، منذ أن فتحت، ولذا أطلق عليهم بعض المؤرخين اسم (المغاربة)[3]، وقد استوطنت هذه القبائل مختلف المناطق الأندلسية حيث لعبت دوراً بارزاً في أحداث

1- المراكشي، عبد الواحد، المعجب، تح: محمد سعيد العريان، اشراف: محمد توفيق عويضة، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، (القاهرة: 1383هـ / 1963م)، ص793 - 295؛ ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تأريخ ابن الفرات، نشر وتحرير: حسن محمد الشماع، مطبعة دار الطباعة الحديثة، م4 ج2، (البصرة: 1389هـ / 1969م)، ص127.

2- محمد بن أيوب بن غالب، فرحة الأنفس في تأريخ الأندلس (نص أندلسي جديد)، تح: لطفي عبد البديع، مطبعة مصر، (د م: 1956م)، ص12؛ أبو زهرة: محمد، ابن حزم حياته وعصره - اراؤه الفقهية، ط2، مطبعة أحمد علي، (د - م: 1393هـ / 1954م)، ص108 - 109.

3- ابن بلقين، عبد الله بن بلقين بن باريس، التبيان، تح: أ.ليفي بروفنسال،نشر تحت عنوان (مذكرات الأمير عبد الله)، دار المعارف بمصر، (باريس: 1955م)، ص58 و60 و61 و150؛ المراكشي، المعجب، ص115؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني، أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام، تح: أ.ليفي بروفنسال، نشر تحت عنوان (تأريخ أسبانيا الاسلامية)، ط2، دار المكشوف، (بيروت: 1956م)، ص227.

البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الا ان دورهم برز بشكل واضح منذ أوائل القرن الخامس الهجري -الحادي عشر الميلادي - ولاسيما بعد انخراط عقد الدولة الأموية وقيام دويلات الطوائف، ففي قرطبة استوطن عدد كبير من هذه القبائل[1]، وبدعمهم وتأييدهم تمكن الخليفة سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين من دخول قرطبة في ربيع الآخر عام (400هـ/ 1009م)[2]، ولهذا كافأهم "... فأعطى صنهاجة البيرة ... وأعطى مغراوة الجوف واعطى منذر بن يحيى سرقسطة وأعطى بني برزال وبني بفرن جيان وذواتها وأعطى بني دمَّر وأزداجة شذونة ومورور وغير ذلك من الحصون"[3].

غير ان ضياع وحدة الأندلس وضعف السلطة المركزية، مكن القبائل المغربية من الاستحواذ على الكثير من الكور في الأندلس[4]، وذلك بعد أن قتلوا الخليفة المستعين في عام (407هـ/ 1016م)[5].

فبنو يرتيان استوطنوا في اركش[6]،والى جانب مدينة جيان استقربنو يفرن في كل من تاكرنا[7] ورنده[8]، وفي قرمونة سكنت بعض قبائل بني برزال[9]، أما بنو

1- ينظر: ابن عذاري، البيان: 3/ 51 و95.
2- ينظر: ابن الخطيب، اعمال، ص13 - 15، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ق1 م4، (بيروت: 1958م)، ص325 - 326.
3- ابن عذاري، البيان، 3/ 113 .
4- ينظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ط2، دار الآفاق الجديدة، (بيروت: 1978م)، ص31.
5- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 41 - 42؛ ابن خلدون، العبر، ق1 م4/ 328.
6- ابن عذاري، البيان، 3/ 271؛ مجهول، اخبار، (ملحق بالبيان لابن عذاري)، 3/ 294 و 313.
7- ابن عذاري، البيان، 3/ 368.
8- مجهول، أخبار، (ملحق بالبيان لابن عذاري)، 3/ 312 - 313؛ عنان، دول الطوائف، ص46 - 47 و150 - 151.
9- ابن عذاري، البيان، 3/ 267 وما بعدها؛ عنان، دول الطوائف، ص146 - 149.

ذو النون فكان مستقرهم في طليطلة[1]، واستوطن بنو زاوي في البيرة وحصن آشر، أما بنو حبوس فكانت لهم منازل في جيان[2]، وفي حصن جريشة كان بنو تاقنوت[3]، في حين نرى بني صمادح قد استقروا في المرية[4]، وقد شاركهم في السكن بنو النتي[5]، وفي بطليوس كان بنو الأفطس[6]، أما في السهلة فقد نزلها بني رزين[7].وفي غرناطة كان هناك منازل بني زيسرى[8]. هذا وقد اسهب ابن حزم في ذكر منازل القبائل المغربية في الأندلس[9].

على ان اعداد هذه القبائل اخذت بالازدياد خلال سيطرة دولة المرابطين ومن بعدهم الموحدين على الأندلس، بسبب اعتمادهم عليهم لأنهم أبناء جلدتهم، اذ ان

1- ينظر: ابن الأثير، الكامل، 7/ 292؛ المراكشي، المعجب، ص125؛ القلقشندي، أحمد بن عبد الله، مآثر الاناقة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد، ج1، (الكويت:1964م)، ص354.

2- ابن بلقين، التبيان، ص19.

3- ابن بلقين، التبيان، ص96.

4- ينظر: ابن الخطيب، أعمال، ص189 ومابعدها؛ القلقشندى، صبيح الأعشى في صناعة الانشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، مطابع كوستاتسيوماس وشركاؤه، (القاهرة: د – ت)، ص254؛ ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، تح: محمد شما، ط3، مطبعة: الرائد الرسمي، (تونس: 1387هـ/ 1967م)، ص101.

5- ينظر: ابن الابار، المعجم، ص205؛ المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: احسان عباس، ط1، دار الثقافة، سفر4، (بيروت: 1973م)، ص181 وهامشها رقم (1).

6- ينظر: ابن الكردبوس، الاكتفا، ص67؛ الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، ج2، (الدار البيضاء: 1954م)، ص31؛ ابن خلدون، العبر، ق1 م4/ 328.

7- ينظر: ابن خاقان، أبو نصر الفتح، قلائد المقيان ومحاسن الاعيان، تح: حسن يوسف خربوش، ط1/ مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، ق1، (الأردن: 1409هـ/ 1989م)، ص157؛ ابن الأثير، الكامل، 7/ 293؛ ابن عذاري، البيان، 3/ 307 ومابعدها.

8- ينظر: ابن عذاري، البيان، 3/ 363 ومابعدها؛ أبو القداء المختصر، 2/ 148؛ ابن أبي دينارة المؤنس، ص100.

9- ينظر: جمهرة، ص463 – 464؛ مجهول، مفاخر البربر، تح: أ.ليفي بروفنسال، المطبعة الجديدة، (رباط الفتح: 1352هـ/ 1934م)، ص78 – 80.

عصبتهم القبلية كانت في أوجها، وفي هذا يقول ابن خلدون "... بالعصبية وما يتبعها من شدة البأس" [1]، فلاينفرد ولي الأمر دون قومه بشيء حتى يتمكن ويسيطر عندما يبدأ بالانفراد عن قومه[2].

فقد كانت النسبة السكانية لهذه القبائل مع غيرهم في الأندلس، خلال فترة حكم الدولتين الانفتي الذكر، أربعاً من القبائل المغربية الى ستٍ من الأندلسيين[3]، بعدما كانت، خلال عصر الطوائف، على حد قول ابن الخطيب "... نصف المعاشر أو أقل"[4].

على ان أسباب هذه الزيادة تعود الى:

1 ـ استمرار الهجرة من المغرب الى الأندلس بعدما وجد ذووهم الذين سبقوهم اليها، طيب العيش وكثرة الخيرات وجمال الطبيعة.

2 ـ كونهم قد أصبحوا سادة البلاد وحكامها وبالذات في عصري المرابطين والموحدين الأمر الذي شجع هذه القبائل على البقاء في الأندلس بعد عملية الجهاد ومن ثم استدعاء ذويهم الذين بقوا في مواطنهم[5].

3 ـ الخلافات السياسية التي حدثت في المغرب العربي حيث تعاقبت على حكمه دول عدة[6].

1- المقدمة، مطبعة: مكتبة المثنى، (د – م: د – ت)، ص172.

2- ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص175.

3- ابن عبدون، محمد بن أحمد، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، (ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب)، تح: أ.ليفي بروفنسال، مطبعة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة 1955م)، ص29.

4- أعمال، ص227.

5- ينظر: المراكشي، المعجب، ص224؛ ابن عذاري، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، نشر: أميروس هوبيسي مرندة واخرون، دار كريماديس للطباعة، (تطوان: 1966م)، ص105 – 106.

6- ابن عذاري، البيان، تح:احسان عباس، دار الثقافة، ج4، (بيروت: 1967م)، ص98؛ موسى، عز الدين، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، (بيروت: 1403هـ/ 1983م)، ص85.

ومن خلال التوزيع الجغرافي للقبائل المغربية يتبين لنا انهم قد تمركزوا في الأجزاء الجنوبية والجنوبية الغربية من الأندلس، ويمكن تعليل ذلك بـ:

1 ـ قرب هذه الأجزاء الأندلسية من مواطن هذه القبائل (العدوة المغربية).

2 ـ تشابه الظروف البيئية بين المنطقتين.

وأخيراً لنا أن نقول بأن هذه القبائل كانت تجيد اللغة العربية الفصحى لأنه لغة السياسة ولغة العلم فضلاً عن كونها لغة الدين الاسلامي، ولنا في الموروث الحضاري لهؤلاء الشيء الكثير، منها على سبيل المثال لا الحصر، جملة من الوثائق التأريخية التي تعود في فترتها الى الدولتين المرابطية والموحدية، كانت قد كتبت بلغة عربية فصحى، تميزت باسلوبها الادبي الرفيع المستوى[1].

والى جانب اللغة العربية الفصحى نلاحظ وجود لهجة عامية، فهذا علي بن حمود (ت 408هـ/ 1017م)[2]، كان يتكلم بلسان زناقة، وهي احدى القبائل المغربية[3]، أما يوسف بن تاشفين فقد كان له "... كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية"[4]، على ان ورود كلمة اللغة المرابطية، يراد بها اللهجة الدارجة التي يتكلم بها المرابطون، وفي هذا الاتجاه أورد الونشريسي مسألة، فيمن لايجيد اللغة العربية فهل له أن يدعو الله تعالى بالمغربية في الصلاة؟ فما كان جوابه الا أن يقول بأن الله عالم بكل لغة[5]، ولابد لنا في وقفة نشير بها، بأن الجواب

1- ينظر: عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ق1، (القاهرة: 1383هـ/ 1964م)، ص530 - 561، بروفنسال، أ.ليفي، مجموع رسائل موحدية في انشاء كتاب الدولة الدولة المؤمنية، مطبوعات معهد العلوم العليا، (الرباط: 1941م)، ص1 ومابعدها.

2- ابن عذاري، البيان، 4/ 119 - 120؛ ابن الخطيب، أعمال، ص129.

3- ابن الخطيب، أعمال، ص121.

4- ابن عذاري، البيان، 4/ 113؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس مطبعة الغريب، ج7، (بيروت: د - ت)، ص114.

5- أحمد بن يحيى المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، اخرجه: جماعة من العلماء، باشراف: محمد حجي، ج1، (بيروت: 1401هـ/ 1981م)، ص186.

بالايجاب كان يخص الدعاء فقط، وهو مستحب، وليس من الأركان الأساسية للصلاة.

ج-الصقالبة

هم "جيل حمر الألوان صهب الشعور" [1]، وأغلبهم يجلبون من جهة جليقية وافرنجة وانكبردة وقلورية وبلغاريا[2]، وهذه الأماكن واقعة في شمالي أسبانيا.

وعرف الصقالبة بأسماء شتى كالمماليك[3] وبالخرس[4]، وبالعلوج[5]، وبالموالي العامريين[6]، وبالفتيان العامريين[7] وبالخلفاء الأكابر[8]، على ان الاسمين الأخيرين اطلق عليهم بعد ان تمكنوا من السلطة، اذ كان لهم سطوة ومنزلة في حكم الخليفة هشام المؤيد، ولأجل الحد من ذلك نجد ان الحاجب ابن أبي عامر المنصور قد نكل بهم[9].

وبانقراض الدولة العامرية بالأندلس وتولي سليمان بن الحكم (المستعين) الخلافة الذي بدخوله قرطبة، أخذ يقتل من فيها من الصقالبة، حيث استطاع بعضهم الافلات والالتحاق بشرق الأندلس، فكان منهم خيران العامري الذي كاتب جماعته

1- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب: مطابع: كوستاتسوم وشركاءه، (القاهرة: د – ت)، مادة (صقلب).

2- ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات: دار مكتبة الحياة، (بيروت: د. ت)، ص106.

3- ابن الأثير، الكامل، 5/ 101؛ ابن خلدون، العبر، ق1 م4/ 272.

4- ابن الأثير، الكامل، 5/ 302؛ ابن سعيد، علي بن موسى واسرته، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ط2، دار المعارف بمصر، ج1، (القاهرة: 1964م)، ص39؛ ابن خلدون، العبر، ق1 م4/ 277.

5- ابن عذاري، البيان، 3/ 162.

6- ابن الخطيب، اعمال، ص194 و 217.

7- ابن الخطيب، أعمال، ص193 و216 و222.

8- ابن الخطيب، أعمال، ص60.

9- ينظر: ابن الخطيب، أعمال، ص 61 و77.

يسألهم العون[1]، والذي تمكن من السيطرة على اوريلة وتدمير بعد أن اخرج منها القبائل المغربية عام (403هـ/ 1012م)، كما تولى أمر المرية وأعمالها[2]، عند ذلك انضم (البيه جميع فتيان محمد بن أبي عامر، فحولهم وخصيانهم" [3]. أما مبارك ومظفر العامريان اللذان انتهزا سوء الأوضاع السياسية فاستوليا على مدينتي بلنسية وشاطبة فلحق "بهم لأول أمرهم من موالي المسلمين ومن أجناس الصقلب والافرنج والبشكتس عشيرتهم ودربوا على الركوب حتى تلاحق ببلنسية ونواحيها من هؤلاء الأصناف فوارس... اذ نزع اليهم كل شريد طريد وكل عاق مشاق" [4].

في حين استطاع مجاهد العامري أن يستولي على دانيه والجزائر الشرقية في سنة (406 أو407هـ/ 1015 أو1016م)[5]، وفي طرطوشة ظهرت دولة تولى أمرها نبيل الصقلبي[6]. على ان تأسيس مثل هذه الدول في شرق الأندلس ربما يعود لأسباب منها:

1 ـ تولي بعضهم ولاية كورة أو مدينة ما في ذلك الجزء الأندلسي قبيل فترة الفتنة أو اشغالهم مناصب مهمة، وعند وقوع الفتنة التي نتج عنها فراغ سياسي وضياع السلطة المركزية مما يدفع بهؤلاء الى الاستحواذ على مابيدهم[7].

1- ابن الخطيب، أعمال، ص210 – 211.

2- ينظر: ابن الدلائي، ترصيع، ص16 و83؛ المراكشي، المعجب، ص127؛ العبادي، أحمد مختار عبد الفتاح، الصقالية في أسبانيا لمحة عن أصلهم، نشأتهم، علاقتهم بالحركة الشعوبية، مطابع المعهد المصري للدراسات الاسلامية، (مدريد: 1373هـ/ 1953م)، ص18.

3- ابن عذاري، البيان، 3/ 166.

4- ابن عذاري، البيان، 3/ 160.

5- ابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف، بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذهن والهاجس، تح: محمد مرسي الخولي، دار الجيل للطباعة، ق1، (د – م: د – ت)، ص 11 – 12؛ ابن الأثير، الكامل، 7/ 293؛ أبوالفيدا، المختصر، 2/ 148.

6- المراكشي، المعجب، ص124؛ ابن الخطيب، أعمال، ص226؛ الصوفي، خالد، تأريخ العرب في أسبانيا، ط1، دار الشرق، (حلب: د – ت)، ص88.

7- ينظر: ابن حزم، الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل اخرى، تح: احسان عباس، مطبعة المدني، (مصر: 1380هـ/ 1960م) ص29؛ ابن خلدون، العبر، ق1 م4/ 336.

2 ـ العداوة والشحناء اللتان برزتا خلال فترة الفتنة بين سكان الأندلس، دفعت بكل مجموعة الى أن تتوجه الى أبناء جلدتهم لتجد فيهم القوة والسند لتقوى بهما سلطتهم في تلك الأماكن التي توجهوا نحوها، على الرغم من افتقاد الصقالبة للعصبية والسبب يكمن، كما أرى، في منشأهم واصولهم المختلفة بدليل ما قاله كل من جعفر الخصي ولبيب حينما داهم الجيش المرابطي مدينة غلاناطة، بأننا "... لا ولد لنا ولا تلد! أفعلى أي شيء نصير على القتال؟ وما عسى أن نطمع أن نصير اليه: هل يجعل بنا سلطة أو قيادة أو قضاء أو فقه، انما نحن بمنزلة العيال" [1].

لذا فمن حق ابن عذاري أن يستغرب لما وصل اليه هؤلاء ومنهم مظفر ومبارك فتراه يقول انهما من "غرائب الليالي والأيام، اللاعبة بالأنام" [2]. ومن "حجج الله تعالى في القسم البالغة الدالة على هوان الدنيا عنده اذ انالهما منها بحبوحة أضحت أبصار أولى النهى نحوها شاخصة وقلوب فيهامسلمة لمن له الحول والقوة" [3]. هكذا خدمتهم الظروف في تحقيق أهدافهم.

لقد اتصف البعض منهم بصفات ذميمة أثبتتها الوقائع التأريخية، حتى صار بعضها أمثالاً عامية تداولتها الألسن على مرور الزمن، ومن صفاتهم تلك المكر وعدم الوفاء، فبعدما كانوا من مساندي علي بن حمود[4]، والذي اجتمع بهم في المرية عام (405هـ/ 1015م)[5] اذ تمكن من امتلاك قرطبة عام (407هـ/ 1017م)[6]، نرى ان ثلاثة من الصقالبة هي (منحج ولبيب وعجيب) قد قتلوه في حمام قصرة

1- ابن بلقين، التبيان، ص151.
2- البيان، 3/ 158.
3- ابن عذاري، البيان، 3/ 162.
4- ينظر: ابن عذاري، البيان، 3/ 119 ومابعدها؛ ابن الخطيب، أعمال، ص128 ومابعدها.
5- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 97؛ أبو القدا، المختصر، 2/ 145.
6- ابن عذاري، البيان، 3/ 120 – 121؛ النويرى، شهاب الدين أحمد بن الوهاب، نهاية الارب في فنون الأدب، تح: أحمد كمال زكي، مطابع الهيئة المصرية العامة، ج23، (د – م: 1980م)، ص431.

عام(408هـ/ 1018م)[1]، وقبل ذلك تطاولوا وقتلوا الخليفة الأموي محمد بن هشام (المهدي) ليبايعوا الخليفة هشام بن الحكم (المؤيد) وذلك عام (400هـ/ 1009م)[2].

كما اتصفوا بالفضاضة والجفاء والخشونة، الأمر الذي جعلهم محل كراهية وسخرية فجاء من الأمثال العامية ما تقول "القطم[3] فارض[4] الصقالبة"[5] و "أجفى من خصي"[6]. ومن صفات بعض من تولى أمر مدن أندلسية، هي ظلم الرعية، فهذا ابن عذاري أورد خبرا عن مظفر ومبارك اللذين كانا بلنسية وشاطبة، يؤكد ذلك، اذ قال "وبلغت جبايتها لأول ولايتهما الى مائة وعشرين ألف دينار في الشهر... يستخرجونها بأشد العنف من كل صنف حتى تساقطت الرعية وجلت أولاً فأولا وخربت أقاليمهم"[7]. ولربما على أثر ذلك اطلقت العامة قولها "اذا ريت لحياني يهرب، ادر ان اشكر[8] وراه"[9].

لقد كان لفقد ان العرب السلطة المركزية، وما أصابهم من ضعف خلال فترة دول الطوائف، نتائج كان من ضمنها ظهور الحركة الشعوبية[10] التي برزت في فترات

1- ابن عذاري، البيان، 3/ 122؛ ابن الخطيب، أعمال، ص129.
2- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 45؛ ابن الابار، الحلة، 2/ 7.
3- القطم: الصغير. ينظر: ابن منظور، لسان، مادة (قطم).
4- فارض: الضخم في الهيئة. ابن منظور: لسان، مادة (فرض).
5- الزجالي، أبو يحيى عبد الله بن أحمد، أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس، ق1: (فاس: 1395ه/ 1975م)، ص214.
6- الزجالي، أمثال، 1/ 215.
7- البيان، 3/ 160.
8- اشكر: ((ضرب من الادم أبيض)). ابن منظور، لسان، مادة (شكر).
9- الزجالي، أمثال: 1/ 215.
10- الشعوبية: هي حركة فكرية اجتماعية قامت بها جماعات غير عربية، بهدف ضرب الكيان العربي من خلال ارثه الحضاري ومحاولة التشكيك بدور العرب التأريخي والاستهزاء بالقيم والمثل العربية مقابل الاعتزاز بالارث الحضاري الأعجمي والتمجيد بالقيم غير العربية، وقد حملت هذه الحركة شعار العدل والتسوية لتتستر به أول أمرها عندما كان سلطان العرب لايزال قوياً، ينظر: ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد، العقد الفريد، تقديم: خليل شرف الدين، ط1، دار مكتبة الهلال، ج3، (بيروت: 1986م)، ص123؛ فوزى، فاروق عمر، التأريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، مؤسسة المطبوعات العربية، ط1، (بيروت: 1400هـ/ 1980م)، ص153؛ طه، عبد الواحد ذنون، (الدس الشعوبي في الأندلس وموقف العرب في مجابهته)، وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، ج2، (بغداد: 1410هـ/ 1989م)، ص393.

سبقت فترة بحثنا والتي كانت عبارة عن مماحكات قائمة على العصبية بين العرب والمولدين، الا انه في فترة دول الطوائف نراها قد ظهرت بشكل واضح وعلني، وقد تمثلت بكتابة مؤلفات كالذي كتبه حبيب الصقلبي تحت عنوان (الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة) ذاكرا فيه جملة أشعارهم ونوادر أخبارهم[1]، ومن هذا العنوان الذي وضعه المؤلف يتضح لنا التفاخر والاستعلاء على العرب في المجال الأدبي، فها هو ابن بسام يقول بأن الاشعار الواردة فيه "خارج عن شطرنا وليس جمعنا"[2].

كما تمثلت الحركة الشعوبية بكتابة رسائل نثرية، ومنها تلك التي كتبها الشعوبي ابن غرسية البشكنسي، الذي عاش في كنف مجاهد العامرى حيث يعده ابن بسام من عجائب دهره وغرائب عصره، فقد ناصب العرب والاسلام العداوة، فطعن بهما طعوناً كثيرة[3] في جوانب عدة ومنها الجانب الاجتماعي الذي هو محور اهتمامنا في هذه الرسالة وعلى النحو الاتي:ـ

1. التعريض بقبائل العرب والانتقاص من مكانتهم والازدراء بهم، بقوله "... كأن مافي الأرض انسان الا من غسان، أول من آل ذى غسان" [4].

2. هاجم الغاسق اللعين النسب العربي بقوله "... والكرام بنو الأصفر، الأطهر الأظهر، عطفتهم [عليكم] الرحم الابراهيمية، والعمومة الاسماعيلية" [5]، ويؤكد ذلك بقوله "... كلن الفخر بابن عمنا، الذي بالبركة عمنا، الاسماعيل الحسب الابراهيمي النسب..." [6].

1- ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 34؛ ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، نشر وتصحيح: عزت عطار الحسيني، مطبعة السعادة، ج2، (القاهرة: 1375ه/ 1956م)، ص757؛ العبادى، الصقالية، ص14.

2- الذخيرة، ق4 م1/ 34.

3- ينظر: الذخيرة، ق3 م2/ 704؛ ابن سعيد، المغرب، 2/ 406ـ 407؛ البلوى أبو الحجاج يوسف بن محمد، ألف باء، المطبعة الوهبية، ج1، (بولاق: 1287ه/ 1870م)، ص350؛ العبادى، الصقالية، ص27.

4- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 705.

5- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 711.

6- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 712.

3. نرى ان ابن غرسيه يأخذ على ابن الخراز ادعاء النسب الى قبائل اليمن عند الاضطرار الى ذلك فيقول "... ولو ان القوم خلطوك بالآل، لما الجأوك الى الخبط في الآل. مه مه ... على من اخطرك الى الايغال، وباعك بيع المسامح بك لا المقال..."[1].

4. اتسع مفهوم العجم عند ابن غرسيه ليشمل قومه الروم أو بنى الأصفر فتراه يفتخر ويعتز بالعجم وان العرب هم دون الأكاسره والقياصره ذوى العزة والمنعه فيقول "... احسبك ان أزريت، وبهذا الجيل النجيب ازدريت، ومادريت انهم الصهب الشهب، ليسوا بعرب، ذوى اينق جرب، [بل هم]، القياصرة الاكاسرة" [2].

5. نراه قد طعن بطبيعة معيشة العرب، فعاب عليهم رعيهم الابل وحلبهم للماعز، مفتخراً بالعجم فوصفهم بصفات هي اليق وبالعرب الصق فقال "مجد نجد: بهم لا رعاة شويهات ولا بهم، شغلوا بالماذى والبعران، عن رعي البعران، وبحلب العزّ، عن حلب المعز"[3].

6. كما انه أعاب العرب سكناهم البادية والجزيرة العربية وجعلهم عبيداً لقومه حيث قال "... أنتم ارقاؤنا وعبدتنا، وعتقاؤنا وحفدتنا، مننا عليكم بالعتق، ...فغمطتم النعمة، فصفعناكم صفعاً... اضطركم الى سكنى الحجاز، وألجأكم الى ذات المجاز"[4].

7. ولم يزل اللعين يعرض بالعرب ويصفهم بالتراكض وراء النساء ومعاقرة الخمر، فسلب بذلك منهم كل فضيلة ومزيه كانت لهم ومازلت فيهم[5]، ومايزال السفيه يعيب على العرب طبيعة اكرامهم للضيف، كما ويذكر لباسهم بسوء كونه مصنوع من صوف النعاج مقابل السندس والاستبرق الذي يرتديه الاعاجم، كما انه فخر بطيب

1- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 705 - 706.

2- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 706؛ طه، (الدس)، 2/ 404.

3- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 706.

4- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 707.

5- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 709.

طعام قومه وشرابهم منتقصاً من العرب سكناهم بيوتاً من شعر، وانهم لم يكن فيهم من شبع بطنه فضلا عن رداءة ما يأكلون بذكره "لا محرقوا جلةٍ، بدس، غنوا بالاستبرق والسندس، عن البت المقيض المشت، المجموع من النعيجات... طعامهم الخنيذ، وشرابهم النبيذ... ولا أوطنوا بيوت الشعر، ولا غنوا عن الحطب بالجلة والبعر..." [1].

ان هذا الهجوم القوي والجرأة التي اتصف بها ابن غوسيه بحملته على العرب في جوانب حياتهم الاجتماعية، ناسيا اليهم كل مثلبة ومنكرا عليهم كل منقبة، ما هي الا شاهد على ازدياد نفوذ وسيطرة الصقالبة في الأجزاء التي استحوذوا عليها، كما ويبدو ان العرب المسلمين اهل ذلك الزمان كيف استقروا على هذه الفتن واقروا هذا ... أم كيف أبلعوه ريقه وأوسعوا له طريقه ولم يهلكوه وفريقه" [2].

غير ان هذه الرسالة الشعوبية قد اثارت حفيظة بعض الكتاب العرب المسلمين الذين كانت لهم ردود فعل قوية تميزت باسلوب أدبي رفيع جداً وبحجج وبراهين تدحض كل الذي جاء به ابن غرسيه[3].

وأخيراً نود أن نقول بأن عيشهم في كنف الدولة العربية الاسلامية، وما اتصف به المسلمون من روح تسامحية، جعل الصقالبة يأخذون بسهم وافر من العلوم العربية والاسلامية مماهيأ الفرصة لكثير منهم للبروز في مجالات عدة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، أبا يحيى المعروف بابن القلاس (ت422هـ/ 1030م) الذي يعد من أهل

1- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 710.

2- الف باء، 1/ 353.

3- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 715 - 756؛ الجزار السرقسطي، أبو بكر بن محمد، روضة المحاسن وعمدة المحاسن، تح: منجد مصطفى بهجت، مطبعة: المجمع العلمي العراقي، (بغداد: 1409هـ/ 1988م)، ص44 - 55 و 174 - 175؛ طه، (الدس)، 2/ 407 - 411؛ عبد القادر، علي، (حول رسالة ابن عامر احمد بن غرسيه)، وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبي، ج2(بغداد: 141ه/ 1989م)، ص424 - 425؛ عباس، احسان، تأريخ الأدب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط1، دار الثقافة، (بيروت: 1962م)، ص174 - 176؛ هارون، عبد السلام، نوادر المخطوطات، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، المجموعة الثالثة، (القاهرة: 1373هـ/ 1953م)، ص236 - 240و 256 - 330.

العلم والورع والزهد وله مؤلف (سبل الخيرات في الوصايا والمواعظ والزهد والرقائق"[1].
أما ابو القاسم خلف البريلي (ت433هـ/ 1051م) فقد كان فقيها حافظا للمسائل وله مختصر في المدونة جمع فيه أقوال أصحاب مالك[2]، وممن رحل حاجاً وسمع العلم هو لبلب الفتى (ت460هـ/ 1067م)[3]، أما مجاهد العامري قله كتاب في العروض[4].

ثانياً ـ غير المسلمين (أهل الذمة):

أ ـ النصارى

اطلقت لفظة (روم) على اولئل النصارى الذين بقوا تحت ظل الحكم النصراني والذين يدخلون دار الاسلام محاربين كانوا أم تجاراً[5]، أما الذين فضلوا العيش تحت الحكم الاسلامي فقد عرفوا بأسماء منها (الروم البلديون)[6] و (الروم المعاهدة)[7]

1- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة، نشر وتصحيح: السيد عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة، ج2، (القاهرة: 1374ه/ 1955م)، ص628 - 629.
2- ابن بشكوال، الصلة، 1/ 116؛ المتوني، محمد (ثقافة الصقالبة في الأندلس)، مجلة أوراق، اصدار المعهد الاسباني العربي الثقافي، ع5 - 6(د - م: 1982 - 1983م)، ص27.
3- ابن بشكوال، الصلة، 1/ 451؛ خلاف، قرطبة، ص256.
4- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس وأسماء رواة الحديث واهل الفقه والادب وذوي النباهة والشعر، تح: محمد بن تاوييت الطنجي، مطبعة السعادة، (مصر: 1371هـ)، ص331 - 332.
5- ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص72 و73 و123؛ المراكشي، المعجب، ص322؛ البيذق، أخبار، ص96 و124؛ ابن عذاري، البيان، 4/ 40؛ ابن أبي ذرع، أبو الحسن علي بن عبد الله، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتأريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، (الرباط: 1973م)، ص212 و225 و227 و228 و229.
6- ابن عذاري، البيان، 4/ 39.
7- ابن الابار، المعجم، ص155؛ ابن عذاري، البيان، 4/ 70؛ الونشريسي، المعيارظن 2/ 151.

و(المعاهدة)[1] و (بالنصارى المعاهدين)[2] وهذا الأخير هو أكثر الأسماء شيوعاً واستعمالاً.

على ان ابن سعيد انفرد بذكر رواية سماهم فيها المسيحيين حيث قال "... ان الأندلس لم تكد تدخل القرن الرابع الهجري حتى كان أهلها المسيحيون قد هجروا اللغة اللاتينبة في طقوسهم الدينية واتخذوا اللغة العربية مكانها، فالعرب لم يدخلوا بلداً الا وفرضوا لغتهم عليه دون عمد وذلك بفضل ماكانوا يحملونه في صدورهم من آى الذكر الحكيم وعيون الشعر العربي" [3].

ان ماقصده ابن سعيد في هذا النص هم المستعربون، حيث جاءت هذه التسمية في عدة وثائق منها، تلك التي جاءت على لسان اسقف طليطلة سمنينون الذي قال:

"... Ergo ejusomodi hominess quod arabibus permixi viverent viverent mistarabes appelati sun tent illorem ecclesia aticas ritus officiam mistarabum..."

"... ولهذا يسمى الناس الذين عاشوا مع العرب وطقوسهم المكتسبة تسمة الطقوس المستعربية..." [4]

وتأكيداً على ما تقدم نذكر وثيقة صادرة في الامبراطور الفونسو السابع بتأريخ (512هـ/ 1118م) جاء فيها: "quos vacabent mazarabe" وترجمتها "وهؤلاء هم الذين يسمون بالمستعربين"، ووثيقة أخرى وهي عبارة عن خطاب من البابا بوجين الثالث موجها الى أهل قرطبة في عام (540هـ/ 1146م) جاء فيه

1- ابن عذاري، البيان، 4/ 70 و71.

2- ابن عذاري، البيان، 4/ 40.

3- رايات المبرزين وغايات المميزين، تح: النعمان عبد المتعال القاضي، مطبعة الاهـرام، (القاهرة: 1393هـ/ 1973م)، ص8.

4- مؤنس، فجر، ص427؛ فلسطين، لويس، (ثمالة المستعربين في اسبانيا)، مجلة المورد، ع3، (العراق: 1393هـ/ 1973م)، ص103.

"Nancupentun quidam mazabes" بمعنى "هم اولئلك الذين يسمون بالمستعربين"[1].

ان هذه الوثائق قد ميزت بين النصارى المعاهدين واولئلك الذين تأثروا منهم بالعرب لغة ولباساً وعادات وتقاليد ...الخ، لذا سمي هذا القسم من النصارى المعاهدين (بالمستعربين).

ان الاسلام أمة اتمت بأتباع سياسية التسامح الديني مع أهل الكتاب، الذين لهم ذمة المسلمين وفي هذا يقول ابن الأزرق: "من كان في الذمة، وقصده العدو في بلادنا، وجب الخروج لقتالهم، حتى تموت دون ذلك صونا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ، لأن تسليمه اهمال لعقد تلك الذمة" [2] وبالمقابل كانت عليهم واجبات تجاه المسلمين[3].

وقد مارس أهل الذمة في دار الاسلام شعائرهم وطقوسهم بحرية كاملة، حيث أورد لنا الشاعر ابن شهيد وصفاً لممارستهم الطقوس الدينية فحم يرتلون صحفا من أناجيلهم وهم يحملون الصليب[4]، ومن خلال الاشارات التي وردت في مصادرنا التأريخية - ككلمة شنت التي تعني القديس أو القديسة[5]: نستدل على كثرة الكنائس بالاندلس.

مع هذه الروح التسامحية التي منحها العرب المسلمون للنصارى المعاهدين، فقد تنكروا لكل ذلك؛ اذ تراهم يسعون الى استغلال أي ظرف يمكنهم من خلاله توجيه

1- مؤنس، فجر، ص426.

2- ابو عبد الله، بدائع السلك وطبائع الملك، تح: علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، ج2، (العراق: 1397هـ/ 1977م)، ص183.

3- ان دراسة هذا الجانب يتطلب منا معلومات فقهية قد ندرت في مصادر بحثنا، وللقارىء الكريم اذا ما أراد أن يتوسع من هذه الناحية، فلينظر: زيدان، عبد الكريم، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام، ط2، (العراق: 1396هـ/ 1976م)، ص11 - 640 والمصادر التي اعتمد عليها.

4- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1 م2/ 705 - 706؛ المقري، 1/ 525 - 256.

5- ينظر: ابن الدلائي، ترصيع، ص 10 و14 و21 و76 و78 و79 و107 و108 و109 و117 و137 و139؛ الحميري، الروض، ص346 و348؛ خلاف، قرطبة، ص72.

طعنة غادرة في ظهر الدولة العربية الاسلامية، ففي أثناء النزاع الذي دار بين سليمان بن الحكم (المستعين) ومحمد بن هشام (المهدي) حول الخلافة في فترة الفتنة، دخلوا الى مدينة سالم وقصدوا "... الجامع ... وضربوا فيه النواقيس وحولوا قبلته"[1].

والذي نلاحظه أكثر دقة وصلافة هو ماجرى لاولئل المسلمين الذين بقوا في المدن الاندلسية التي احتلها النصارى، وخاصة تلك التي سقطت بعد انتصار المسلمين في معركة الزلاقة (479هـ/ 1086م)، وكاجراء انتقامي نجد ان رجال دينهم قد حولوا الحروب الى غزو صليبي ارتكبت فيه أفظع المذابح بحق المسلمين في محاولة للقضاء على الدين الاسلامي الحنيف[2].

ومن أوجه التنكر هو الطعن بالدين الاسلامي عن طريق قذف رسول الله الكريم محمد ﷺ حيث وقف رجل نصراني اثناء فترة الفتنة، "في أعظم شوارع قرطبة... (ونال منه صلى الله عليه وسلم... فلم يكلمه أحد... بكلمة فقال رجل في المسلمين غيرة على النبي الا تنكرون ماتسمعون اما انتم مسلمون فقال له جماعة من أهل قرطبة امض لشغلك" [3]. من هذا النص نستدل على الضعف والوهن اللذين كان عليه المسلمون خلال تلك الفترة حيث النزاعات المستمرة بين حكام دول الطوائف التي مزقت جسم الدولة العربية الاسلامية، وهم في غفلة مما يحيط بهم من اخطار جسيمة.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل نجدهم يطعون بالشرف العربي، عن طريق زعمهم ان المعتمد بن عباد قد وهب زوجة ولده (زائدة) الى الفونسو السادس حيث اتخذها خليلة له[4]، على ان الواقع غير ذلك وهو ان الفونسو قد سباها عندما لجأت

1- ابن عذاري، البيان، 3/ 94.

2- ينظر: الونشريسي، المعيار، 2/ 149.

3- ابن عذاري، البيان، 3/ 97- 98.

4- الونشريسي، (اسنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر)، تح: حسين مؤنس، صحيفة معهد الداسات الاسلامية، م5، ج1 - 2، (مدريد: 1377ه/ 1957م)، ص189.

الى حصن المدور لما اقتحم المرابطون مدينة قرطبة التي كان بها زوجها المأمون ومن ذلك الحصن لجأت الى حماية ملك قشتاله وهناك غدر بها[1].

لم يكتف النصارى المعاهدون بكل الذي جرى، بل أخذوا يتنكرون للمسلمين ويغدرون بهم أشد الغدر، كالذي حدث في عام (519هـ/ 1125م)، حيث خاطبوا ابن رذمير برسلهم المتتالية يحثونه على الركوب اليهم وهم في غرناطة مرشدينه الى الطريق الذي سيسلكه[2]، فتحرك اللعين واخترق البلاد من الشمال الى الجنوب باتجاه تلك المدينة[3]، والنصارى المعاهدون يتسللون اليه خلال حركته من كل مكان[4]، الأمر الذي يوضح لنا مدى حقدهم وكراهيتهم للمسلمين كما ويبين لنا سعة اماكن استيطانهم في المدن الاندلسية.

ازاء هذا العمل الخياني، فقد رحل ابن رشد الجد (ت520هـ/ 1126م)[5] للقاء أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين في مراكش "ليبين... أمر الأندلس وليحث الروم في بلادهم وما جر عليها معاهدوهم فكان السبب في تغريبهم" [6]. الا ان بروكلمان يدعي بأن تعاونهم هذا كان بسبب سوء المعاملة التي يلقونها من لدن

1- ينظر: عنان، دول الطوائف، ص335 – 337.

2- ينظر: ابن عذاري، البيان، 3/ 69؛ مجهول، الحلل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشية، نشر وتصحيح؛ ي سي. علوش، المطبعة الاقتصادية، (د – م: 1936م)، ص75؛ ميراندا؛ امبروسي ويسي، (وقعة اقليش ومصرع الامير شانجه)، مجلة تطوان، ع2، (تطون: 1957م)، ص70.

3- مجهول، الحلل، ص75 – 76.

4- ابن عذاري، البيان، 4/ 70.

5- ينظر: الضبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة، بغية الملتمس في تأريخ رجال اهل الاندلس، مطابع روخس، (مجريط: 1884م)، ص40؛ عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، الغنية، (فهرست شيوخ القاضي عياض)، تح: محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، (تونس: 1398هـ/ 1978م)، ص123.

6- ابن الابار، المعجم، ص155؛ وينظر: ابن رشد، ابو الوليد، (نوازل ابن رشد)، فتح: احسان عباس، مجلة الابحاث، اصدار الجامعة الاميريكية، ج3 و4، لسنة 22، (بيروت: 1969م)، ص4؛ الونشريسي، المعيار، 2/ 151؛ علي محمد كرد، غابر الاندلس وحاضرها، ط1، المطبعة: الرحمانية، (مصر: 1341هـ/ 1923م)، ص35.

المسلمين[1] وهذا الرأي الاستشراقي مجحف وضعيف لايستند الى اي حقائق تأريخية يدحضه حسن معاملة المسلمين لاهل الذمة ومنهم النصارى المعاهدون وهذا ما اشرنا اليه وما سنشير اليه ايضا. فلو كان رأي بروكلمان فيه شيء من الصحة لعمت العقوبة كل النصارى المعاهدين في الاندلس ولم تقتصر على نصارى مدينة غرناطة ولكانت العقوبة أقسى وأمر.

لقد مارس النصارى المعاهدون عدة مهن في المجتمع الاندلسي فمنهم، على سبيل المثال، من عمل في جيش ابن عباد[2]، ومنهم من عمل في "... فلاحة الأرض وعمران القرى يرأسهم اشياخ من اهل دينهم، اولو حنكة ودهاء ومداراة ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم" [3]، على ان الذي يؤكد عملهم في الفلاحة هو ما وقع عام (487هـ/ 1094م)، فقد توجه الاذفونشى الى "... أرض وادى آش ... فحمل جملة من رعيتها المعاهدة لعمارة أرض طليطلة" [4]، كما انهم في عام (519هـ/ 1225م) كانوا يمدون ابن رذمير بالأعلاف والأقوات لقواته[5].

ومما هو جدير بالذكر فقد كان المستعربون من النصارى حلقة وصل لنقل الحضارة الاسلامية بين الأندلس (الممالك النصرانية في شمال أسبانيا) وبقية البلدان الاوربية، وذلك بحكم معرفتهم الجيدة باللغة العربية، اذ اسهموا بترجمة الكثير من المؤلفات الاسلامية الى لغاتهم، فهذا قسطنطين الأغريقي، وهو نصراني ولد في

1- كارل، تأريخ الشعوب الاسلامية، تعريب: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط4، دار الملايين، ج4، (بيروت: 1965م) ص188؛ السعيد، محمد مجيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس، دار الرشيد للنشر، (العراق: 1980م)، ص57.

2- ينظر: ابن عذاري، البيان، 3/ 189؛ ابن الخطيب، اعمال، ص150.

3- ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط1، الشركة المصرية للطباعة والنشر، م1، (القاهرة: 1393ه/ 1973م)، ص107.

4- ابن عذاري، البيان، 4/ 36؛ موسى، النشاط، ص109.

5- ينظر: ابن عذاري، البيان، 4/ 71، ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 110.

قرطبة وعاش بين المسلمين، كانت لنقولاته اثر كبير في جنوب ايطاليا[1]، أما يوحنا الاشبيلي فقد ترجم كتاب (الشفا) لابن سينا[2]، وما هذان الا مثلان بسيطان، ذلك لان دراسة التراث الاسلامي المترجم الى اللغات الاوربية امر واسع وكبير يكون بحد ذاته بحثاً واسعاً.

لاشك ان الصفات التي سلف ذكرها قد تتوافر في بعض ممن يقومون بعملية ترجمة المؤلفات العربية الى لغات اخرى، الأمر الذي دفع ابا عبدون الى القول بأنه "يجب أن لايباع من نصارى، كتاب علم الا ما كان في شريعتهم، فانهم يترجمون كتب العلوم وينسبونها الى اهلهم واساقفتهم وهي من تواليف المسلمين" [3].

ب ـ اليهود

تمتع هؤلاء في ظل الحكم العربي الاسلامي بنفس ما تمتع به النصارى فنلاحظ انهم قد خيروا في اللجوء الى قاضٍ منهم، كان في قرطبة، أو لقاضٍ مسلم لأجل فض النزعات التي تقع بينهم[4]، على ان هذا الأمر يدل بشكل واضح على شهرة القضاء الاسلامي وعدالته، بالاضافة الى ذلك فقد كانت لهم معايدهم التي يمارسون فيها طقوسهم الدينية[5]، كما نهم استوطنوا احياء خاصة بهم، كالتي توجد في بيانه الواقعة بالقرب من قرطبة[6]، فلربما كان ذلك سببا في

1- حمادة محمد ماهر، المكتبة في الاسلام، مؤسسة الرسالة،(بيروت: 1981)، ص212 – 213.
2- بالنثيا، انخل جنثالث، تأريخ الفكر الاندلسي، تعريب: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة: 1955م)، ص54؛ ارتولد، توماس، تراث الاسلام، تعريب وتعليق: جريجيس فتح الله، ط2، دار الطليعة، (بيروت: 1972م)، ص497.
3- رسالة: ص57.
4- ينظر: الونشريسي، المعيار، 10/ 128 – 129؛ عبد المجيد، محمد بحر، اليهود في الاندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (مصر: 1970م)، ص21.
5- ينظر: الزجالي، امثال، 1/ 217.
6- ابن بلقين، التبيان، ص130؛ ابن سعيد، المغرب، 1/ 105؛ مجهول، الحلل، ص65؛ عبد المجيد، اليهود، ص21.

تسـمية احـد ابوابهـا المـؤدي الـى هـذا الحـي باسـم بـاب اليهـود[1]، وفيهـا يقـول ابن شهيد:

لـقـد اطـلـعـوا عـنـد بـــاب الـيـهـود

بـــدراً ابـــى الـحـســن ان يكسفا

تــــراه الـــيـــهـــود عـــلـــى بـابـهـــا

امـــيـــرا فــتـحـسـبـه يـوسـفـــا[2]

اما غرناطة فقد عرفت "باغرناطة اليهود لان نازليها كانوا يهودا" [3]. ان هذا التعميم لايعني انهم قد انفردوا بسكناها، بل ان لهم حياً في جزئها الجنوبي الشرقي عرف بغرناطة اليهود[4]، على ان الونشريسي ذكر بان اليهودى اذا ماتشبه بزي المسلمين فانه "يعاقب بالسجن والضرب، فيطاف به في مواضع اليهود" [5]، الامر الذي يزيد التأكيد على وجود احياء خاصة بهم.

كما كانت لهم مقابرهم التي اشار اليها الفقيه اصبغ بن محمد القرطبي (ت 505هـ/ 1111م)[6] ففي بيت من الشعر جاء فيه:

لـــو الـيـنـا يــكــون دفـنــك حـيـاً

لــدفــنــاك فـــي قــبــور الـــيــهـــود[7]

1- ابن الدلائي، ترصيع، ص122؛ مجهول، (وصف جديد لقرطبة الاسلامية)، تقديم: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، م13، (مدريد: 1965 - 1966م)، ص167 - 168.

2- احمد بن عبد الملك، ديوان ابن شهيد، جمعه: شارل بيلان، ط1، دار المكشوف، (بيروت: 1963م)، ص100.

3- الحميري، الروض، ص45، عنان، نهاية الاندلس وتأريخ العرب المنتصرين، ط2، (مصر: 1/ 1958)، ص64 - 65.

4- عنان، الاثار، ص162.

5- المعيار، 6/ 69.

6- ينظر: ابن بشكوال، الصلة 10/ 110؛ الضبي، بغية، ص226 - 227.

7- عماد الدين الاصفهاني، محمد بن محمد صفي، خريدة القصر وجريدة العصر، تح: عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، دار الطباعة والنشر، ق4 ج2، (القاهرة: د - ت)، ص242؛ خلاف ، قرطبة، ص74.

على ان الأغلبية العظمى من اليهود قد اتصفوا بصفات رذيلة جمعها ابن حزم بقوله، انهم "... لايحسنون شيئاً من الحيل ولا أتاهم الله شيئاً من اسباب القوة وانما شأنهم (الغش والتخابث والسرقة على التطاول والخضوع من شدة العداوة لله تعالى ولرسوله ﷺ"[1]، وهم اي اليهود يقولون بان الكواكب صادقة، لذا فانهم ينسبون أنفسهم بانهم زحليون، وزجل حسب الاعتقاد، يدل على البخل والقذارة والخبث والمكر والخديعة[2]، والله ما قالوا ذلك باطلًا ولا اوردوا رذيلة الا كانت بهم، على ان الاحداث التأريخية ستيرهن كل ذلك.

فالخيانة والغدر تلمسها بالمؤامرات التي عقدها اللعين اسماعيل بن النغريلة، مستغلاً بذلك منصبه الوزاري، فتراه قد دبر مكيدة للتخلص من بلقين من باديس، وذلك حينما اوجس اليهودى الغادر كره بلقين له، فدس له السم فقتله، الا انه لم يكتف بهذه الفعلة الشنيعة، فقام ورماها على جوارى القصر اللواتي قد لقين حتفهن مع عدد من ابناء عمومة بلقين على يد الأمير باديس[3]. مع ذلك فانه لم يقف عند هذا الحد، بل ذهب الى أبعد من ذلك، حيث اراد اغتيال الأمير باديس نفسه، غير ان المحاولة قد اكتشفها الأمير[4]، الذي لم يتخذ أي اجراء بحقه، وهذه من المآخذ التي تؤخذ عليه، لذا واصل ابن النغريله تامره لدرجة "... ان هذا اللعين طلب ان يقيم لليهود دولة فدس الى ابن صمادح صاحب المرية في السر ان يدخله غرناطة ويكون اليهودى في المرية"[5]، يتضح لنا من هذا النص حقيقة لا لبس فيها، هي محاولتهم تأسيس دولة

1- الرد، ص46.
2- ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص37 - 40 و 188 - 189.
3- ينظر: ابن حزم، الرد، ص12؛ ابن عذاري، البيان، 3/ 265؛ ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 434 و440.
4- ابن بلقين، التبيبان، ص31.
5- ابن عذاري، البيان، 3/ 266؛ أحمد، محمد شهاب، الشعر السياسي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، رسالة ماجستير كتبت الى الالة الطابعة، قدمت لكلية الآداب، الجامعة المستنصرية، (العراق: 1409ه/ 1988م)، ص110؛ ينظر: عبد الحميد، اليهود، ص48 - 49.

خاصة بهم، الأمر الذي يعكس صورة جلية عن الضعف والتفكك الذي كان عليه المسلمون في الأندلس، والا لما تجرأ هذا اليهودى على افعاله الشنيعة التي فاقت كل حد.

ففي عام (522هـ/ 1128م) انتحل احد اللعناء صفة طبيب حيث دس السم الى أمير غرناطة فقتله[1]. أما في عام (557هـ/ 1161م) فقد عملوا على مساعدة ابن ابراهيم همشك لدخول غرناطة حيث فتحوا له ابوابها[2]، وكذلك ماجرى في سنة (578هـ/ 1182م) عندما رام اذفونش بن شانجة الدخول لاشبيلية "... فقام العدو في فساد وتدمير من خلال ذلك دخل حصنا من عمل رند، بغدر يهودى دلهم على عورتها"[3].

ولهم صفة خسيسة اخرى لاتقل دناءة عن التي سبقتها، الا وهي عملهم في التجسس على الامراء المسلمين كالذي حدث في قصر باديس بن حبوس، فقد كان لوزيره اليهودي يوسف بن اسماعيل "عيون عليه في قصره من نساء وفيان شغلهم الملعون بالاحسان اليهم والانعام عليهم فكان لايخفى عليه شيء من امور باديس من كل مايجري في منزله" [4].

ولاتفوتنا صفة ذميمة عرف بها اليهود على الاجمال، الا وهي البخل، فهذا الحصرى الكفيف قد كتب نثراً "الى ابي الفضل بن حسراي شاكياً بصهره... اليهودى، سيدى... احكم بانصافك اترضى لصهرك المشرف بأخلاق البخل المسرف؟ قصدت بالرهان للسلف، فعدت بالرهان والصلف" [5]، وأنشد قائلًا:

1- ابن بلقين، التبيان، ص31.
2- ابن صاحب الصلاة، تأريخ المن، ص182 - 183؛ علام ، الدولة، ص194 وهامش رقم (1)، ص240.
3- ابن عذاري، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص119.
4- ابن عذاري، البيان، 3/ 265.
5- ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 253.

لاتــقـــل مـــا بـــيـــدي مـــال	ولا عـــــنـــدي عـــطـــاء
بـــبـــيـــت أمــــوالـــــك بـحـــر	مـــا عـــلـــى الـــبـحـــر غـطـاء
مـــا بـــــال صـــهـــرك صدنـــي	والــــــى ســـنـــاك اتـــاقـــنـــي[1]

اما الأموال التي جمعها يوسف بن النغريلة الا وكان البخل احدى وسائلها[2].

على ان المكر في التعامل، صفة هي الاخرى ملازمة لهم، حتى جاء المثل الاندلسي لؤكد ذلك بقول العامة: "اذا رأيت اليهود يذم السلع ادر ان يشتريه" [3]. مع كل هذه الصفات الرديئة التي ما ان وجدت في شخص ما، الا وكان منبوذا من الجماعة، غير ان الصورة على العكس مع ذلك تماماً، فقد تولى بعضهم مناصب مهمة وخطيرة لدى بعض الامراء المسلمين، فصاروا حجبا ووزراء وكتاباً، لدرجة انهم عاثوا في امور المسلمين عبث الاسود[4].

فمنهم، كما شاهدنا، من تولى الوزارة كأبي ابراهيم اسماعيل بن النغريلة ومن بعده ابنه يوسف على عهد بني باديس في غرناطة، اذ نزلوا المنازل الرفيعة حتى انهم عينوا بعض من بني قومهم لادارة بعض الأعمال التي اكسبتهم الاموال والجاه لدرجة جعلتهم يتطاولون على المسلمين[5]، فكانوا منتجعاً للحركة الشعوبية وروادها، فهذا المائق يوسف بن اسماعيل قد ألف كتاباً يدعي فيه "الى ابانة تناقض كلام الله عز وجل في القران الكريم اغترارا بالله تعالى؛ ... واستخفافاً بأهل الدين بدءاً، ثم بأهل

1- ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 254.

2- ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص37 و38.

3- الزجالي، امثال، 1/ 215.

4- ينظر: ابن الكردبوس، الاكتفا، ص78.

5- ينظر: السلفي، أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم، (أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي)، تح: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت: 1962)، ص83؛ ابن عذاري، البيان، 3/ 264، ابن الخطيب، اعمال، ص23؛ عبد الحميد، اليهود، ص40 و50.

الرياسة"[1]، وقد جاهر "بالكلام، في الطعن على ملة الاسلام" [2]، ولقد ظفر الفقيه ابن حزم بهذا الكتاب حيث رد على الادعاءات والمشكلات التي اثارها الخسيس، ردا علميا استطاع به ان ينتصر للدين الحنيف[3].

أما والد الفاسق هذا، فهو أيضاً قد استهزأ "بالمسلمين، وأقسم ان ينظم جميع القرآن في اشعار وموشحات يغنى بها" [4]، ومن شعره:

نقشت في الخد سطراً ... من كتاب الله موزون

لن تنالوا البر حتى ... تنفقوا مما تحبون [5]

ان هذه الاحداث التأريخية، وما سنبحثه بعد قليل، كانت عاملاً مهما في بروز موقف شعبي معارض لتصرفات اولئك الامراء الذين لم يتعضوا بما جرى ولم يتورعوا عن تقريب اليهود والاستعانة بهم، لقد كان تقريب الامراء لهؤلاء الفاسقين وصمة عار سجلها التأريخ بحقهم.

فها نحن نرى ان تطاولهم على السيادة العربية قد استمر، فنجد يوسف بن اسماعيل قد "... زرع الفتنة... حتى تغلب على أمير غرناطة وصار متساوياً معه حتى حجب باديس عن الناس" [6]، ليس هذا فقط، فقد كان لأمير غرناطة على عهد أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، "... كاتب يهودي الاعراق والاخلاق يبغض الناس ويبغضونه" [7]، لعلنا نسأل أمير غرناطة هذا والذين سبقوه في امارتها، كيف لهم أن يتخذوا بطانة من اليهود؟ الا يعلمون بموقف الشرع الاسلامي، اذ قال الله تعالى في

1- ابن حزم، الرد، ص46، ينظر: عبد الحميد، اليهود، ص44.
2- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م2/ 766.
3- ابن حزم، الرد، ص47 ومابعدها.
4- ابن حزم، الرد، ص17 - 18؛ عبد الحميد، اليهود، ص43.
5- ابن سعيد، المغرب، 2/ 114؛ عبد الحميد، اليهود، ص43.
6- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م2/ 766.
7- ابن عذاري، البيان، 4/ 77.

منزل كتابه الكريم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ ﴾ [1]، من هذا جاء موقف الفقهاء الذين قالوا "لا تحل تولية اليهودى... ولا يجوز ابقاءه فيها..." [2].

الا يعرف اولو الامر أيضاً الموقف الشعبي من هذه الاجراءات؟ ولذا وجه ابن حزم انتقاداته لمثل هؤلاء الامراء فدعاهم الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر[3]، كما نبه أبو الحسن يوسف المعروف بابن الجد وهو كاتب ابن عمار في مرسيه[4]، الى تفاقم خطر اليهود الذين سيطروا على جوانب كثيرة حيث قال:

تحكمت اليهود على الفروج
وتاهت بالبغال والسروج
وقامت دولة الأنذال فينا
وصار الحكم فينا للعلوج
فقل للأعور الدجال هذا
زمانك ان عزمت على الخروج[5]

وشاعر آخر يخاطب باديس، محرضاً لصنهاجه كي يتخلص من اليهود، فقال:

الا قل لصنهاجة اجمعين ... يدور الندى واسد العربين
لقد زل سيدكم زلةً ... تقربها أعين الشاقين
تخير كاتبه كافراً ... ولو شاء كان من المسلمين
فعز اليهودية وانتخبوا ... وتاهوا وكانوا من الأرذلين

1- سورة ال عمران، آية (118).
2- الونشريسي، المعيار، 12/ 376.
3- الرد، ص30.
4- ابن سعيد، المغرب، 1/ 340 وهامشها رقم (1 – 2).
5- ابن بسام، الذخيرة، ق2 م2/ 562؛ احمد، الشعر، ص110.

ونـالـوا منها وجــازوا المدى   فـحـان الـهـلاك ومـا يشعرون
لقوله ولاتحسبن قتلهم غدرة   بل الغدر في تركهم يعبثون [(1)]

وهي قصيدة طويلة تتكون من (47) بيتاً، يحرض فيها الشاعر الناس ويدعوهم الى اتخاذ موقف رافض، وعلى الرغم من ردود الأفعال هذه، ظل الموقف الرسمي على ما هو عليه، الامر الذي دفع بالشاعر خلف بن فرج السميسر، وهو من شعراء عهد الطوائف، الى كتابة ثلاثة أبيات من الشعر على عدة نسخ ثم رماها في الطريق، فكانت الشرارة في نهوض العامة الى الوضع المتردى الذي آلت اليه امورهم، وكان ذلك في عهد باديس بن حبوس صاحب غرناطة والابيات هي:

كــل يــوم الــى ورا   يــدل ....
فــزمــانــا تــهــودا   وزمــانــا تــنــصــرا
وسـيـصـبـو الــى الـمـجـوس   ان الــشــيــخ عــمــرا [(2)]

اضف الى ذلك، الموقف الذي اتخذه الفقهاء تجاه اليهود من حيث المعاملة التي جعلتهم بعزلة عن المجتمع الاسلامي، فقد كان محفزاً قويا لخروج العامة، وذلك لكون شريحة الفقهاء هم علماء الدين العارفون بامور الشريعة الاسلامية صغيرها وكبيرها، فما يصدر منهم تتقبله العامة دون نقاش، والمقصود بالفقهاء اولئك الذين يغارون على الدين الاسلامي فلا يساومون أو يجاملون أحدا على حساب المباديء، فتراهم قد حددوا عمليات البيع والشراء ومنعوا الاستدانة منهم[(3)]، وذلك لما اتصفوا به من صفات سبق وان اوردناها، كما انهم لم يسمحوا لهم بدخول حمامات

1- الالبيرى، ابو عبد الله محمد بن خلف، ديوان ابي اسحق الالبيري، تح: اميلوا غرسيا، (مدريد: 1944م)، ص151 - 153؛ عبد الحميد، اليهود، ص44.
2- السلفي، (اخبار وتراجم اندلسية مستخرجة)، ص83 - 84.
3- ينظر: الونشريسي، المعيار، 5/ 244 - 245.

المسلمين[1] لنجاستهم، وربما كانت هناك اجراءات اخرى قد اجتمعت معاً فدفعت بالعامة الى الخروج، وهذا ما وقع في عام (459هـ/ 1066م) فقتل من اليهود خلق كثير[2]، قارب عددهم على الاربعة الاف شخص[3].

ومثلما كانت للفئة المثقفة من الشعراء دور في الكشف والتنوير لامور لم تكن معروفة عند الناس في عهد الطوائف، نشاهدهم أيضاً في عهد المرابطين، فقد استنكر أحدهم على ما قام به أمير غرناطة على عهد أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، اذ جعل كاتبه من اليهود فقال:

ايـــا ابـــن الأكـــرمـــيـــن ومـــن عـــلاه
يـــوافـــق فـــرعـــهـــا الـــســـامـــي اصـــول
اتـــرضـــى أن تـــكـــون فـــتـــى هـــلال
وقـــيـــس ابـــن عـــمـــكـــم الـــرســـول
متى نصحت اليـهـود العـرب يوماً
احـــقـــدهـــم لاوســـكـــم يـــــزول[4]

ومما يلفت النظر ان أحداث يومية بسيطة قد تقع في كل زمان ومكان، تخلف حدثاً كبيراً، يؤكد لنا ويعبر في الوقت ذاته عن التحامل الحقيقي والموقف الشعبي الرافض للأوضاع وما كان يجب ان تكون عليه، ففي عام (529هـ/ 1134م) عندما "قتل يهودى مسلماً، فاستطال المسلمون على اليهود، فنهبت أموالهم وهدمت ديارهم وذلك بقرطبة" [5].

1- ينظر: الضبي، بغية، ص332 – 333.

2- ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص54؛ ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 440؛ ابن خلدون، العبر، ق1 م4/ 346.

3- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م2/ 769؛ احمد، الشعر، ص113.

4- المراكشي، الذيل والتكملة، ق2 سفر 5/ 497 – 498؛ السعيد، الشعر، ص54.

5- ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي، نظم الجمان، تح: محمود علي مكي، مطبعة المهدية، (المغرب: د – ت)، ص217.

ولأجل عزل اليهود، أمر الخليفة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمنصور، ان يتميز اليهود عن المسلمين[1]، لأجل أن يفرق بينهم، فاذا ما قام يهودى بعمل مشين فيجب أن يكون معروفا من قبل الكل انه يهودى وبالتالي يمكن السيطرة على مجرى الاحداث اذا ما وقعت والحد من اثارها السلبية على الوضع الامني العام، أو ان الخليفة اراد أن يرضي شريحة الفقهاء بأن يعز المسلمين بهذا الاجراء، الأمر الذي قد أوقع المؤرخ الألماني اشباخ بخطأ حينما عمم ذلك وكأنه سياسة عامة للدولة العربية الاسلامية في الاندلس، حيث ذكر بان اليهود لم يتمتعوا بسياسة التسامح الديني، وانهم لم يستطيعوا اتقاء الاضطهاد الا بعد ان بذلوا اموالا طائلة، فاشتروا بذلك سلامتهم وحريتهم في ممارسة طقوسهم الدينية[2].

ان هذه الانظرة الاستشراقية التي لاتستند الى أي حقائق تاريخية لبست بها أي شيء من الواقع والصحة لأنها اعتمدت على احداث انتقائية دبلجت بشكل يدفع القاريء غير المطلع على عمق الأحداث، للاعتقاد بصحتها والامتناع بما ذهب اليه بعض المغرضين المستشرقين كي يظهر الاسلام على انه دين اضطهاد وعنف، خاصة وانهم تميزوا باسلوب انشائي يظهرون به الخيال وكأنه حقيقة غير ان كل ذلك يسقط ويتهاوى امام ما أسلفنا من وقائع تأريخية وما سنذكر، والتي تدل على مدح الانفتاح الذي كان عليه المسلمون، وما تمتع به غير المسلمين في ظل الحكم العربي الاسلامي، ذلم هو الذي دفع بالمستشرق هيرسيرج الى القول: ان وضع اليهود في الأندلس تحت حكم الموحدين أفضل مما كان عليه ابناء جلدتهم الذين بقوا تحت الحكم النصراني[3].

1- المراكشي، المعجب، ص383؛ الزركشي، تاريخ، ص16.

2- يوسف، تأريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تعريب: محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج2، (القاهرة: 1360ه/ 1940م)، ص239.

3- H.Z(J.W) Mirschberg: Ahistory of the Jews in North Africa, (Leiden: 1974), V:PP.201, 204, 383.

نقلا عن: أبو رملة، هشام، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية بالأندلس، ط1، مطابع الجمعية التعاونية،(الأردن: 1404ه/ 1984م)، ص343.

فها هم يشاركون في الحركة العلمية والأدبية مع المسلمين تحت راية الحكم الاسلامي الى جانب النصارى المعاهدين، فعلى سبيل المثال نرى ان موسى بن ميمون الذي تولى قضاء بني قومه بقرطبة في القرن (6هـ/ 12م)[1] قد درس الفلك والمنطق والحساب والفلسفة والطب وبقى في مدينة المرية ما يناهز الاثني عشر عاماً[2]، وله مؤلفات دينية وطبية[3]، وفي مجال الطب برز منجم بن الفوال، وهو من ساكني مدينة سرقسطة، وله في الفلسفة باع فقد ألف كتاب (كنز المقل) الذي ضمنه جملة من القوانين في المنطق واصول الطبيعة[4]، ومن دارسي علم الطب اسماعيل بن يونس الاسرائيلي الذي كان بالمرية[5] وفي صدر المائة السادسة من الهجرة ظهر الطبيب الياس بن صدور اليهودى[6] وفي المنطق كان اسحق بن قسطار الذي توفى بطليطلة عام (488هـ/ 1095م)[7] على ان ابا الفضل حسداي بن يوسف الذي كان حيا في عام (458هـ/ 1065م)، قد "عني بالعلوم على مراتبها، وتناول المعارف على طرفها واحكم على لسان العرب ونال حظا جزيلا في صناعة الشعر والبلاغة وبرع في العدد والهندسة وعلم النجوم وفهم صناعة الموسيقى وحاول عملها" [8] ومنهم من تفرس

1- ولفنسون، اسرائيل، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر: (د - م: 1355ه/ 1936م)، ص3.

2- ولفنسون، موسى، ص6.

3- ولفنسون، موسى، ص41 - 56 و142 - 160.

4- ابن صاعد الاندلسي، ابو القاسم صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، نشر: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت: 1912م)، ص89.

5- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والالاف، تح: حسن كامل الصيرفي، مطبعة الاستقامة، (القاهرة: 1383هـ)، ص19.

6- ابن سعيد، المغرب، 10/ 336.

7- ابن ابي اصبيعة، موفق الدين ابي العباس احمد بن قاسم بن خلف بن يونس السعدي، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة (بيروت: 1965م)، ص498.

8- ابن ابي اصبيعة، عيون، ص499؛ العكش، ابراهيم علي، التربية والتعليم في الاندلس، دار الفيحاء ودار عما، (الاردن: 1406ه/ 1986م)، ص185.

بالأدب واللغة العربية حتى كان أحدهم يحضر مجلسا من مجالس ابي عامر بن شهيد فأتى بقصيدة جاء بها كل حسن[1].

وللأخفش بن ميمون القبذاقي، الذي تأدب بقرطبة، شعر في مدح اسماعي بن النغريلة اليهودى[2]، وفي الموسيقى برز اسحق بن شمعون اليهودى القرطبي الذي لازم أبا الوليد بن اسماعيل المعروف بابن باجة، فاحسن اسحق هذا الغناء والعزف، ولقد بلغوا مراتب عالية في الثقافة لدرجة اننا صرنا نرى ان ابن حزم قد والعزف[3]، ولقد بلغوا مراتب عالية في الثقافة لدرجة اننا صرنا نرى ان ابن حزم قد "... كانت له مناظرات مع اليهود" [4].

ومما يقال في حقهم انهم قد ادوا دورا في نقل الحضارة العربية الاسلامية الى اوربا خاصة بعد سقوط طليطلة عام (478هـ/ 1085م) لأنهم كانوا يجيدون اللغة العربية الفصحى والعبرية واحيانا اللاتينية، فقد ترجم اليهودى ابن داؤد الاشبيلي كتبا كثيرة في الرياضيات والفلك والتنجيم[5]، ولعل السبب في هذا الدور قد برز بعد سقوط طليطلة، كما نرى، هو انه هذه المدينة قد عرفت واشتهرت بحركة الترجمة قبل التأريخ الانف الذكر، فصارت لذلك مركز استقطاب لمعظم المهتمين بالعلوم والمعرفة ومن مختلف الاديان (الاسلام والنصرانية واليهودية) وعند سقوط هذه المدينة بيد النصارى زاد الاهتمام على ما يبدو وبكل ما الفه العرب المسلمين فاخذ النصارى واليهود معا الى ترجمة تلك المؤلفات الى لغاتهم لما لها من أهمية علمية وعملية في حياتهم.

1- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 233 و235.

2- ينظر: ابن سعيد، المغرب، 2/ 182 - 184.

3- ابن سعيد، المغرب، 1/ 127؛ الشكعة، مصطفى، الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه، ط3، دار العلم للملايين، (بيروت: 1975م)، ص80.

4- الرد، ص14.

5- ارنولد، تراث، ص496 - 497.

الامر الذي يوضح لنا ان اللغة العربية الفصحى هي اللغة الرسمية السائدة في كل ارجاء الاندلس حينما كانت تحت الحكم الاسلامي، ولكل نواحي الحياة السياسية والفكرية... الخ، لدرجة نجد ان ابن صاحب الصلاة قد اطلق على اليهود الذين عاشوا تحت رعاية العرب المسلمين وفي احضانهم لفظة (اليهود الاسلاميين)[1] يراد بهم هنا اليهود المستعربون.

مما تقدم من هذا الفصل وبخاصة عند بحثنا في أهل الذمة، يتضح لنا دون أي شك المدى الواسع لتأثير العرب المسلمين في هؤلاء الذميين، بسبب ما اتصف به المسلمون العرب من تسامح ديني.

1- تأريخ المن، ص181 – 182؛ موسى، النشاط، ص102.

الفصل الثاني

الشرائح الاجتماعية للمجتمع الأندلسي

أولا – الاثرياء ورجال الحكم

ثانياً – الفقهاء

ثالثاً – العامة

الشرائح الاجتماعية للمجتمع الاندلسي

عرفت المجتمعات البشرية على اختلافها، التباين والاختلاف بين الشرائح والفئات الاجتماعية وقد استند هذا التباين على اسس اجتماعية وحضارية كالنفوذ والسلطة والجاه والملكية مع ذلك فان المجتمع البشري ايا كان، يمكن ان يكون مجتمعاً متجانساً مع وجود تلك الفوارق الاجتماعية[1] الامر الذي يدفعنا الى القول بانه عندما تشعر مجموعة من الافراد بظروفها الاقتصادية والثقافية وبمشاكلها وطموحاتها وأهدافها المشتركة وباحاسيسهم وشعورها الاجتماعي الواحد فان وعيها بالانتماء الى شريحة واحدة سيظهر للعيان ويلعب الدور في تحديد هذه الشريحة[2].

هنا نستطيع تعريف الشريحة: بانها المجموعة البشرية التي تتميز عن غيرها باختلاف في المستوى الاجتماعي الذي يتحدد بعوامل شتى[3]، وهي التي تحدد طبيعة الانتماء، على ان علماء الاجتماع لم يتفقوا في تحديد تلك العوامل، لكن ثمة مؤثرات يمكن من خلالها تحديد الشريحة التي ينتمي اليها الفرد أو المجموعة، وهذا مرتبط باخلاف المجتمعات المدروسة اولا وباستنتاجات واجتهادات العلماء ثانياً[4].

1- Eyenck. Uses and Abuses of Psychology, Aplican Book, Middlesex, (England: 1974), PP.86 - 87؛

الحسن، احسان محمد، والعطية، فوزية، الطبقية الاجتماعية، مطابع جامعة الموصل، (العراق: 1981م)، ص7.

2- Centers, R, The Psychology of Social Classes, (New York: 1959), PP.159 - 160.

3- Ginsberg, M. Sociology, Oxford University press, (London: 1950), PP. 159 - 160.

4- الحسن، والعطية، الطبقية، ص29 – 30.

وبما ان الدين الاسلامي لايؤمن بالفوارق عملا بقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾[1]، غير انه ومن الناحية العملية، بالامكان وضع معايير ملموسة والتي قد تكون في بعض الاحيان متداخلة بعضها مع البعض الآخر، فتصيف صعوبة اخرى عندما يراد تحديد الشرائح الاجتماعية في المجتمع الاندلسي.

ومن تلك المعايير:

1ـ الوضع الاقتصادي

ويراد به مقدار ما يمتلكه الفرد من أموال حصل عليها نتيجة جهد عقلي أو فكري وما له من املاك كالعقارات التي تدعم حالته الاقتصادية، لأن ذلك سوف ينعكس سلباً أو ايجاباً[2] على طبيعة معيشته من حيث موقع السكن ونوع الملابس التي يرتدونها وكذلك نوع الطعام ... الخ.

2ـ الثقافة والتربية

هي عبارة عن منظومة التجارب والدراسات والخبرات والمهارات التي يمتلكها الفرد بطريقة نظامية واصولية[3]، وهذه كما هو معروف، في المجتمع الاسلامي تكون في الكتاتيب والمساجد، وعندها يحظى الفرد المتعلم بمنزلة ومكانة اجتماعية مرموقة، كل حسب درجة تعلمه، وقد يتقاضى هذا الشخص عند ادائه لعمل في مجال

1- سورة الحجرات، آية (13).

2- Johnson, H. sociology, Asystematic Introduction, Routlede & Kegan paal, (London: 1961), P.488.

3- Barnard, H. Ashort History of English Education, London University press, (London: 1958), P.11.

تخصصه راتباً أو أجراً تؤهله لانتمائه الي شريحة معينة[1]، على ان هذه النقطة مرتبطة بأخرى الا وهي.

3ـ السلوك والدور الاجتماعي

فالباحث المتخصص بالدراسات الاجتماعية بامكانه معرفة الشريحة التي ينتمي اليها المواطن وذلك عن طريق دراسة وفحص وملاحظة سلوك الفرد الاجتماعي وتصرفاته التي تؤثر في بنائه الشخصي والتي من خلالها يتمكن من ان ينسب هذا الفرد لشريحته[2].

4ـ المهنة أو الحرفة

هي الصنعة التي يكتسب منها الفرد[3]، وقد عد هذا المقياس مؤشرا مهما في انتماء الفرد لشريحة ما[4]، ولا ريب فان المهنة هي الاخرى مرتبطة بالمستوى الثقافي، لانها هي التي تقرر درجات الاحترام والتقدير والنفوذ الاجتماعي الذي يحصل عليه اصحابها. ومن المهنة يستطيع الفرد ان يمتلك شيئا في النفوذ والقوة[5]، وعليه فان المهن يمكن أن تكون يدوية أو عقلية أو الاثنين معاً.

1- Gole G.W, Studies in class structure, (London: 1955), PP.21 - 23.

2- Landis, J.R. Sociology: concepts and characteristics, (California: 1977), P. 149.
الحسن والعطية، الطبقية، ص42.

3- ابن منظور، لسان، مادة (عرف).

4- ماكيفر، وبيج، شارلز، المجتمع، تعريب: فؤاد اسكندر ويوسف ميخائيل أسعد، مكتبة النبضة المصرية، ج2، (القاهرة: 1971م)، ص668؛ الحسن والعطية الطبقية، ص35 – 36.

5- Wesolowski, W. and K, Slomczynski, investigation on class structure and social stratification. (Warsaw: 1977), P.69.

مما تقدم وبسبب التداخل الذي اشرنا اليه في المقاييس التي ذكرت فبامكاننا ان نقسم المجتمع الاندلسي خلال فترة بحثنا الى ثلاث شرائح وهي:-

أولاً: الاثرياء ورجال الحكم

نلاحظ في هذه الشريحة أمرين مهمين، الأول يتمثل بما يمتلكه الفرد من اموال وعقارات...الخ، والثاني هو السلطة والنفوذ، فقد نجد شخصاً ما جمع بين الوضعين، في حين نرى ان الاخر له وضع يفتقر الى الوضع الاخر.

على اننا نستطيع الاستدلال على هذه الشريحة من خلال بعض المؤشرات التي تميزت بها عن غيرها من شرائح المجتمع الاخرى، كبناء القصور الفخمة التي تحتوي على نصب وفرش واشياء تبهر العين، اضافتهم الى حيازتهم الأشياء النفيسة والممتلكات من ضياع واموال، على ان افراد هذه الشريحة يكادون ان يشتركوا بصفات عامة والتي تتمثل بمستواهم المعاشي العالي، ولذا جاء المثل العامي الاندلسي ليقول "بنت السلطان لاتعرف الجوع" [1] اشارة الى صفة الاسراف[2].

فالأمير عبد الله بن بلقين حينما خلع من قبل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وجد في قصره من الأموال والذخائر ما لم يملكه حاكم قبله في الاندلس[3]، وعندما اخرج من غرناطة قال: "... وكنت اخرجت مع نفسي اسبابا منها سفط ذهب فيه عشرة

1- الزجالي، أمثال، 1/ 225.

2- ينظر: ابن الكردبوس، الاكتفا، ص77؛ ابن عذاري، البيان، 3/ 160.

3- ابن خلكان، وفيات، 5/ 29 - 30؛ ابن الأثير، الكامل، 8/ 142 - 143.

عقود من أنفس الجواهر، وذهبا مبلغه ستة عشر الف دينار مرابطية وخواتم" [1] ما عدا الاموال والجواهر التي اودعتها والدته عند بعض الذين تثق بهم[2].

أما القاضي ابن عباد فكان يملك ثلث اشبيلية ضيعة وغلة قبل توليه أمرها[3] حيث "أقبل لأول وقته بضم الرجال ويشتري العبيد" [4]، الأمر الذي نستوضح منه الانعكاس الايجابي للوضع الاقتصادي الذي سيدعم وضع الشخص من الناحية السياسية، لأنه في بداية أمره يكون بحاجة ماسة لمؤيدين يستطيع أن يقوي مركزه السياسي بهم، والذي هو الاخر سينعكس بشكل او باخر على وضعه الاجتماعي، حيث سيرتفع لمنزلة اجتماعية تتناسب مع الوضع الجديد الذي صار فيه. لذا فان القاضي ابن عباد اول ما ابتدأ عهده كان في اشبيلية حيث توجد مقوماته الاقتصادية ومن ثم السياسية والتي صارت فيما بعد الاسس التي استند عليها ابنائه من بعده.

فهذا بنه ابو عمر وعباد الملقب بالمعتضد نراه لم "يقصر... عن الهمم العلية والرتب الملوكية، فابتنى القصور السامية واعتمر العمارات المغلة وافتنى الاعلاق النفيسة وارتبط الخيول، واقتنى الغلمان[5]، وعلى النهج نفسه سار الابن الثاني المعروف بالمعتمد فشيد القصور التي تميزت بروعتها وحسن بهائها واحتوائها على تحف في غاية الروعة، فالاسراف هنا لا يكم في البناء بل فيما احتوته تلك القصور مستوحيين ذلك من قول لابن حزم الذي جاء فيه بانه لا

1- ابن بلقين، التبيان، ص156.

2- ابن بلقين، التبيان، ص158.

3- ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 15؛ النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الاندلسي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المكتب التجاري للطباعة،(بيروت: د- ت)، ص94.

4- ابن الخطيب، أعمال، ص153.

5- ابن عذاري، البيان، 3/ 205؛ سالم، عبد العزيز، (تحقيق اسماء قصور بني عباد باشبيلية الواردة في شعر ابن زيدون)، مجلة أوراق، ع2،(مدريد:1979م)، ص38؛ أشباخ، تأريخ،1/ 43.

"يمنع الامام من البنيان الواسع وان يبلغ به غاية الاتقان والقوة ولكن يمنع من التزويق والتزخرف وماشابه ذلك"[1].

ومن تلك القصور المبارك والثريا، والوحيد، والزاهي[2]، والزاهر، وسعيد ومسعود[3] فقد احتوى احدها على نصب لفيل صنع من فضة وضع على بركة من برك ذلك القصر[4].

أما المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة، فقد شيد قصراً كان في غاية الاتقان انفق عليه اموالا طائلة[5]، وفي عهد بني جهور تم تشييد قصور السرور[6] ومجلس الذهب اللذين فيها قال المقتدر بن هود:

قصر السرور ومجلس الذهب
بكما بلغت نهاية الطرب
لو لم يحز ملكي خلافكما
كانت لديَّ كفاية الارب[7]

1- شذرات من كتاب السياسة لابن حزم، بقلم: محمد ابراهيم الكناني، نشر ضمن كتاب، (بدائع السلك في طبائع الملك لابن الازرق)، دار الحرية للطباعة،(العراق:1397هـ/ 1977م)،ص518.

2- ينظر: المعتمد بن عباد، أبو القاسم محمد بن عباد بن محمد بن اسماعيل بن عباد، ديوان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية، تح: احمد، محمد بدوى وحامد عبد المجيد، اشراف: طه حسين، المطبعة الاميرية، (القاهرة: 137هـ/ 1951م)، ص95 و135.

3- ابن خاقان، قلائد، 1/ 93؛ حركات، ابراهيم، (حياة المعتمد بن عباد في الاندلس كشاعر)، مجلة دعوة الحق، عدد 8، لسنة 8، (د – م: 1385هـ/ 1965م)، ص43.

4- ينظر: ابن ظافر، علي، بدائع البدائه، تح: ابو الفضل ابراهيم، مطبعة مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة: 1390هـ/ 1970م)، ص373.

5- ينظر: الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، سراج الملوك، ط1، المطبعة الخيرية، (مصر: 1306هـ)، ص22.

6- المقري، نفح، 1/ 464، سالم، (المساجد والقصور في الاندلس، مطبعة دار المعارف بمصر، (القاهرة: 1958م)، ص92 – 93.

7- ابن سعيد، المغرب، 2/ 435.

وكذا كان المعتصم صاحب المرية فقد ابتنى قصرا كبيرا جعل امامه بستانا عظيما يليه مجلس رائع قد فرش بالرخام الأبيض وامامه اقيمت دار كبيرة اتقنت بكل انواع التذهيب وغرائبه[1]، وبنى أبو يحيى بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن بن علي قصراً لنفسه "... على متن النهر الأعظم، تحمله أقواس وقيل للسيد: كيف تأنقت في بنيان هذا القصر مع انحرافك عن أهل قرطبة؟ فقال: علمت انهم لايذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر، لما بقي في رؤوسهم من الخلافة المروانية، فأحببت أن يبقى لي في بلادهم أثر اذكر به على رغمهم" [2]، لذا قيل "الملوك تبني على قدرها من الاقدار"[3]، ولربما يفسر هذا القول قدرة الشخص الاقتصادية على انشاء القصور الفخمة، فكل حسب قدرته تلك.

وفي عصر الموحدين في الاندلس شيدت قصور عديدة في جبل طارق حيث زرعت الارض التي حولها بمختلف الزروع وكان ذلك في عام (555هـ/ 1160م)[4]، وفي عام (567هـ/ 1171م) أمر الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن "ببناء قصوره المعروفة بالبحيرة والواقعة خارج أشبيلية حيث احيطت بأنواع الأشجار المثمرة وذلك بعد أن عوض اصحاب هذه الأرض[5]، وعندما رجع الخليفة المنصور الموحدين من اشبيلية عام (585هـ/ 1189م)[6]، " امر أن يبني له على النهر الاعظم... حصن، وان تبنى له في ذلك الحصن قصور وقباب جارياً في ذلك على عادته في حب البناء وايثار التشييد" [7].

1- ينظر: ابن الدلائي، ترصيع، ص84- 85.
2- المقري، نفح، 1/ 470.
3- ابن صاحب الصلاة، تأريخ المن، ص132.
4- ينظر: ابن صاحب الصلاة، تأريخ، المن، ص129 ومابعدها؛ ابن أبي زرع، الانيس، ص408؛ المراكشي، المعجب، ص282.
5- ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص498- 499؛ المراكشي، المعجب، ص95؛ أبو رملة، علاقات، ص334.
6- المراكشي، المعجب، ص334.
7- ابن صاحب الصلاة، تأريخ المن، ص170.

ومما لاشك فيه ان تلك القصور قد كلفت مبالغ طائلة تشكل وجها من اوجه هذه الشريحة في البذخ والاسرف، الا انها في نفس الوقت تمثل جانبا ايجابياً للحضارة العربية الاسلامية في الاندلس والتي تدل على القوة الاقتصادية لهذه الدولة على الرغم مما مرت به من فترات عصيبة، والتي هي الاخرى تنعكس على المستوى المعاشي لجميع شرائح المجتمع غير انها تنعكس بصورة متباينة.

ونجد في ولع اصحاب البيوتات الميسورة بامتلاك العبيد من الخصيان للعمل في بيوتهم[1]، مؤشرا اخر يستدل به على هذه الشريحة، وكذلك المغالاة في اقتناء الجواري، فهذا ابن رزين صاحب السهلة يعد "... أول من بالغ في الاندلس في شراء القينات المشهورات" [2] فقد "... اشترى جارية ... بثلاثة الف دينار" [3] وبلغ شغف الامراء باقتناء الملهيات حتى في أصعب الظروف، فعندما دارت الحرب بين المعتضد بن عباد والمظفر بن الأفطس، نجد الأخير يرسل من يشتري له صبيتين ملهيتين[4]. وتميزت هذه الشريحة بأن أبناءها يتعلمون تعليما خاصا، فالمأمون بن المعتمد قد اتخذ مؤدبا لولده[5]، والمأمون نفسه واخوه كانا قد أدبا على يد أبي بكر بن غالب (ت511هـ/ 1117م)[6]، اما ابن حزم الذي تحدث عن نفسه قائلا "... وهن علمنني القران وروينني كثيرا من الأشعار ودربنني في الخط" [7]، من هذا النص يتضح لنا ان تلك البيوت الميسورة كانت تضم الجواري اللواتي يمتلكن أكثر من موهبة أو صفة.

1- ينظر: ابن حزم، طوق، ص44 و130؛ خلاف، قرطبة، ص262.
2- ابن الخطيب، اعمال، ص206.
3- ابن عذاري، البيان، 3/ 308.
4- ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 35.
5- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر 5 ق2/ 586.
6- ابن الابار، التكملة، 1/ 412.
7- ابن حزم، طوق، ص50؛ الزجالي، أمثال، 1/ 232؛ عيسى، محمد عبد المجيد، التعليم في اسبانيا الاسلامية، رسالة دكتوراه كتبت على الالة الطابعة، قدمت لكلية الفلسفة والاداب، جامعة الاوتوتوما، (مدريد: 1979م)، ص516.

ومن العوائل المثرية التي لها تأريخها في تولي المناصب المهمة هي عائلة ابن حزم التي امتلكت ضياعا في السهلة[1]،

أما بنو عبدالوهاب فقد كانت لهم شهرتهم في امتلاك الاموال بالاندلس[2].

هذا وبالامكان اعتبار بعض الأطباء الذين مارسوا هذه المهنة التي لاشك في انها اضافت أموالا على اموالهم، كالطبيب عبد الملك بن محمد بن مروان الذي يعد من أغنياء أشبيلية حيث نجد له فيها ضياعا واسعة[3]، وكذا الطبيب ابو عبد الله محمد بن الكناني حيث كان "ذا ثروة وغنى واسع" [4].

ومن الشعراء من صار غنياً، كالأديب أبو بحر يوسف بن عبد الصمد (ت448هـ/ 1056م) الذي عاش في كنف دولة ابن صمادح[5]، اذ قال عن نفسه:

أمـــوال أشـعــاري نـمـت وتـكـاثـرت

فجعلت مـدحـي للبخيل زكاتي[6]

الأمر الذي يعكس بنفس الوقت البذخ والاسراف اللذين كانا عليها بعض من أفراد الشريحة الفنية لدرجة اننا نرى اخدهم ويدعى بابن الملح على عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي، قد أوقف أرضا للشعراء، فقد كان الشاعر ابن حبوس ممن أخذوا من واردها ما يقدر بـ(700) دينار مرابطي وصرة فيها (40) مثقالاً[7].

1- ينظر: ابن حزم، طوق، ص66؛ المراكشي، المعجب، ص93 وما بعدها؛ ياقوت الحموى، أبو عبد الله، مجم الادباء، دار المأمون، ج2، (مصر: 1357ه/ 1938م)، ص236 - 239؛ المقري، نفح، 2/ 77 - 79.

2- مجهول، مفاخر، ص78.

3- ينظر: ابن أبي اصيبعة، عيون، ص517؛ ابن عماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، م2 ج4، (بيروت: د - ت)، ص75.

4- عباس، حسان، (المحقق)، الكتاني، أبو عبد الله محمد، التشبيهات من أشعار الاندلس، مطبعة سيما، (بيروت: 1966م)، ص7 - 8.

5- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 809.

6- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 810.

7- ينظر: المراكشي، المعجب، ص283 - 284.

مع ذلك فما كان من اسراف هؤلاء على فئة الشعراء الا عاملا مهما في دفع الحركة الأدبية الى الأمام، وهو جانب مهم ورمز مشرق في الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس، كما ان عددا من الميسورين تراهم قد قاموا بأعمال خيرية، والتي تعد وجها من اوجه التكافل الاجتماعي، فساعدوا المحتاجين.

فهذا الخليفة ادريس بن يحيى الملقب (بالعالي) الذي بويع بالخلافة عام (434هـ/ 1042م) كان "... كثير الصدقات يتصدق كل يوم جمعة بخمس مائة دينار"[1]، أما عبد الله بن موسى الصنهاجي (ت 521هـ/ 1127م) فتراه "... يؤثر الصدقة ويرى انها أفضل الأعمال فكان يتصدق بجميع ما يملكه" [2]، وكذا الحال ليوسف ابن يحيى بن منير (ت597هـ/ 1201م) وهو من غرناطة حيث "... آثر بماله الفقراء والمساكين حتى افنى جميع ماله وزهد في الدنيا" [3] والأمثال كثيرة في فنون الكتب لأشخاص يتصدقون بأموالهم[4]، طلبا لمرضاة الله تعالى وللتخفيف عن كاهل المحتاجين.

وصفحة مشرقة اخرى لبعض أفراد هذه الشريحة تتمثل بتنفيذهم لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[5]، فقام فتح بن ابراهيم الاموى المعروف بابن القشاري، وهو من

1- الضبي، بغية، ص28.

2- ابن الزبير، أب جعفر أحمد، صلة الصلة، (ملحق بكتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة)، تح: محمد بن شريفة، سفر8 ق2، (الرباط: 1984م)، ص536.

3- ابن الزبير، صلة الصلة، تح: أ. ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، (الرباط:1937م)، ص216.

4- ينظر: ابن بشكوال، الصلة، 1/ 71؛ ابن الابار، التكملة، 1/ 313 و2/ 783؛ الحلة، 2/ 202 – 203؛ الرعيني، ابو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الاشبيلي، برنامج شيوخ الرعيني، تح: ابراهيم شبوح، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم، (دمشق: 1381ه/ 1962م)، ص31 و37؛ ابن فرحون، برهان الدين ابن علي بن محمد، الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، مطبعة السعادة، (القاهرة:1329هـ)، ص48 – 50؛ المراكشي، الذيل والتكملة، ق2 سفره/ 645 و ق1 سفر1/ 49.

5- سورة التوبة، آية (18).

طليطلة، (ت403هـ/ 1012م)[1] ببناء المساجد حيث "... بنى طليطلة مسجدين احدهما مسجد بالجبل البارد والثاني بالدباغين" [2]. وفي عهد أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين قامت امرأة تسمى الحرة باضافة بناء على أحد جوامع مرسيه من طيب مالها[3]، لأن الجامع لم يعد يستوعب عدد المصلين المتزايد.

على ان وسائل اثراء هذه الشريحة، منها ما كانت مشروعة واخرى غير مشروعة، وهذا ما نلمسه في اي مجتمع بشرى، ومنها الاندلس.

فيما ان الاندلس قد تمتعت بموقع مهم بشكل عام، نجد ايضا ان لبعض مدنها الاهمية نفسها، اذ تقع على طرق تجارية برية منها وبحرية، الى جانب ماتنتجه من منتوجات صناعية ومحاصيل زراعية، الامر الذي كان عاملا اخر في بروز اغنياء، عمل بعضهم في مجال التجارة الداخلية والخارجية، كأهل مدينة أشبيلية[4]، على سبيل المثال لا الحصر اذ صار الكثير من اهلها من ذوي الاموال الكثيرة[5].

هذا وقد احتوت كتب التراجم على عدد ممن عمل في هذا المضمار، نذكر منهم، ابا الحسن الاشبيلي (ت447هـ/ 1081م)[6] وعبد الله بن سهل بن يوسف (ت480هـ/ 1087م)[7] حيث "... مشى الى المرية في تجارة" [8].

1- ابن بشكوال، الصلة، 2/ 436.

2- ابن بشكوال، الصلة، 2/ 435.

3- ينظر: ابن رشد، فتاوى ابن رشد، تح: المختار بن طاهر التليلي، ط1، طباعة مؤسسة جواد، سفر2، (بيروت: 1396ه/ 1976م) ص1078 - 1079.

4- ابن عيسى، علي، كتاب عجائب البلدان والجبار والاحجار وغير ذلك وفيه تأريخ مصر وذكر ملوكها، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب، جامعة بغداد، رقم التصنيف (14)، ص29.

5- ابن عيسى، كتاب عجائب، ص35.

6- ابن الابار، التكملة، 1/ 267.

7- الضبي، بغية، ص333.

8- الضبي، بغية، ص332.

كما صرنا نشهد وجود تخصص في هذا المجال، فبعضهم عمل في تجارة الكتب وكان هذا عاملا في رفد الحركة العلمية بكتب متنوعة بعلومها، فأثروا من جراء ذلك، حتى قيل انه بسبب شغف أحمد بن عباس بن ابي زكريا، وهو وزير زهير العامرى، بجمع الكتب فقد "اثرى كثير من الوراقين والتجار" [1] أما عبد الله بن ابراهيم بن الحسن (555 - 611هـ/ 1160 - 1214م)[2]، فقد كانت "له دكان بالقيسارية يقصد فيه للتجارة وبيع الكتب" [3].

ومما لاشك فيه فان العمل في هذا النوع من التجارة له مؤثراته الايجابية على البعض منهم، فنجد ابا الحسن الاشبيلي، وهو من سكنة قرطبة، قد تعلق بالعلم فتعلم الشيء الكثير حتى صار يناظر ويصاحب العلماء[4]، وكذا الحال مع علي بن محمد بن علي الحضرمي (ت609هـ/ 1212م)[5] حيث تجول في البلدان يدير تجارته بين رندة واشبيلية وفاس ومراكش وقد استغل تجارته في طلب العلم في الاماكن التي ذهب بتجارته اليها، وحينما توفى كان عمره ثمانين عاما[6]، اما سليمان بن ابراهيم بن مورقاط الغافقي (ت418هـ/ 1027م) فقد دخل افريقيا تاجرا وكان قد سمع عن جماعة من شيوخ قرطبة[7]، كما نلاحظ ان نزار بن محمد بن عبد الله القيسي (ت424هـ/ 1033م) قد "... جال بلاد افريقيا والاندلس طالبا للعلم وتاجرا" [8]،

1- ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 259؛ مطلق، البير حبيب، الحركة اللغوية في الاندلس، من الفتح العربي حتى نهآية عصر ملوك الطوائف، المكتبة المصرية، (بيروت: 1967م)، ص266.

2- ابن الابار، التكملة، 2/ 283.

3- ابن الايار، التكملة، 2/ 282؛ العكش، التربية، ص64.

4- ابن الابار، التكملة، 1/ 267.

5- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر5 ق1/ 232.

6- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر5 ق1/ 319.

7- ابن بشكوال، الصلة، 2/ 581.

8- ابن بشكوال، الصلة، 2/ 606.

ومثل ذلك فعل علي بن عبد الله الشافعي التاجر (ت531هـ/ 1137م) الذي روى عنه القاضي عياض[1].

هذا وقد اتصف معظم التجار المسلمين في الاندلس بالامانة والنزاهة وحسن المعاملة اضافة الى جودة المنتوجات المتاجر بها، الامر الذي ساعد على وصول البضائع الاندلسية الى بلاد الصين كتجارة التاجر ابي الحسن سعد الخير بن سهل الاندلسي البلنسي (ت541هـ/ 1146م)[2].

فصرنا نشهد وجود اسر قد اغتنت بسبب ممارستها هذه المهنة، وان رجالها صاروا يتنافسون على المناصب، كبني عبد العزيز وبني مجاف وبني فرج في مدينة بلنسية[3]،اذا فالثراء عامل يزيد من نفوذ وقوة الاشخاص، فنجد منهم من دخل في المعترك السياسي، كالتاجر السقطي الذي كان مرسلا من قبل فجا الصقلبي لاجل مرافقة الخليفة حسن بن يحيى (ت434هـ/ 1042م) ليزود نجا بكل المعلومات، فعندما توفى الخليفة نجد ان هذا التاجر قد اعتقل ادريس بن يحيى وبسبب ذلك لقى التاجر السقطي مصرعه على يد بعض القبائل المغربية[4].

وتعد الوراثة مصدرا اخر في غنى بعض الاشخاص، كالفقيه أحمد بن أبي القاسم عباس بن زكريا (ت429هـ/ 1038م) فقد ورث عن ابيه مالا وحليه وانيه وامتعة وطيب الشيء الكثير[5]، وكان الفقيه أحمد بن محمد بن جعفر المخزومي (ت566هـ/ 1161م) "من أهل الثروة واليسار" [6]، وكذلك

1- ابن الزبير، صلة، (ملحق بكتاب الذيل المراكشي)، سفر8 ق2/ 551 – 552.

2- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر4، 16، 18؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات، م2 ج4/ 128.

3- ابن الزقاق البلنسي، علي بن ابراهيم بن عطية، ديوان ابن الزقاق البلنسي، تح: عفيفة محمود، مطبعة سيما، (بيروت: 1964م)، ص18 – 19و 37؛ ابن سعيد، المغرب، 2/ 304.

4- ينظر: الحميدي، جذرة، ص31؛ الضبي، بغية،ص27.

5- ينظر: المراكشي، الذيل والتكملة، سفر1 ق1/ 277.

6- ابن الابار، التكملة، 1/ 76.

الفقيه عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن المعاقرى من اهل بلنسية (ت573 أو 574هـ/ 1177 أو 1178م)[1].

أما القاضي عياض (ت544هـ/ 1149م) حيث سكن "... بمالقة وتمول بها املاكا" [2] و "ولما طالت مدته في خطة القضاء، اتلف اكثر ماورث عن ابيه، حتى احتاج الى بيع بعض رباعه بمدينة سبته في ثمن ضيعه اشتراها بخارج مدينة مالقة"[3] في حين نجد اخر قد عمل على استثمار ما استورثه كالفقيه ابن عبد الله محمد بن أصبغ بن المناصف (ت536هـ/ 1141م)[4]، الذي كان "يحرث له في ضياعه الموروثة بثمانمائة زوج في كل عام" [5]، اما عن بني رزين فقد حدثنا ابن الابار بقوله وفي ".. سهلته المنسوبة الى بني رزين – في اتصال عمارتها، فكثر ماله" [6]، واخر قد جعل من مهنة الفلاحة سببا في ثرائه كأحمد بن محمد المعروف بابن ملحان الطائي الذي يقول عنه ابن الخطيب بانه قد استعان "على غناه بالفلاحة واثار الحرث" [7].

ولابد من القول ان بعض الصفات التي يتصف بها اناس معدودون، تعمل على زيادة ما هو بين ايديهم كالبخل، فهذا ابو الحزم بن جهور قد اثرى بسبب التجارة[8]، ثم "... تضاعف شراؤه وصار لاتقع عينه على اغنى منه، احاط ذلك كله بالبخل الشديد والمنع الخالص" [9]، وهي صفة ذميمة قال فيها المعتضد بن عباد:

1- ابن الابار، التكملة، 2/ 935 – 936.
2- ابن عياض، محمد بن عياض، التعريف بالقاضي عياض، تح: محمد بن شريفه، ط2، مطبعة فضالة، (المغرب: 1982م)، ص14.
3- ابن عياض، التعريف، ص113.
4- الضبي، بغية، ص51.
5- ابن سعيد، المغرب، 1/ 163.
6- ابن الابار، الحلة، 2/ 109.
7- ابن الخطيب، اعمال، ص264.
8- ينظر: الحميدي، جذوة، ص27 – 28، خلاف، قرطبة، ص85 – 86.
9- ابن الابار، الحلة، 2/ 31؛ حمودة، علي محمد، تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، ط2، مطابع دار الكتاب العربي (مصر: 1376ه/ 1964م)، ص251.

البـــــخــــل عـــيــــن نـقـيـصـة
والــــجـــــود عـــيـــن الـــكـــمـــال[1]

وبها قال علي بن محمد بن احمد المخزومي، وهو من شعراء بلنسية (511هـ-622هـ/ 1117-1225م)[2]:

يـاصـاحـبـي ومـــا البخيل بصاحبي
هــذه الـخـيـام فـأيـن تلك الأدمــــع[3]

وهناك من جعل من شعره وسيلة للاثراء، اذ يوجد بين أفراد الشريحة الغنية من يحب هذا الجانب خصوصا اذا كان في باب المدح بشخصه او هجاء بخصومه او انه اعجب بقصيدة في مجال اخر، وقد مثل هذه الصورة خير تمثيل ما قاله الشاعر عبد الله بن يحيى بن البهلول الاندلسي (ت516هـ/ 1122م)، وهو من سرقسطة:

وايـــن مـــن قـــوم قـديـمـا ومـحـدثـا
تـبـاع عليهم بـالالـوف القصائد[4]

وكذلك ما أورده الشقندي في رسالته اذ قال: "... ولم يزل الشعراء تتهادى بينهم تهادي النواسيم بين الرياض وتفتك في اموالهم فتكة البراص" [5].

1- المعتضد بن عباد، ابو عمر وعباد بن ابي القاسم، ديوان المعتضد بن عباد، تح: محمد مجيد سعيد، مجلة المورد، ع2 م5، (بغداد: 1396ه/ 1976م)، ص107.

2- ابن ابي عذيبة، كتاب انسان العيون من مشاهير سادس القرون، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب، جامعة بغداد، رقم التصنيف (248)، ص188؛ المراكشي، الذيل والتكملة، سفر5 ق2/ 275 - 277.

3- ابن ابي عذيبة، كتاب انسان، ص189.

4- ابن تغرى بردى، جمال الدين ابي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك القاهرة، مطابع كوستاتسوماسس وشركاؤه، ج5، (مصر: د- ت)، ص224.

5- اسماعيل بن محمد، رسالة اسماعيل بن محمد الشقندي في فضائل الاندلس، (ضمن فضائل الاندلس واهلها)، نشر وتقديم: صلاح الدين منجد، دار الكتاب الجديد، (بيروت: 1387ه/ 1968م)، ص32.

أما الطرق غير المشروعة التي اتبعها نفر قليل من ذوى النفوس الضعيفة التي لا بد من ذكر شيء عنها، لانه لا يمكن وجود مجتمع مثالي يخلو من هذه الظواهر السلبية، ففي كل مجتمع نجد الصالح والطالح، وهذا ما تلحظه في المجتمع الاندلسي أيضا. حيث استغل البعض مناصبهم الوظيفية للاستحواذ على اموال المسلمين، فهذا أبو الحسن ابراهيم بن محمد المعروف بابن السقا، الذى كان وزيرا في دولة بني جهور وقتل عام (455هـ/ 1063م)[1] نراه قد قطع "اموال الناس جملة عن بني جهور واخلى ابوابهم من جميع الطبقات ولم يدع لابن جهور من سلطانه غير التوقيع" [2]، حيث تطاول هذا الوزير على بيت مال المسلمين بغير حق، فاستولى على محتوياته[3]، "... فتحول جرذا للسرقة والخيانة وابتنى القصور المنيعة، واقتنى الضياع المغلة الى املاك لاتحصى" [4]، غير انه لم يكتف بذلك فاخذ يوزع تلك الاموال المسروقة على اخيه وابن اخيه وصهره حتى صاروا من الاغنياء[5].

وقام أحد قادة الامير عبد الله بن بلقين بالشى نفسه حيث كان يسنحوذ "على أموال الناس بقطع السبل وانقطاع أهل الشر اليه من كل قطر" [6].

ومما لاريب فيه فان سوء الاوضاع الأمنية وتدهورها بسبب فقدان السلطة المركزية، سمح لذوى النفوس الضعيفة والشريرة باستغلال هذا الظرف، اذ عبر عن ذلك ابن حزم بقوله: "ان كان مدبر مدينة أو حصن بالأندلس... ساع في الفساد لأنه

1- ابن سهل، ابن الاصبع عيسى، (وثيقة في اغتصاب ابن السقاقيم دولة ابن جهور لاموال بيت مال المسلمين بقرطبة)، مستخرجة من مخطوط الاحلام الكبرى، تح: عبد الوهاب خلاف، مجلة اوراق، عدد 5 - 6، (د - م: 1982 - 1983م)، ص101؛ ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 38 وما بعدها؛ ابن الابار، الحلة، هامش(1)، 2/ 176.

2- ابن سهل، (وثيقة)، ص100؛ ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 243.

3- ابن سهل، (وثيقة)، ص102.

4- ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 239.

5- ابن سهل، (وثيقة)، ص103.

6- ابن بلقين، التبيان، ص95.

يسمع بالغارة على الرعية ويبيح للجند قطع الطريق" [1]. فهذا سعيد بن أحمد بن أحمد بن زنفل الذي استولى على حصن شقورة في فترة دول الطوائف، غير انه لم يبلغ شهرتهم، فها هو الاخر قد فرض الضرائب على الرعية وسرق ما كان في بيت مال المسلمين في تلك الجهات لدرجة انه ملك أموالا وضياعا لم تكن بحوزته[2]، حدث ذلك كله في عام (492هـ/ 1098م)[3].

وهنالك من عمل على مصادرة أموال الناس لسبب ما، مستغلا في ذلك منصبه وسلطته، كالمعتضد بن عباد الذي وضع يده على مجشر[4] تعود ملكيته الى عبد الملك بن زهير[5]، كما انه قام بعمل غير لائق حيث استدعى اصحاب كل من رندة ومورور وصاحب اركش كضيوف عنده، عندها أمر "بأخذ جميع خيلهم وسلاحهم واخبيتهم وجميع ما احتووا عليه ... فحصل من ذلك على اموال كثيرة" [6].

وهنالك من اخذ الرشوة ليضيف مالا الى ماله، فقد أعطى اليهودى اللعين يوسف بن النغريلة للأمير ماكسن بن باديس[7]، عندما قتل خاله، "مالا جسيما لئلا يثرب عليه قتله، فقبل السلطان ذلك منه، وود لو قتل كل يوم يهوديا، فيغرم عليه مالا"[8].

هذا واتصفت الفترات الانتقالية لحكم الاندلس ايضا باضطراب الاوضاع الأمنية، اذ تستغل هذه الظروف من قبل البعض للسيطرة والتملك، فهذا أحمد بن

1- الرد، ص29.
2- ابن رشد، فتاوى، 1/ 288 - 289.
3- ابن رشد، نوازل، ص16.
4- المجشر: هو مراعي الخيول. ينظر: ابن منظور، لسان، مادة (جشر).
5- الونشريسي، المعيار، 10/ 56؛ خالص، صلاح، اشبيلية في القرن الخامس الهجري دراسة أدبية تأريخية لنشوء دولة بني عباد في اشبيلية وتطور الحياة الادبية فيها (414- 461هـ)، مطبعة سيما، (بيروت: 1965م)، ص43.
6- ابن عذاري، البيان، 3/ 271.
7- ابن بلقين، التبيان، ص48.
8- ابن بلقين، التبيان، ص49.

ملحان الوادى آشي الذي ظهر في السنوات الأخيرة من حكم المرابطين قد "... ثار بوادى اشى، وتلقب بالمتأيد بالله... فأتى على كثير من الأنفس، واقتنى كثيرا من المال والذخيرة"[1]. ونلاحظ أيضا ما قام به أبي الغمر بن السائب بن غرون الذي "... نهب ... ديار اصحابه في رنده... وكانت له أموال" [2]. كما قام احد قادة المرابطين بوضع يده على ملكية يزيد بن المعتمد بن عباد[3].

وقبيل سيطرة الموحدين على الأندلس، كانت الأوضاع الأمنية قد سمحت لأولي الشوكة والقوة بأخذ أموال الناس بالباطل[4]، اما في بداية حكمهم وبالذات في عامي (542 - 544هـ/ 1147 - 1149م)[5]، فقد قام قائد بحرى باستباحة أموال التجار ودمائهم خلال ابحارهم في نهر أشبيلية[6]. كما اننا نلاحظ انه في عام (584هـ/ 1188م) استولى والي مرسيه "... على أموال الناس بضرب العدوان وتسبب في أخذ اموال التجار" [7].

مما سبق يتضح ان العامل الاقتصادى عامل مهم في تحديد المكانة الاجتماعية للفرد، وربما يأتي بالدرجة الاولى من بين العوامل الاخرى، وبه يستطيع الشخص ان يقوى مكانته السياسية وبالتالي يكون محل احترام وتقدير ممن هم أدنى منه منزلة اجتماعية (الفقراء) حتى جاء المثل ليؤكد تلك الحقيقة فقال:

"عندك شيء تسوى شيء" [8]، وقول الشاعر

1- ابن الخطيب، أعمال، ص264.
2- ابن الابار، الحلة، 2/ 242؛ موسى، النشاط، ص149.
3- ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص171.
4- ينظر: ابن الابار، الحلة، 2/ 242 - 243.
5- ابن عذاري، البيان، (نص جديد يتعلق بتأريخ الموحدين)، تح: عبد القادر زمامة، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، م20، (مدريد: 1979 - 1980م)، ص88.
6- ابن عذاري، البيان، (نص جديد يتعلق بتأريخ الموحدين)، ص88.
7- ابن عذاري، البيان (القسم الخاص بالموحدين)، ص172.
8- الزجالي، امثال، 1/ 267.

يجفى الفقير ويخشى الناس قاطبة
بـــاب الـغـنـى كـــذا حـكـم المقادير
وانــمــا الــنــاس امـشـال الــفــراش فهم
بحيث تـبـدو مصابيح الدنانير[1]

ثانيا: الفقهاء

تمتعت هذه الشريحة بمكانة مرموقة من لدن اولى الامر في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس فتبوأ الفقهاء مكانا محترما وذلك لكونهم القائمين بامور الدين كاستنباط الاحكام والفتيا والصلاة... الخ[2]، وقد اشار ابن حزم الى ذلك حيث قال بأن "المشتغل بعلم الشريعة محصل الامن من السلطان والخاصة والعامة، فقصد لعلو الحال في الدنيا والصلاح فيها" [3]. لذا نرى ان زهير العامرى كان يعمل بقولهم[4]، واما المعتمد بن عباد فقد أنزل فقهاء مالقه في أفضل المراتب[5]، ونجد أيضا ولده الرشيد حيث كان يحضر "عنده اعيان الفقهاء..." [6]، وكان بنو جهور في قرطبة "يتواضعون لعلمائها، ويرفعون أقدارهم ويصدرون عن ارائهم" [7]،

1- ابن سعيد، رايات، ص47؛ المغرب، 1/ 263.
2- الكبيسي، خليل ابراهيم، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالاندلس في عصري الامارة والخلافة، رسالة دكتوراه مكتوبة على الالة الطابعة، قدمت لكلية الاداب، جامعة بغداد، (العراق: 1980م)، ص91.
3- رسائل ابن حزم الاندلسي، تح: احسان عباس، مطبعة دار الهنا، المجموعة الاولى، (د – ت)، ص85.
4- ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 518؛ سالم، تاريخ مدينة المرية قاعدة الاسطول الاندلسي، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت: 1969م)، ص68.
5- ابن بلقين، التبيان، ص58.
6- ابن الابار، الحلة، 2/ 68.
7- الشقندي، فضائل، (ضمن ثلاث رسائل)، ص53.

وأما يوسف بن تاشفين فقد كان مؤثرا لاهل العلم والدين كثير المشورة لهم ويصدر عن رأيهم[1]، وهم الذين طلبوا منه ان يحصل على تقليد من الخليفة العباسي (المستظهر بالله) كي تجب عليهم طاعته[2]، كما انهم قد افتوا بعدم جواز اعطاء المعونة له مادام يمتلك المال للقيام بالحملة[3]، اما ابنه علي فقد عرف بـ(ايثاره لأهل الفقه والدين، وكان لايقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء... فبلغ الفقهاء في ابامه مبلغا عظيما" [4]، ونرى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قد كان "... يجالسهم ويحدثهم ويستظرف ملحهم" [5].

ولعل العبارات التي تقال في حق البعض منهم، ما هي الا دليل اضافي على علو منزلتهم فقد قيل في أحدهم انه "عظيم أهل الاندلس قاطبة واعلاهم محلا، وأوفرهم جاها"[6]، وانه قد نال "... عند الخاصة والعامة من الحظوة والذكر وجلالة القدرة"[7]، وقيل في اخر انه فاق "أهل وقته جلالة، وعلما، ومكانة عند الرؤساء"[8] وفي ثالث "... كان معظما عن أهلها"[9] وانه "... مشكور عند جميع الناس"[10] و"... محببا الى

1- ينظر: ابن خلكان، وفيات، 7/ 125؛ ابن عذاري، البيان، 4/ 124؛ مجهول، الحلل، ص66.

2- ينظر: ابن الاثير، الكامل، 8/ 239؛ ابو الفدا، المختصر،2/ 221؛ القلقشندي، صبح، ص66.

3- ابن خلكان، وفيات، 7/ 118 - 119؛ ابن عذاري، البيان، 4/ 118؛ حسن، حسن علي، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس - عصر المرابطين والموحدين، ط1، منشورات مكتبة الخانجي بمصر، (القاهرة: 1980م)، ص342.

4- المراكشي، المعجب، ص35؛ العكش، التربية، ص193.

5- ابن ابي زرع، الانيس، ص208؛ حسن، الحضارة، ص339.

6- ابن بشكوال، الصلة، 1/ 38.

7- ابن فرحون، الديباج، ص287.

8- عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تح: أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، ج4، (بيروت: 1965م)، ص747 - 748.

9- الضبي، بغية، ص332.

10- المقري، ازهار الرياض في اخبار عياض، تح: مصطفى السقا واخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج3، (القاهرة: 1358هـ/ 1939م)، ص10.

الخاصة والعامة"[1]، و"معظما عند الخاصة والعامة" [2]، كما وكان الفقير يكرم (في جوار أو ابتياع حاجة"[3] أما الملثمون فكانوا "... يسمون الأمير العظيم منهم الذى يريدون تنويهه بالفقيه"[4].

على ان منزلة غالبية الفقهاء متأتية من تأثيرهم في المجتمع، وذلك لما للشعور الديني من اثر في حياة العامة الذين يشكلون السواء الاعظم في أي مجتمع ومنها الاندلسي. فكثيرا ما كان الفقهاء يتحدثون في مصالح الناس وفي قضاء حاجاتهم[5]، فقد طلبوا "... من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلامات عنهم فتقدم بذلك الى ملوك الطوائف فاجابوه بالامتثال" [6].

كما ان الفقهاء قد عملوا على وحدة البلاد والمجتمع وعلى مكافحة التجزئة، الامر الذي زاد من مكانتهم عند الناس، كالعمل الذي قام به سليمان بن خلف الباجي[7] حيث "مشى بين ملوك أهل الجزيرة... فقام مقام ال فرعون[8] لو صادف اسماعا واعيه بل نفخ في عظام ناخره... بيد انه كلما وفد على ملك في ظاهرة أقره ... وهو في الباطن يستجهل نزعته ويستثقل طلعته" [9].

1- ابن الابار، التكملة، 2/ 487؛ المراكشي، الذيل والتكملة، ق2 سفر5/ 468.
2- ابن الابار، التكملة، 1/ 419.
3- المقري، نفح، 1/ 220.
4- المقري، نفح، 1/ 221.
5- ينظر: بابا التنبكي، ابو العباس سيدى احمد بن احمد بن عمر بن محمد بن اقيت، نيل الابتهاج بتطزيز الديباج، ط1، مطبعة السعادة، (القاهرة: 1329هـ)، ص355؛ المقري، أزهار، 3/ 60؛ الخجي، عبد الرحمن علي، (القضاء ودراسته في الاندلس)، مجلة كلية الامام الاعظم، ع1، (بغداد: 1392هـ/ 1972م)، ص210.
6- ابن خلدون، العبر، ق1 م4/ 341 - 342؛ طاروا، جان جبيروم، ازهار البستان في اخبار الاندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين، تعريب: احمد بلافريج ومحمد الفاسي، المطبعة الوطنية، (الرباط: 1349هـ)، ص61.
7- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 81؛ الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله، العبر في خبر بن عبر، تح: فؤاد سيد، مطبعة حكومة الكويت، ج3، (الكويت: 1963م)، ص280.
8- اشارة لقوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾، سورة غافر، آية (28).
9- ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 95 - 96؛ الهرفي، سلامة محمد سلمان، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين - دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة الجديدة، (د - م: 1445ه/ 1985م)، ص46.

هذا ونراهم قد دعوا الى الجهاد والمشاركة فيه، الامر الذي يترك اثرا على معظم - ان لم يكن كل - افراد المجتمع الاندلسي في الانخراط في صفوف المجاهدين عاملين بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]، لذا نجدهم قد شاركوا في معركة الزلاقة اذ كانوا "... يعظون الناس ويحثونهم على الصبر، ويحذرونهم الفرار" [2]، "وفي سنة احدى عشرة وخمسمائة... تحرك... علي بن يوسف... الى بلاد الاندلس... ولحقت من قرطبة لمة من الفقهاء والعلماء... خيالا ورجالا، وتأهب فقهاء أشبيلية" [3]، وفي واقعة قتنده التي جرت في عام (514هـ/ 1120م) استشهد ابو علي الحسين بن محمد الصدفي[4] وكذلك استشهد الفقيه عبد العزيز خلف السلمي ابو الاصبغ[5]، اما عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت541ه/ 1146م) فقد كان "كثير الغزوات في جيش الملثمين" [6] وغيرهم الكثير[7].

وعملا بقوله تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[8]، اخذ اولئك الفقهاء يدعون الى الوعظ والارشاد ولما هو في صالح الامة والاسلام، وان كان ذلك قد يعرضهم الى الخطر، كالذي حدث مع كبير فقهاء اشبيلية ابو حفص عمر بن حسين

1- سورة الصف، الايتين (10 و11).
2- ابن عذاري، البيان، 4/ 136.
3- ابن عذاري، البيان، 4/ 64.
4- عياض، الغنية، ص195؛ ابن الابار، المعجم، ص7 - 8؛ المقري، ازهار، 3/ 153.
5- ابن الابار، المعجم، ص257.
6- ابن الابار، المعجم، ص260.
7- ينظر: ابن بشكوال، الصلة، 2/ 40؛ ابن الابار، التكملة، 1/ 23 و29؛ المقتضب من كتاب تحفة القادم، تح: ابراهيم الابياري، المطبعة الاميرية، (القاهرة: 1957م)، ص34.
8- سورة آل عمران، آية (104).

الهوزاني (ت459هـ/ 1066م)[1] حيث قتله المعتمد حينما دعاه للخروج الى الروم وقتالهم، اذ قال شعرا:

اعباد حل الرز والقوم هجع
على حاله من مثلها يتقنع
تلق كتابي من فراغك ساعة
وان طال فالوضع للطول موضع
اذا لم ابت الداء رب دوائه
اضعت واهل للبلاد المضيع[2]

وقد أسهم بعض الفقهاء في امور أغفل المؤرخون بعضها، كان لها أثر في نفوس الناس، ومن تلك الامور غسل الموتى، فقد ذكر ابن بشكوال ان الفقيه أحمد بن محمد بن عفيف كان يغسل الموتى ويجهزهم[3]، وكذلك الفقيه احمد بن محمد بن سعيد[4] ومنهم من عتق رقبة عبد كما فعل علي بن أحمد بن علي بن لبال (ت582هـ/ 1186م)[5]، واخر قد تصدق بماله مثل الفقيه ابو عبد محمد بن اصبغ الذي كان "ينفق في كل يوم أكثر من ثلاثمائة بيت يعيل ديارهم ويقيل عثارهم" [6]، اما عمر بن خلف اليابرى (ت527هـ/ 1131م) فقد كان منقبضا من اهل الدنيا، حيث كان لايبقي لنفسه كثيرا، لدرجة انه ربما وضع عشاءه بين يديه يأتيه السائل فيدفعه حتى ينام ليله دون اكل[7]،

1- ابن بشكوال، الصلة، 1/ 381.
2- عياض، ترتيب، 4/ 825 - 826؛ وانظر: ابن سعيد، المغرب، 1/ 240.
3- الصلة، 1/ 43.
4- ابن بشكوال، الصلة، 1/ 50، خلاف، قرطبة، ص54.
5- ابن الزبير، صلة، هامش (1)، سفر5 ق1/ 170 - 171
6- ابن سعيد، المغرب، 1/ 163.
7- المراكشي، الذيل والتكملة، هامش (2)، سفر5 ق2/ 446.

وكذا كان الفقيه احمد بن الحسن بن قصي (ت546هـ/ 1181م) فقد "... تزهد... وباع ماله وتصدق بثمنه" [1].

ومن اسهاماتهم الجليلة خروجهم مع الناس لاجل اداء صلاة الاستسقاء، فقد خرج الفقيه طارق بن موسى المعافري، (ت566هـ/ 1170م)[2] وهو "... مبتذلا متواضعا الى... المصلى والناس معه... فيخطب بهم خطبة يكثر فيها الاستغفار، ويدعوا الله عز وجل، ثم يحول وجهة الى القبلة وظهره الى الناس فيدعوا الله تعالى رافعا يديه، ظهورها الى السماء، ثم يقلب رداءه... ثم يصلي ركعتين... بلا اذان أو اقامة" [3].

وتقام هذه الصلاة عندما ينحبس المطر في موسم سقوطه، الامر الذي يؤثر سلبا على الوضع الاقتصادي بشكل عام، ومن ثم على المستوى المعاشي للفرد، عندها يتوجه المسلمون لاداء هذه الصلاة، فيذكر ان الفقيه محمد بن عيسى الانصاري خرج يوماً للاستسقاء وقال في خطبته[4]:

استغفر الله من ذنبي وان كبرا

واستقل له شكرى وان كثرا[5]

وفي سنة (524هـ/ 1130م) اصاب غرناطة قحط فخرج الناس يؤمهم قاضيها لاداء هذه الصلاة فكان لهم ذلك[6].

ان مكانة هذا الجمع الخير من الفقهاء في نفوس العامة واثرهم في المجتمع الاندلسي مكنهم من التاثير في الحياة السياسية، فهذا القاضي جعفر بن عبد الله

1- ابن الابار، الحلة، 2/ 200.
2- ابن الابار، التكملة، 1/ 344.
3- ابن حزم، المحلى، نشر وتصحيح: ادارة المطبعة المنيرية، ج5، (مصر: 1349هـ)، ص93.
4- ابن الابار، التكملة، 1/ 413.
5- ابن الابار، التكملة، 1/ 414.
6- ابن الزبير، صلة، (ضمن الذيل والتكملة)، سفر8 ق2/ 245.

بن جعفر بن جحاف قاضي بلنسيه قد تبوأ "الرياسة، ورتب ارزاق الجند... فكان يجلس مكتنفا بالوزراء والفقهاء والزعماء" [1] وذلك بعد ان قتل صاحب بلنسية عام (485هـ/ 1092م)[2]، وفي مالقة فقد دعى القاضي ابو الحكم بن حسون لنفسه وتسمى بالامير وكان ذلك عام (538هـ/ 1143م)[3] هذا وأوردت لنا مصادرنا التأريخية الكثير من الفقهاء ممن ثاروا في الاندلس وتولوا امور مدن عدة فيها وذلك بدعم شريحة العامة لهم[4].

على ان الاحترام الذي كنه غالبية اولي الامر للفقهاء، قد كان يدافع ايمانهم والتزامهم الذاتي بالقيم والمباديء الاسلامية اضافة الى محاولتهم في اعطاء قراراتهم السياسية الصفة الشرعية، اذ ان كلمة هؤلاء الفقهاء كانت مسموعة ومطاعة من قبل الناس.

فقد ذكر انه ندما وقعت فتنة بين أهل قرطبة والمرابطين، نرى ان الفقهاء قد أفتوا بالقتال "... ذبا عن الحرم والدماء والأموال والباديء أظلم" [5].

ولاجل ذلك كان اولي الأمر يستشيرونهم ويستفتونهم في جملة من القضايا، فهذا علي بن حمود عندما دخل قرطبة عام (407هـ/ 1016م) نجده قد "... استفتى

1- ابن عذاري، البيان، 4/ 32.

2- ابن الكردبوس، الاكتنفا، ص103؛ ابن الخطيب، اعمال، ص182؛ حسين، كريم عجيل، الحياة العلمية في مدينة بلنسيه، ط1، مؤسسة الرسالة، (بيروت:1396ه/ 1976م)، ص133 - 134.

3- ابن الخطيب، أعمال، ص255.

4- ينظر: الحميدي، جذوة، ص23؛ ابن خاقان، قلائد، 3/ 646 وما بعدها؛ الضبي، بغية، ص261؛ ابن الابار، التكملة، 2/ 230 - 231؛ الحلة، 2/ 197 ومابعدها و212 ومابعدا و227 - 228؛ المعجم، ص234؛ البيذق، اخبار، ص125 - 126؛ ابن عذاري، البيان، (نص جديد بتأريخ الموحدين)، ص83؛ ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 297؛ اعمال، ص249 و258 - 259 و 264؛ ابن خلدون، العبر، ق1 م1/ 357 و ق1 م2/ 336 و356 - 357؛ بشير، صحراوى، العلاقات الثقافية والادبية بين المغرب والاندلس في عصر الموحدين، رسالة ماجستير كتبت على الالة الطابعة، قدمت لكلية الاداب، جامعة بغداد، (العراق: 1403هـ/ 1983م)، ص40.

5- مجهول، الحلل، ص71؛ شعيرة، محمد عبد الهادي، المرابطون تأريخهم السياسي، (430 - 539هـ)، ط1، دار الاتحاد العربي للطباعة، (القاهرة: 1969م)، ص150.

الفقهاء في قتل سليمان، فقتله وقتل أباه الحكم واخاه عبد الله وولده سليمان في وقت واحد"[1]. وعندما تمكن ابن بلقين من القبض على معارضيه فقد شاور "كبار البلده وفقهاءها في خبرهم"[2]، ولما أوجس يوسف بن تاشفين مكر حكام الطوائف عندها "استفتى علماءهم فكلهم افتاه بخلعهم"[3] اذ قالوا له بأنهم "... كانوا عاهدوك فها هم قد ناقضوك، وارسلوا الى الفنش"[4]، ولما اراد ابن تاشفين الاستحواذ والسيطرة على ملك بني عباد، نجده مرة اخرى يشاور الفقهاء بهذا الأمر، فأشاروا عليه بذلك[5].

ان احترام الفقهاء لأنفسهم واعتزازهم بكرامتهم بما سلكوه من مسلك صحيح وتزهدهم عن حطام الدنيا، دفع بالناس واولي الأمر الى احترامهم واجلالهم، ذلك ما نجده في موقف الفقيه ابن علي الصدفي، حيث ارسل له والي بلنسيه ابو اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين رسولا يدعوه بالحضور اليه، لاجل اسماعه الحديث فما كان من الفقيه الجليل الا ان رفض الاستجابة، قائلا للرسول: ماجلسنا هنا الا لذلك، فكرر الرسول مطلب الوالي، وكرر الفقيه نفس الجواب[6]، وحينما خرج الفقيه موسى بن عبد الرحمن متوجها الى مراكش عام (524هـ/ 1129م) من غرناطة فقد كان من مودعيه "الامير تاشفين وفقهاء البلد واهل الدولة" [7]، وهذا الفقيه الزاهد ابو عمران موسى بن عمران المارتلي

1- النوريرى، نهآية، 23/ 431.

2- ابن بلقين، التبيان، ص98؛ وانظر: الناصري، الاستقصاء، 2/ 50.

3- ابن أبي دينار، المؤنس، ص108؛ مرعشلي، نديم، المعتد بن عباد، مطبعة الجهاد، (د - م: د - ت)، ص36؛ كنون، عبد الله، (يوسف بن تاشفين ملك الملثمين وصاحب دعوة المرابطين)، مجلة العربي، ع170، اصدار وزارة الاعلام، (الكويت: 1392هـ/ 1973م)، ص135.

4- ابن الكردبوس، الاكتفا، ص107.

5- ابن بلقين، التبيان، ص179؛ محمود، حسن أحمد، قيام دولة المرابطين، طبع: مكتبة النهضة المصرية، (مصر: 1956م)، ص305.

6- ابن الابار، المعجم، ص55.

7- ابن الزبير، صلة، (ملحق بكتاب الذيل للمراكشي)، سفر8 ق2/ 525.

(ت604هـ/ 1207م) وعمره اثنين وثمانين سنة[1]، ذكر انه "سار باشبيلية في طريق الزهاده، وكان الملوك يزورونه ولا يلتفت اليهم" [2].

مع هذا فاننا نلمس من ان بعض الفقهاء قد اهينوا واعتقلوا لموقفهم الرافض لما آلت اليه البلاد، مثل الفقيه القاضي أبو الوليد محمد بن احمد بن رشيد (ت520هـ/ 1126م)[3].

ان تلك النخبة، وهي الأكثر في العموم، نجد ان بعضهم عمل في مهن عده لأجل كسب رزقهم والعيش منه، مثل الفقيه احمد بن محمد بن موسى الضهاجي (ت536هـ/ 1141م) حيث عمل في الحياكة[4]، وفي الوراقة نجد الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن مسعود (ت543هـ/ 1148م)[5]، وبهذه المهنة عمل الفقيه عبد الواحد بن محمد بن خلف القيسي (ت550هـ/ 1155م)[6]، والفقيه محمد بن عبد الرحمن بن محمد القيسي (ت561هـ/ 1166م)[7].

وبالمقابل نجد قسما اخر من الفقهاء وهم اللذين باعوا دينهم بدنياهم، لضعف في نفوسهم، اوضح لنا ذلك ابن عذارى بقوله: "ولم تزل افة الناس منذ خلقوا في صنفين... فيهم الامراء والفقهاء، قلما تتنافر أشكالهم بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يردون... فالامراء... قد نكبوا بهم... والفقهاء أئمتهم صموت عنهم" [8]، لذا كان قاضي قرطبة ابو المطرف بن بشر (ت422هـ/ 1030م)،

1- ابن الابار، التكملة، 2/ 687.
2- ابن سعيد، المغرب، 1/ 406؛ السعيد، الشعر، ص262.
3- ينظر: ابن الابار، التكملة، 2/ 554 - 555؛ الحجي، التأريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، ط1، دار القلم، (بيروت: 1396هـ/ 1976م)، ص350.
4- ابن الابار، المعجم، ص18.
5- ابن الابار، المعجم، ص155.
6- ابن الابار، المعجم، ص267.
7- ابن الابار، المعجم، ص173.
8- ابن عذاري، البيان، 3/ 254.

"... شديد التعسف على الفقهاء والتقويم لميلهم، فلما ولي المعتمد اجتمعوا عليه وطلبوه حتى عزل" [1].

ان عدم اتصاف هؤلاء بما يجب أن يتصفوا به من ورع وتزهد عن مغريات الحياة التي انكبسوا عليها، حتى انهم كانوا يقدمون على اولي الامر ويتقبلون منهم الأموال والهدايا، كالفقيه محمد بن شريح الرعيني (ت476هـ/ 1083م)[2]، والفقيه أحمد بن ابراهيم بن عبد الملك بن المطرف التميمي (ت565هـ/ 1169م)[3]، لاجل كل ذلك فقد هان امرهم عند العامة، حتى صاروا محل هجو الشعراء ومضرب الامثال، فهذا عثمان بن سعيد المعروف بابن الصيرفي (ت444هـ/ 1052م)[4]، قال مجرحا لمن وقف موقفا متخاذلا واصفا اليهم بالخساسة وأهل الريب الزيغ بقوله:

قد قلت اذا ذكروا حال الزمان وما
يجري على كل من يعزى الى الدب
لاشيء ابلغ من ذل يجرع
أهل الخساسة اهل الدين والحب
القائمين بما جاء الرسول به
والبغضين لاهل الزيغ والريب[5]

وفي حق اولئك قال أبو محمد عبد الله بن سارة الاشبيلي (ت517هـ/ 1123م)[6]:

يا ذئابا بدت لنا   في ثياب ملونة

1- عياض، ترتيب، 4/ 736.
2- ينظر: الضبي، بغية، ص71.
3- ينظر: المراكشي، الذيل والتكملة، سفر1 ق1/ 49.
4- الحميدي، جذوة، ص286 - 0287؛ الضبي، بغية، ص399 - 400.
5- الحميدي، جذوة، ص287؛ ياقوت، الحموى، معجم، 12/ 123 - 124.
6- ينظر: ابن غلكان، وفيات، 3/ 93 - 95؛ ابن سعيد، المغرب، 1/ 419.

احـــــــــلالا رأيـــــتـــــم اكـــلــنــا فـــي الــمــدونــة [1]

هذا وأشار أبو الحسن سليمان بن محمد السباعي المعروف بابن الطراوى (ت528هـ/ 1133م)[2] الى ظاهرة اجتماعية مفسدة ما كان يجب ان تكون بين أفراد شريحة الفقهاء فقال منددا بفقهاء مالقة:

اذا رأوا جـمـلا يـأتـي عـلـى بعد
مـــدوا الـيــه جميعا كــف مقتنص
ان جئتهم فــارغــا لــزوك فــي قـرن
وان راوا رشــوة افـتـوك بالرخص[3]

وعن هذا الجمع من الفقهاءقال ابن خفاجة في حقهم عندما اتخذوا الدين غطاء للوصول الى ماربهم:

درســـوا الـعـلـوم ليملكوا بجدالهم
فـيـهـا صـــدور مـــراتـــب ومـجـالـس
وتـــزهـــدوا حـتـى اصـــابـــوا فـرصـة
فــي أخـــذ مـــال مساجد وكنائس[4]

وقال اخر في حق هذا الصنف من الفقهاء...

اهـــل الـــريـــاء لبستموا ناموسكم
كالذئب ادلـــج فــي الـظـلام القاتم[5]

1- ابن فاقات، قلائد، 4/ 811؛ عماد الدين، خريدة، ق4 ج2/ 280.
2- ينظر: الضبي، بغية، ص290؛ ابن سعيد، المغرب، 2/ 208؛ المراكشي، الذيل والتكملة، سفر4/ 79 – 80.
3- ابن الابار، المقتضب، ص111؛ الزجالي، امثال، 1/ 230.
4- ابن خفاجة الاندلسي، ابو اسحاق ابراهيم، ديوان ابن خفاجة، تح: سيد غازى، ط2، (الاسكندرية: 1386هـ/ 1969م)، ص366.
5- التجيبي المرسي، أبو بحر بن صفوان بن ادريس، زاد المسافر وغرة محيا الادب المسافر، تح: عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، (بيروت:1980م)، ص113؛ المراكشي، المعجب، ص236.

ان مثل هؤلاء باعوا ضمائرهم، قد اتسعت مكاسبهم واموالهم، فجاءت الأمثال الأندلسية العامية توضح هذه الصورة، كقولهم "اسرع من يدفقي اذا أقل: خذ" [1]، وبسبب كل ذلك نجد ان الناس قد عزفوا عنهم وابتعدوا كل البعد فقال "خاف الله واتقيه، ولا تعامل فقيه" و"فقيه فجر، كلب احسن من" [2].

يتضح لنا من كل ماتقدم ما لهذه الشريحة من أهمية في الحياة العامة، وبالذات الذين لم يبغوا من مكانتهم سوى مرضاة الله تعالى والناس، وكيف اننا لمسنا وجود معيارين اقتصادي وثقافي قد اجتمعا في هذه الشريحة، الا ان المعيار الثقافي كان هو الغالب والذي على اساسه جعلنا الفقهاء احدى الشرائح الاجتماعي.

ثالثا: العامة

الشريحة الأكثر عددا، لانها تعد قاعدة الهرم الاجتماعي، حيث مارس افرادها عددا من المهن شأنها في ذلك شأن بقية مجتمعات العالم الاسلامي، تلك المهن التي اسهمت في خدمة المجتمع وديمومته ونموه وتطوره كالحدادين[3] والنجارين[4]، واولئك الذين عملوا في البيمارستانات[5]

1- الزجالي، امثال، 1/ 230.

2- الزجالي، امثال، 1/ 233.

3- ينظر: عياض، ترتيب، 4/ 804؛ الرصافي البلنسي، ابو عبد الله محمد بن غالبة، ديوان الرصافي البلنسي، جمعه وقدم له: احسان عباس، ط1، دار الثقافة، (بيروت: 1960م)، ص48.

4- ينظر: الرصافي البلنسي، ديوان، ص45؛ ابن سعيد، المغرب، 2/ 352.

5- ينظر: ابن الابار، المعجم، ص120.

والجزارين[1] والوراقين[2] وغيرهم الكثير ممن مارسوا مهن اخرى شاعت في المجتمع الأندلسي[3].

على ان باعة كل صنف كانوا يجتمعون في سوق خاصة بهم، كسوق العطارين في غرناطة[4]، وهنالك "ربض الدباغين" [5]، ولعل هذه التسمية جاءت من تجمع أصحاب هذه المهنة في ذلك الريض.

على ان المرأة الأندلسية قد مارست أيضا جملة من المهن، مما يدل على انها قد تبوأت مكادنة جيدة وتمتعت بحرية كافية جعلتها تعمل الى جانب واجباتها المنزلية، فمنهن من عملن في بيع اللبن[6]، واخريات عملن بمهنة الغزل[7]، وهذه المهن ليست

1- ينظر: الجزار السرقسطي، روضة، ص41 و54 و517 ومابعدها؛ ابن عبدون، رسالة، ص55؛ ابن عبد الرؤوف، احمد بن عبد الله، رسالة في اداب الحسبة والمحتسب، (ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب)، تح: أ. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للاثار الشرقية، (القاهرة: 1955م)، ص92؛ التجيبي المرسي، زاد، ص140؛ ابن سعيد، المغرب، 1/ 107 و2/ 244 – 245.

2- ينظر: ابن الابار، التكملة، 2/ 445؛ المراكشي، الذيل والتكملة، سفر1 ق1/ 109 وسفر6/ 456.

3- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 4/ 773 و4/ 908؛ الجزار السرقسطي، روضة ص40 – 41؛ الرصافي البلنسي، ديوان، ص48 و121 – 122؛ التجيبي المرسي، زاد، ص63 – 64؛ الضبي، بغية، ص67 و109؛ ابن الابار، التكملة، 1/ 158، 6/ 221؛ ابن سعيد، عنوان المرقصات والمطربات، تح: مهداد عبد القادر، مطبعة كاربوتيل، (الجزائر: 1949م)، ص42؛ المغرب، 1/ 143 و2/ 342؛ الزجالي، أمثال، 1/ 136 و180؛ المراكشي، الذيل والتكملة، سفر 1ق 1/ 109 و6/ 221 و456؛ ابن عذاري، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص134؛ ابن عبدون، رسالة، ص41 – 43 و50 و55 و87 و92 و97 و101 و105؛ ابن عبد الرؤوف، رسالة، ص89 و91 – 92 و101 – 103.

4- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر1 ق1/ 272.

5- ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص118.

6- ابن اللبانة الدانة، ابو بكر محمد بن عيسى بن محمد الخصي، شعر ابن اللبانة الداني، تح: محمد مجيد السعيد، مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل: 1397ه/ 1977م)، ص5؛ ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 667.

7- ينظر: ابن عبد الرؤوف، رسالة، ص87؛ الونشريسي، المعيار، 4/ 128؛ النويرى، نهآية، 23/ 460؛ مرعشلي، المعتمد، ص90.

كما يقال انها من احقر المهن[1]، فلا نعرف على اي اساس اصدر هذا الحكم. فلو كانت المهنة كذلك لما جاء المثل العامي في الاندلس ليقول:

"نعم اللهو للحرة المغزل" [2].

وهنالك النوائح[3] اللواتي يأتين في المأثم فيقفن وسط النساء، البواكي[4] كما عملن في غسل الملابس[5] وكدايات، فهذا اسماعيل بن ذى النون كان قد تربى "في احجار النساء والدايات" [6] وقد يسمين بالمربيات[7]،

ونجد اخريات قد كن قابلات[8]، ومنهن مرضعات[9]، واشتغلن بدور الخراج قسمين بالخراجيات[10]، حيث جاء عند ابن عبدون انه يجب ان ينهى نساء دور الخراج

1- الراشد، عبد الجليل عبد الرضا، علاقات دول الطوائف في الاندلس بالمرابطين، رسالة دكتوراه، مكتوبة على الالة الكاتبة، قدمت لكلية الاداب، جامعة عين شمس، (مصر: 1972م)، ص141.

2- ابن عبد البر القرطبي، بهجة، 1/ 55؛ مجهول، التحفة البهية والطرفة الشهية، مطبعة الجوانب، (القسطنطينية: 1302هـ/ 1884م)، ص105.

3- السقطي، ابو عبد الله محمد بن ابي محمد، رسالة في اداب الحسبة، (ضمن ثلاث رسائل أندلسية في اداب الحسبة والمحتسب)، تح: أ. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للاثار الشرقية، (القاهرة: 1955م)، ص48.

4- ابن حزم، طوق، ص111.

5- ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة، 2/ 125؛ المقري، نفح 42/ 211؛ علي، سلمى سلمان، المرأة في الشعر الاندلسي عصر الطوائف، ص400 – 484هـ، رسالة ماجستير مكتوبة على الالة الطابعة، قدمت لكلية الاداب، الجامعة المستنصرية، (العراق: 1406هـ/ 1986م)، ص12.

6- ابن الكردبوس، الاكتفا، ص79.

7- ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص41؛ ابن حزم، طوق، ص50 و126؛ ابن زهرة، ابن حزن، ص27.

8- ينظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو، المسالك والممالك، قسم خاص بالاندلس واوربا، تح: عبد الرحمن علي الحجي، نشر تحت عنوان ((جغرافية الاندلس واوربا في كتاب المسالك والممالك))، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، (بيروت: 1387هـ/ 1948م)، ص90؛ ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 380؛ الغرناطي، فرحة، (نص جديد)، ص18.

9- ينظر: التكملة، 1/ 181؛ علي، المرأة، ص74.

10- ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2/ 242؛ علي، المرأة، ص12.

عن كشف رؤوسهن خارج الفندق[1]، وعملن سجانات حيث قال ابن عبدون بانه "يجب ان يسجن القاضي من وجب عليها السجن من النساء... عند امرأة قابلة خيرة قد عرف القاضي فضلها، الى ان تنطلق، ويجعل لها القاضي اجرة على ذلك من بيت مال المسلمين" [2] واخريات احترفن نسخ المصاحف والكتب لما يتميزن به من اتقان ومهارة في الخط[3]، ومنهن من كانت حجامة ودلالة وماشطة[4].

ويبدو لنا ان ممارسة المرأة الاندلسية لهذه الأعمال، وربما غيرها، كانت يدافع رفع المستوى المعاشي للاسرة، فالشريحة العامة هي الاكثر تأثرا عندما تتعرض البلاد الى أزمات اقتصادية وفتن واضطرابات داخلية وحروب خارجية، فجاء المثل العامي لبعير عن ذلك بقولهم:

"اذا سمعت الامير يغني، أدر ان همومي تبكي" [5]

أما قولهم:

"لاتشك همك مع من لم يعنيه ما عناك" [6]

فان هذا المثل يوحي لنا بأن درجة التضرر بين أفراد هذه الشريحة يكاد يكون متقارباً، ولذا نلاحظ انه عندما وقعت الفتنة في عام (401هـ/ 1010م) شحت الاقوات لدرجة ان اهل قرطبة قد جلوا من ديارهم[7].

1- ابن عبدون، رسالة، ص50.

2- ابن عبدون، رسالة، ص19.

3- ينظر: المراكشي، المعجب، ص372؛ ويبيرا، خوليان، المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية، تعريب: جمال محمد، مجلة معهد المخطوطات العربية، ق1، م5، ج1، (القاهرة: 1959م)، ص94؛ حسين، الحياة، ص283.

4- ابن حزم، طوق، ص35؛ رسائل، المجموعة الاولى، ص142؛ بهجت، منجد مصطفى، (اعلام النساء مستلة من كتاب التكملة لابن الابار)، مجلة المورد، م19، ع1، (بغداد: 1990م)، ص101.

5- الزجالي، أمثال، 1/ 222.

6- الزجالي، أمثال، 1/ 113.

7- ابن الاثير، الكامل، 7/ 209؛ النويرى، نهآية، 23/ 427.

وعندما تولى كل من مظفر ومبارك الصقليين مدينتي بلنسية وشاطبة حيث بلغت "جبابتهما لأول ولايتهما مائة وعشرين الف دينار بالشهر"[1]، مما انعكس ذلك سلبا على الرعية وبالذات الفقراء منهم حتى صاروا "... يلبسون الجلود والحصر ويأكلون البقل والحشيش"[2] فتضرر الناس أشد الضرر واستعانوا بالله على شدتهم هذه[3]. لدرجة ان الحاجة قد وصلت بهم الى الاستغاثة بالصقلبي مظفر بعد وفاة مبارك، غير انه كان كصاحبه، فثاروا عليه ونهبوا قصره[4] وقتلوه، ولهم في عملهم هذا كل الحق لان الوضع لا يحتمل.

وبسبب الزحف النصراني باتجاه مدينة بلنسيه عام (487هـ/ 1094م) وخلو المدينة من "جيش الامير ابي بكر بن ابراهيم اللمتوني ... عن بلنسية، ايقن من فيها بالهلكة،... وهلك اكثر الناس جوعا، واكلت الجلود والدواب وغير ذلك" [5].

ان الأوضاع في هذه المدينة قد ازدادت سوءا، اذ تفاقم الغلاء واصبحت الاسعار لا تطاق، وقد وصف ابن عذارى هذا الوضع وتحدث عن أثمان البضائع والحجيات وما صارت اليه[6]. وقد عبر ابن حزم عن أثر الغلاء على اوضاع الناس عموما فقال بان "... غلاء الاقوات التي في غلاها هلاك الناس" [7].

وفي عام (498هـ/ 1105م) "تناهى القحط في بلاد الاندلس والعدوة حتى ايقن الناس بالهلاك" [8]، أما في سنة (554/ 1159م) وبسبب غلبة ابن مردنيش على عدد

1- ابن عذاري، البيان، 3/ 160.

2- ابن عذاري، البيان، 3/ 162.

3- ابن سعيد، المغرب، 2/ 299.

4- ابن الخطيب، اعمال، ص225؛ العبادى، الصقالية، ص21؛ حسين، الحياة، ص124.

5- ابن عذاري، البيان، 4/ 33؛ ينظر: ابن الخطيب، اعمال، ص204 – 205.

6- ينظر: البيان، 4/ 38 – 39، ابن القطان، نظم، ص197.

7- الأخلاق والسير، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، (بيروت: 1961م)، ص62.

8- ابن عذاري، البيان، 45/ 45.

من المدن الاندلسية، تدهورت الاوضاع الاقتصادية لدرجة ان الفرد الاندلسي اخذ يحرث ارض منزله للاستفادة مما سيزرعه فيها[1].

كل تلك الامور ساعدت على اشاعة ظاهرتين اجتماعيتين اولهما التسول، فقد كان الاندلسيون اذا راوا "... شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه واهانوه فضلا عن أن يتصدقوا عليه، فلا تجد في الاندلس سائلا الا ان يكون صاحب عذر"[2]. يتضح لنا من هذا ثلاثة أمور، اولها وجود اناس قادرين على العمل دفعتهم الظروف السالفة الذكر لممارسة هذه الظاهرة، كما ان النص يدلل على وجود ركود اقتصادي في البلاد والذي يؤدي الى كثرة العاطلين، والأمر الثالث هو اولئك الافراد غير القادرين على العمل لأسباب صحية تحول دون ممارسة الفرد اعمالا يسترزق منها، أو وجود عاهة أو عجز، لذا نجد ان اهل الاندلس في هذا الجانب قد عذروا ممارسها، ولذا قال ابن عبد البر القرطبي "الدعاء للمسائل احد العطائين، وقيل الرد على المسائل احد الصدقتين" [3].

غير ان الموقف الرافض لمن يمارس هذه الظاهرة وهو قادر على العمل تمثل بالمثل الشعبي القائل بان "غبار العمل أخير من زعفران العطلة" [4] وهذا دليل على ان المجتمع الاندلسي مجتمع عملي يدعو لذلك حتى قالوا "الجلوس بلا شغل يحمق"[5].

أما الأماكن التي تبرز فيها هذه الظاهرة الاجتماعية السيئة حيث تكون واضحة للعيان، هي الاسواق التي تكتض بالمشاة[6]، الذين يأتون لغرض التبضع فيكون عدد

1- ابن الخطيب، اعمال، ص261؛ خلاف، قرطبة، ص161.
2- المقري، نفح، 1/ 220.
3- بهجة، 2/ 90.
4- الزجالي، أمثال، 1/ 226؛ وهو نفس المثل القائل ((تراب العمل ولازعفران البطالة))، الابشهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، المستظرف في كل فن مستظرف، ج1، (مصر: د - ت)، ص34.
5- الزجالي، أمثال، 1/ 132 و266.
6- المقري، نفح، 1/ 220.

المحسنين دون شك أكثر من أي مكان اخر، لذا فضل المتسولون الاسواق دون غيرها، والمكان الثاني هو الجلوس أمام أبواب المساجد وقد نهى عن ذلك لان المتسول "... قد يشغب على من يكون في الصلاة" [1].

والظاهرة الثانية هي السرقة، التي تعد من الامور المخالفة للشرع الاسلامي، لذا كان على مرتكبها ان يناله الجزاء طبقا لقوله تعالى ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2]، وقد استغل هؤلاء الظروف التي مرت بها البلاد، فعندما تضعف السلطة المركزية يؤدي ذلك الى فقدان الامن والامان. فهذا ابن حزم قال متحدثا عن الفتنة التي وقعت في قرطبة كان "الناس في فزع... بقرطبة فسألوا فقهاءهم الجمع بين المغرب والعشاء لئلا يتعرض لهم وتلصصة... في المنعطفات والدروب المظلمة" [3]، ومن الطبيعي ان يكثر السراق والقتلة في أوقات الأزمات والفقر فصارت المدن الاندلسية لا تخلوا من "سماع "دار فلان دخلت البارحة" و "فلان ذبحه اللصوص على فراشه" ..." [4].

ان الأفعال المشينة هذه كانت محل سخرية ونقد، لأنها مخالفة للشرع، لذا قال ابو اسحق الالبيرى[5]:

لاخير من كسب الحرام وقلما
يرجى الخلاص لكاسب الحلال

ما ان سمعت بعائل تكوى غدا
بالنار جبهته على الاغلال

1- الونشريسي، المعيار، 1/ 147.
2- سورة المائدة، آية (38).
3- الرد، ص22.
4- المقري، نفح، 1/ 219.
5- ديوان، ص40.

واذا اردت صحيح من يكوى بها
فاقرأ عقيبة سورة الأنفال[1]

على ان القانون هو الاخر كان وما يزال حازما في رد مثل هؤلاء ضعيفي النفوس، فقد وصف لنا أحد الشعراء منظرا لثلاثين رجلا من قطاع الطرق وقد صلبوا على نهر قرطبة بقوله:

ثلاثون قد ركبوا خيلهم
وقد فتحوا اذرعا للوداع
وما ودعوا غير ارواحهم
فكان وداعا لغير اجتماع[2]

ويلاحظ ان العامة كانت تنساق أو تشارك في الاحداث والاضطرابات السياسية أو انها كانت تمارس نشاطات سياسية[3]، ففي عام (485ه/ 1092م) نجد ان أهل بلنسية قدموا القاضي ابن الجحاف وذلك عندما راوا من ولي أمرهم (القادر) "منكرا كثيرا وصادق الفنش وهاداه وراسله فخاف أهل بلنسية منه ان يملكها للفنش كما ملكه طليطلة فاجتمعوا وعزموا على قتله" [4]، والشيء نفسه قام به أهل بلنسية عندما وجدوا اتصالا وتعاونا بين لبيب الصقلبي والعدو[5].

1- يراد به قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴾، سورة التوبة، الايتين (34 و35).

2- ابن سعيد، اختصار، ص90؛ الزجالي، امثال 1/ 261؛ المقري، نفح، 3/ 315 – 316.

3- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 84؛ الحميدي، جذوة، ص18؛ الضبي، بغية، ص20؛ ابن الابار، الحلة، 2/ 6؛ المراكشي، المعجب، ص88؛ ابن عذاري، البيان، 3/ 74 و4/ 93 و(القسم الخاص بالموحدين) ص102.

4- مجهول، أخبار، (ملحق بالبيان لابن عذاري)، 3/ 35؛ حسين، الحياة، ص128 – 129.

5- ابن عذاري، البيان، 3/ 163؛ سالم، تأريخ مدينة المريه الاسلامية، قاعدة الاسطول الاندلسي، ط1، دار النهضة للطباعة والنشر (بيروت: 1969م)، ص73.

على ان العامة في موقفهم ذلك، لهم كل الحق لان الاستعانة بغير المسلمين امر يرفضه الشرع الاسلامي فقد جاء في منزل كتابه العزيز ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [1].

ولسوء سياسة اولي الأمر وادارتهم من خلفاء وأمراء فقد زعوا البغضاء والكراهية في قلوب العامة ودفعوهم الى الهيجان، فعندما تمت بيعة سليمان ابن الحكم في قرطبة عام (400هـ/ 1009م)[2] قد "نفذت عنه كتب الى نواحي الجزيرة بخبر فتح قرطبة وكانت موشحة بما توشح به كتب الفتوح الاسلامية على الفتك والاستباحة، وشدة السطوة... فافرط في ذلك ارهابا للناس بذكره وتخويفا لهم من مثله فكان اجلب لنفار القلوب... ونبش الحقود... وانقادوا لكل من عانده ورد أمره من عبد أو حر" [3]، الامر الذي يدلل على انعدام الثقة بين الحاكم وعامة الناس وهذا دليل على انه تولى الامر بالقوة رغم معارضة العامة الشديدة والا لما كتب هذا الكتاب وبهذا الاسلوب الذي يوضح سياسة العنف والشدة التي لم تأت بالنفع للصالح العام.

وفي عام (417هـ/ 1026م) تولى ابو بكر بن يعيش بن محمد الأسدي أمر مدينة طليطلة غير انه لم يعط أهمية لمنصبه مما جهل أهلها يخرجون عليه فخلعوه وقتلوه مع ولده[4]، وتمثل سوء الادارة بما فعله الخليفة محمد بن عبد الجبار (المهدى) حينما انحاز لمجموعة دون اخرى مما دفع بالمجموعة التي كان ضدها الى قيامها بحركة ضده[5]، ولسوء اختيار الخليفة هشام وزيرا له في

1- سورة المائدة، آية (57).

2- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 36.

3- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 37.

4- ينظر: عياض، ترتيب، 3/ 56 و61 و82.

5- ينظر: ابن عذاري، البيان، 3/ 56 و61 و82.

عـام (420هــ/ 1029م) والذي اتصف بسـلوك سـيء دفـع ذلك بأهل قرطبـة الى قتل وزيره وخلع الخليفة[1].

أما في عام (455ه/ 1063م) حيث تولى وزارة الدولة ابن السقا الذي أخذ يقطع أموال الناس فكون ثروة كبيرة، ان ذلك جعل العامة تتحرك على هذا الوزير فقتلته واخذت امواله واموال اتباعه[2].

ونلاحظ ان العامة قد تستغل عبث بعض اولي الامر واجهارهم بالاستهتار كالذي حدث مع المعتمد بن عباد حيث "جاهر بالخلاعة والاستهتار حتى كتب عليه اهل اشبيلية بأنه قد عطل صلوات الجمع عقودا" [3] موجهين هذه الشكوى الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذي قام في العبور الثالث (483هـ/ 1090م) بخلعه وسجنه[4]، ويبدو ان ذلك كان احد أسباب هذا الاجراء.

كما وان الفراغ السياسي يعد من اسباب هيجان وخروج العامة، فعندما فر الخليفة المستعين بالله ومن معه الى شاطبة عام (400هـ/ 109م) تاركا الحاضرة قرطبة دفع ذلك بالعامة الى التوجه نحو مدينة الزهراء "فنهبوا ما وجدوا فيها... وقتلوا من وجدوا بها"[5]، وايضا ما جرى في سنة (566هـ/ 1170م) حيث "... دخل الخلل في حال ابن مردنيش واعتلت نفسه... ورأى الناس ان حاله قد مالت وزالت، قامت

1- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3 م1/ 518 و525؛ ابن الأثير، الكامل، 7/ 290؛ المراكشي، المعجب، ص107؛ ابن سعيد، المغرب، 1/ 85؛ فليح، رعد حسن، الحياة الثقافية في قرطبة وعلاقتها بالمغرب العربي في الخامس الهجري، رسالة ماجستير مكتوبة على الاله الطابعة، قدمت لكلية الاداب، جامعة بغداد (العراق: 1404هـ/ 1984م)، ص38 - 39.

2- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 239 ومابعدها.

3- الشرواني، أحمد بن محمد بن علي بن ابراهيم الانصارى، حديقة الأفراح لازاحة الاتراح، مطبعة الميمنية، (مصر:1320هـ)، ص215.

4- ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص170 - 171؛ ابن خاقان، قلائد، 1/ 86 وما بعدها؛ ابن أبي زرع، الانيس، ص169؛ ابن الخطيب، اعمال، ص163.

5- ابن عذاري، البيان، 3/ 95.

العامة من أهل مدينة لورقه بدعوة الموحدين" [1] ولعل للعامة في اجراءهم هذا حق، لأن هذا الخلل قد يدعوا الى زحف الممالك النصرانية نحوهم وبالتالي فان ذلك ليس في مصلحة البلاد، فكانت دعوتهم للموحدين هي الأفضل، وقد يكون كره العامه لابن مردنيش بسبب سوء سياسته هو مادفعهم لهذا لاجراء.

على ان مصادرنا التأريخية قد افاضت بذكر احداث بينت فيها خروج العامة في مدن أندلسية عديدة وبفترات مختلفة، الا ان تلك المصادر لم توضح الاسباب الموجبة لذلك[2]، وبسبب ان معظم تلك الأحداث التي وقعت لم تكن منظمة وبالتالي فليس لها أهداف محددة، الامر الذي دفع ببعض من ذوى النفوس الضعيفة الى استغلال تلك الحالات لتحقيق مآربهم الشخصية، لذا - كما نعتقد- جاء المثل الشعبي الاندلسي ليقول "فاما هلك، واما ملك" [3].

وبالمقابل وفي بعض الأحيان نجد بعض ولاة الأمر ينفذون رغبات العامة، من ذلك ماذكره المقرى عن موقف العامة من علم الفلسفة والتنجيم، فيقول عن أهل الأندلس ان "... كل العلوم عندهم بها حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم، فان لها خطا عظيما عند خواصهم، ولا يتظاهرون بهما خوف العامة،فان كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة (او يشتغل بالتنجيم) اطلقته عليه العامة اسم زنديق وقيدت عليه انفاسه، فان زل شبهه رجموه بالحجارة أو احرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان أو يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة" [4].

1- ابن عذاري، البيان، القسم الخاص بالموحدين، ص86.

2- ينظر: ابن الدلائي، ترصيع، ص106 و108؛ المراكشي، المعجب، ص100 و121؛ ابو الفدا، المختصر، 2/ 146 - 147؛ الذهبي، العبر، 3/ 179؛ ابن الوردى، تأريخ، 1/ 456 - 457؛ النباهي، المرقية، ص94؛ ابن خلدون، العبر، ق1 م4/ 328 - 329 و332 - 334؛ النوبرى، نهآية، 23/ 433.

3- الزجالي، أمثال، 1/ 113.

4- نفح، 1/ 221؛ احمد، مظهر، الاسلام ونهضة الاندلس، ط2، مطبعة الترقي، (دمشق: 1383هـ/ 1963م)، ص35.

ولابد من القول ان مسألة ارضاء جميع شرائح وفئات المجتمع أمر مستحيل، فقد سئل، أبو يحيى وهو أخو الخليفة المنصور الموحدي، بعد أن عزل عن ولاية قرطبة، كيف وجدت أهلها؟ فقال: "مثل الجمل ان خففت عنه الحمل صاح، وان اثقلته صاح، وما ندري أين رضاهم فنقصده ولا أين سخطهم فنجتنبه" [1]، فصار ذلك القول مثل شعبي تنطق به الألسن[2]. ومقابل ذلك فأن الناس لن تجتمع كلها على قبول أو رفض شخص ما، ذلك ما قاله ابن بلقين بأنه "لايتفق الناس أجمع على مدح أحد ولا في ذمه"[3].

واخيرا نقول على الرغم مما عاناه المجتمع الأندلسي، شرائحه وفئاته كافة من جراء الحروب والفتن والازمات الاقتصادية، فان التأريخ قد شهد ويشهد، بأن المجتمع الاسلامي في الأندلس كان يتغاضى عن كل الخلافات والفروق الموجودة فيه، فيتوحد عندما تتعرض البلاد الى خطر خارجي، حيث سجل لنا التأريخ احداث عدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، ما جرى في عام (511هـ/ 1117م) حيث "... تحرك أمير المسلمين علي بن يوسف... الى بلاد الأندلس... وتأهبت العساكر الأندلسية ولحقت من قرطبة لمة من الفقهاء والعلماء ولفيف من المجاهدين الزعماء خيلا ورجلا وتأهب فقهاء أشبيلية ومجاهدوها واستوفت مطوعة غرناطة ومرتبوها..." [4].

1- المقري، نفح، 1/ 155.
2- الزجالي، أمثال، 1/ 156 - 226؛ المنوني، العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين، المطبعة المهدية، (المغرب:1369هـ/ 1950م)، ص74.
3- التبيان، ص14.
4- ابن عذاري، البيان، 4/ 64؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص233.

الفصل الثالث

الاسرة الاندلسية

والمجالس الاجتماعية

أولا- الاسرة الاندلسية

أ/ الزواج

ب/ العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة

1 - العلاقة بين الزوجين

2 - العلاقة بين الوالدين والأبناء

أ - الام

ب - الاب

3 - العلاقة بين الأبناء

ج/ المستوى المعاشي

د/ الطلاق

ثانيا - المجالس الاجتماعية

أ/ مجالس الوعاظ

ب/ المجالس الأدبية

ج/ مجالس الأنس والطرب

د/ المجالس الثقافية

الأسرة الأندلسية والمجالس الاجتماعية

أولا ـ الاسرة الأندلسية

تعد الأسرة نواة أي مجتمع فدراستها والبحث فيها أمر ضروري، لأننا من خلال ذلك نستطيع أن نوضع صورا اجتماعية مهمة لطبيعة المجتمع الأندلسي، على ان تناولنا للأسرة سوف يكون كالآتي: -

أ ـ الزواج

لأجل بناء اسرة صالحة وسليمة خالية، على قدر الامكان، من المشاكل لابد من أن تتوفر جملة من الأسس والمؤهلات لكلا الطرفين (الرجل والمرأة) والتي على أثرها يتم تكوين الأسرة. على ان ذلك يمكن معرفته عن طريق الاستفسار ممن يعرفون المرأة أوالرجل، ولأهمية هذا الاجراء جاءت الأمثال الشعبية لتقول "العرق دساس"[1] "اى هو النمش ثم فتش" [2].

ويبدو ان العرف السائد بأن يكون الرجل هو البادىء بالسؤال عن المرأة التي يريد الارتباط بها، أوضح ذلك ابن حزم في باب "المساعد من الاخوان" [3] بقوله:

1- الزجالي، أمثال، 1/ 244.

2- الزجالي، أمثال، 1/ 243.

3- ينظر: طوق، ص48.

وهـــل يــلــزم الانـــســـان الا اخـتــيــاره
وهــل بخبايا اللفظ يؤخذ صامت[1]

ومن الملاحظ ان الرجل عندما يريد الزواج من امرأة مطلقة، فاننا نجده يتوجه بالسؤال الى طليقها لعله يعرف الاسباب الموجبة لذلك الطلاق، فلا عجب أن نرى رجلا يصف طليقته بحسن الخلق، كالذي حدث مع أبي العلاء بن عبد الحق المرسي عندما سأل أحد اصحابه ما اذا كان يريد الزواج فاشار الأخير الى طليقته ذاكرا "... انها كانت في عصمتي ثم خرجت عني... فهي بمكان لمن يرغب في الدين والدنيا فتزوجها" [2].

هنا قد يتبادر الى الذهن سؤال ما هي الأسباب التي دفعته الى طلاق زوجته وهي بتلك الصفات؟ ان للطلاق أسبابا عده كأن يكون خطأ منه أو نزوة أو هفوة...الخ أو انه وجد في نفسه علل، بها يظلم تلك المرأة فطلقها، لأن المعاشرة يجب أن تكون بالمعروف وكذا الطلاق لقوله تعالى ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾[3].

علـى ان التكافـؤ بين الرجـل والمـرأة [4] من مقومات الاسـرة الجيـدة، ويتأتى مـن عـدة امور مثـل المستوى الثقافـي، فهذا قاضي لوشـة قد تـزوج مـن ذات معرفة بالأحـكام والنـوازل بعد ان وصـف له ذلك[5]، ومثلـه فعل قاضي غرناطة ابو القاسـم بـن هشـام بن ابي حمـزة الذي تولـى القضاء عـام (528هـ/ 1133م) حيـث تزوج من امـرأة وصفـت بأنهـا "قد فاقت نسـاء زمانها فـي الـذكاء والفهم في كل نـوع من أنواع العلم" [6].

1- ابن حزم، طوق، ص36.
2- ابن سعيد، اختصار، ص26.
3- سورة البقرة، آية (231).
4- ابن عبد الرؤوف، رسالة، ص79.
5- ينظر: المقري، نفح، 4/ 294.
6- ابن الزبير، صله، (ضمن الذيل للمراكشي)، سفر8 ق1/ 566.

ومنها النسب فهو أمر ضروري لكلا الطرفين، فقد نظر ابن خفاجه الى هذه الناحية أكثر من غيرها عندما زوج اخته الى ابن الزقاق الذي كان فقيرا ولكنه كان ذا نسب معروف[1]، واذا لم يراع النسب في الزواج فانه يكون محل انتقاد وفي ذلك يقول الشاعر:

عـــربـــي مـــزوج   عــبــده بــنــت اختــه

قــبــح الــلــه مــثــل هــذا   ورمــــاه بــمــقــتــه [2]

ومن مظاهر التكافؤ بين الرجل والمرأة جمال الشكل لكلا الطرفين، فهذه نزهون بنت القليعي قالت في رجل قبيح الصورة تقدم لخطبتها:

عــذيــري مــن أتــوك اصــلــع

سـفــيــه الاشــارة والــمــنــزع

يــروم الــوصــال بــمــا لــو انــي

يــروم بــه الــصــفــع لــم يصفع

بــرأس فــقــيــر الــى كــبــيــة

ووجــه فــقــيــر الــى يــرقــع[3]

وقد لفت عدم التكافؤ في الشكل، نظر القاضي ابن حمدين عندما تخاصم لديه رجل اسود وامرأته البيضاء، فقال:

رأيــت غــرابــا عــلــى سوسنه

فــكــان بــشــيــرا بــســوء الــسـنــة

فــيــا مــرود الــســاج زد عــزة

ويــا مكحل الــعــاج زد مهونة[4]

1- ابن الزقاق البلنسي، ديوان، ص30.

2- ابن الابار، الحلة، 1/ 278؛ الزجالي، أمثال، 1/ 222.

3- ابن الابار، المقتضب، ص164.

4- ابن سعيد، رايات، ص68؛ البلوى، ألف باء، 2/ 444؛ عماد الدين، خريدة، ق4 م2/ 221.

اما المستوى المعاشي الذي يوفره الرجل للمرأة كي تعيش بمستو يليق بها، فيعد هو الاخر من اسس بناء الاسرة، وهذه الناحية صورها لنا الخليفة عبد الرحمن بن هشام (المستظهر بالله) بقصيدة وجهها الى ام خطيبته (حبيبة)[1] جاء فيها:

ومـــاذا عــن ام الـحـبـيـبـة- اذ رأت
جلالة قــدرى- ان اكــون لها صهرا؟
جـعـلـت لـهـا شـرطـا عـلـى تعبدي
وسقت اليها في الهوى مهجتي مهرا
فــان تصرفيني يــا ابنة العم تصرفي
- وعيشك- كـفـؤا مـد رغبته سترا
جـــمـــال واداب وخــلـــق مــوطـأ
ولفظ اذا ماشئت اسمعك السحرا[2]

ان هذه الامور تتم عن طريق الاستفسار، فكما كان الرجل يسأل عن المرأة بالمقابل فأن ولي المرأة هو الاخر كان يستوضح عن الرجل بالتحري حتى يشهد "عنه قوم ان فلانا كف في حاله وماله" [3]، ويبدو ان سؤال أهل المرأة عن الرجل لا يتم الا بعد ان يتقدم الرجل الى خطبة ابنتهم وقبل استحصاله على الجواب سلبا كان ام ايجابا.

وللخطوبة طرق منها ان تقوم امرأة من المسنات بهذا الدور لأنها كاتمة للأمر[4]، اضافة الى كونها ذات معرفة جيدة بعائلة المرأة وبالمرأة نفسها ولديها القدرة على الاقناع وتهيئة الظروف المناسبة لاجراء الخطوبة، الى جانب ذلك وعلى حد قول

1- ابن الابار، الحلة، 2/ 13.
2- ابن الابار، الحلة، 2/ 14.
3- ابن سهل، الاحكام الكبرى، اوراق مصورة عن المرأة من هذه المخطوطة، مكتبة الدكتور خليل ابراهيم الكبيسي، ورقة 81.
4- ينظر: ابن حزم، طوق، ص49.

ابن حزم وهو يتحدث عن المرأة المسنة بأن احب "اعمالها اليها وارجاها للقبول عندها سعيها في تزويج يتيمة" [1].

وقد يعجب ولي أمر البنت بشخصية رجل يعرفه معرفة جيدة، فيبادر هذا الولي الى تقديم ابنته كزوجة لذلك الشخص، كما فعل أبو داود سليمان بن نجاح الذي زوج ابنته لأحد تلاميذه المدعو احمد بن محمد الانصارى حيث قال "له... يوما اتحب ان ازوج بنتي قال فخجل الفتى من ذلك..." [2].

على ان الامر ليس بغريب، فقد اشار اليه الرسول الكريم محمد ﷺ بقوله: "اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض" [3].

ان سوء الأوضاع الاقتصادية كانت تؤثر على المرأة، اذ انها قد تهمل نفسها، فتتغير محاسنها وتذهب نظارتها مما ينعكس على وضعها الاجتماعي عموما[4]، وفي اوقات الفتن والازمات السياسية كانت البنت مصدر قلق لذويها، فهذا الأمير عبد الله بن بلقين الذي زوج اختيه[5] يقول: اننا "اردنا اكتساب الحسنة مع الستر، وانه متى عرض عارض كان البعل مكتفيا بامرأته" [6]، وفي الأمثال العامية الاندلسية ما يشير الى ذلك بقولهم: "هم البنات للممات" و"وي على من فات، وخلى سبع بنات" [7].

1- طوق، ص50.

2- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر 1 ق1/ 416 وسفر 8 ق2/ 478.

3- الترمذى، محمد بن عيسى بن سوره بن الطحال السلمي، سنن الترمذي، ط1، المطبعة المصرية بالازهر، ج4، (مصر: 1350هـ/ 1931م)، ص350.

4- ينظر: ابن حزم، طوق، ص112.

5- ابن بلقين، التبيان، ص139 - 140.

6- ابن بلقين، التبيان، ص143.

7- الزجالي، امثال، 1/ 243.

وفي الخطبة يجري بحث بعض الامور مع ولي المرأة كالصداق والمؤجل ومقداره ووقت سداده، وبعد الاتفاق يتم توثيق ذلك كله في عقد القران[1]، وقد يحدث خلاف بين الطرفين حول متطلبات الزواج، مثل الجهاز[2] أو مقدار المهر، وفي هذا يقول ابن سهل "اذا اختلف الزوجان في الصداق فالقول قول المرأة قبل البنا... ان كانت ثيب أو قول أبيها... اذا كانت بكر ثم الزوج مخير" [3] وهذا مبني على أساس قول الرسول محمد ﷺ، " ليس للوالي مع الثيب أمر" [4] و "الثيب احق بنفسها من وليها، والبكر يستامرها ابوها واذانها صماتها" [5].

على ان الصداق لم يكن له حد أعلى بل له حد أدنى لقول ابن سهل: "... ولاحد لاكثره وأقله محدود وهو ربع دينار أو ثلاثة دراهم كيلا أو ما قيمه احداهما" [6] ولا "يجوز التواطئو على اسقاطه ويجوز تأخير فرضه الى حين البناء" [7]، ومن بعد الاتفاق على ماتقدم نرى ان الرجل يقدم هدية الى خطيبته[8] "ابتغاء المكافأة" [9]، والتي نسميها اليوم بالنيشان، فهذا الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عندما تزوج ابنة ابن مردنيش

1- ينظر: ابن سهل، الحكام، ورقة85؛ ابن رشد، فتاوى، 1/ 178 - 180 و224 ومابعدها.
2- ابن سهل، الاحكام، ورقة100.
3- الاحكام، ورقة74.
4- النيسابورى، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى، صحيح مسلم، تح: عبد الله احمد أبو زينة، م3، (القاهرة: د - ت)، ص576 - 577؛ ابو داود، سليمان بن الأشعت السجستاني الازدى، سنن أبي داود، مراجعة وتعليق وضبط، محمد محي الدين عبد الحميد، دار احياء السنة النبوية، ج2، (د - م: د - ت)، ص233.
5- احمد بن حنبل، ابو عبد الله احمد بن محمد الشيباني، مسند احمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج1، دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت: د - ت)، ص219.
6- الأحكام، ورقة 73.
7- الكناني، العقد المنظم للحكام في ما يجري بين أيديهم من العقود والاحكام، المطبعة المهدية، ج1، (القاهرة: 1302هـ)، ص3؛ وينظر: ابن عبد الرؤوف، رسالة، ص80.
8- ابن سهل، الاحكام، ورقة84.
9- الكناني، العقد، 1/ 33.

عام (574هـ/ 1178م) نجده قد أرسل اليها "ألف دينار عينا وقال انما وجهت لها بهذا العدد تأنيسا" [1].

على ان الهدية اما ان تكون عرفا أو لا تكون[2]. غير انه من الملاحظ ان المجتمع الأندلسي قد جمع كلتا الحالتين، الا ان السائد هو اقبال أهل المرأة المطالبة بهدية العرس[3]، لذا قال ابن سهل بأن الزوج اذا اهدى لزوجته "هدية ثم طلقها قبل الدخول بها فلا شيء له في الهدية" [4]. أما القسم الآخر من الناس الذين لم يطالبوا الزوج بالهدية غير انه فعل ذلك، فليس له الحق بالمطالبة بها اذا ما انفصل عن زوجته مع وقوع البناء[5].

وقد عد ابن عبد الرؤوف الخطبة من شروط عقد النكاح[6] الى جانب ماذكره ابن سهل ان شروط "... النكاح ثلاثة الولي والصداق وشاهدان وسننه اظهاره والوليمة والدخول" [7] هذا وقد جرت العاده بعمل الوليمة ودعوة الناس اليها في الخطبة وعقد النكاح[8].

وليس من الضروري أن يكون ولي أمر المرأة والدها، على ان الأسباب في ذلك كثيرة منها عدم اهليته أو انه قد اوصى رجلا بأن يتولى امرها حين وفاته، عندها يكون للموصى اليه حق في اختيار الزوج للمولى عليها[9]، أو قد يكون الوالي من أقارب

1- ابن عذارى، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص108.

2- ينظر: الونشريسي، المعيار، 3/ 47.

3- ينظر: الاحكام، ورقة 84.

4- ابن سهل، الاحكام، ورقة85.

5- ابن عبد الرؤوف، رسالة، ص81.

6- رسالة، ص79؛ عباس، فائزة حمزة، دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة من الفتح حتى نهاية الخلافة الأموية، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الطابعة، قدمت لكلية الاداب، جامعة الموصل، (العراق: 1410ه/ 1989م) ص62.

7- الاحكام، ورقة73.

8- الونشريسي، المعيار، 3/ 92.

9- ينظر: ابن رشد، فتاوى، 1/ 273 - 274.

البنت كالعم[1]، وفي هاتين الحالتين لا بد من أن يشهد على التولية أكثر من رجل واحد لأن "الوكالة لاتثبت في النكاح... بالشاهد الواحد" [2]، كما اجاز ابن رشد بولاية الام في نكاح ابنتها[3]، يبدو ان ذلك في حالة غياب الأب أو الوكيل.هذا ويتفق الطرفان (الرجل والمرأة) على تثبيت بعض الشروط في عقد نكاحها، كشرط عدم التسرى عليها[4]، أو أن يعدها طالقة اذا ما تزوج بغيرها[5]، كما اشترط احدهم على نفسه "أن لا يرحلها من دارها مالم يطلب بكرائها" [6] وغير ذلك مما جاء في كتب الفتاوى[7].

على ان قاضي الأنكحة عندما يروم كتابة عقد النكاح يتوجه قبل ذلك بأسئلته الى الفتاة ان كانت "... أيم غير ذات زوج ولا في عدة منه، وانه لا ولي لها وانه ليس لها الا ولي غائب وان الزوج كفء لها، وان الذي فرض لها صداق مثلها ان كانت بكر يتيمة، فأن فوض اليه القاضي الذي قدمه اثبات ذلك عنده والا لم يصلح له تزويجها حتى يثبت ذلك كله عند القاضي" [8].

وهنا يبدو لنا ان الطرفين الرجل والمرأة هما اللذان ذهبا الى القاضي لاجراء العقد، في حين نجد انه في عام (451هـ/ 1059م) ذهب جمع من فقهاء طليطلة ونبهائها في وفد لغرض اتمام عقد قران ابنة المأمون بن يحيى بن ذى النون للمظفر عبد الملك صاحب بلنسية[9]، وهنا برزت حالتان تمثلت الاولى بعامة الناس وهو أمر

1- ابن رشد، فتاوى، 1/ 294 - 295.
2- الونشريسي، المعيار، 3/ 92.
3- الفتاوى، 1/ 283 - 284.
4- ينظر: ابن سهل، الاحكام، ورقة100؛ الونشريسي، المعيار، 3/ 17 و142.
5- ينظر: ابن رشد، فتاوى، 1/ 173.
6- ابن سهل، الاحكام، ورقة101.
7- ينظر: ابن رشد، فتاوى، 1/ 608 - 609؛ الونشريسي، المعيار، 4/ 100 و440.
8- ابن رشد، فتاوى، 1/ 273 - 274.
9- ابن الابار، التكملة، 1/ 137.

طبيعي ان يذهبوا الى قاضي الأنكحة لاجراء اللازم، والثانية بالخواص من رجال الدولة.

بعد عقد القران نجد ان اهل العروس يقومون بتجهيز ابنتهم[1] بجهاز يطلق عليه اسم (الشورة)[2]، حيث اشتهرت مدينة مرسيه بذلك وفي هذا يقول المقرى انها "... بلده تجهز منها العروس التي تنتخب شورتها"[3] على ان زواج البنت في بعض الأحيان يكون مكلفا أو فوق طالقة ذوى الدخل المحدود، مما يدفعهم الى الاستدانة كما حدث مع أحد أصحاب ابي بكر محمد بن ابي مروان بن ابي العلا الذي كان يلعب الشطرنج، فأوجس أبو بكر في صاحبه هما، "فقال له: مالخاطرك؟ فقال... في وقتنا هذا ثلثمائة دينار الا خمسة" [4] والذي يؤكد ماذهبنا اليه، الامثال العامية وهي كثيرة في هذا الجانب كقولهم "ما اطيب العرس لولا النفاقه" و"العرس طيب ولكن نفقته كبيرة" و"زوجوه حوجوه" و"من زوج حوج" [5]، الأمر الذي يشير الى تردي الوضع الاقتصادي لمثل هؤلاء.

وكان على الزوج أن يعد وليمة تتناسب ووضعه المادى وان يستدعي زمارا والغرض من ذلك اظهار العرس واشهاره[6]، وكثيرا ماكان ابناء الشريحة العامة يقيمون اعراسهم في الشوارع العامة، لذا قال الحميدي "فلعهدى بعرس في بعض الشوارع بقرطبة، والنكورى الزامر قاعد في وسط الحفل وفي رأسه قلنسوة وشي وعليه ثوب خز عبيدي وفرسه بالحلبيه المحلاة يمسكه غلامه" [7]، ومما يلاحظ ان بعض الأعراس

1- ينظر: ابن رشد، فتاوى، 1/ 188 – 190؛ الونشريسي، المعيار، 3/ 136.
2- ابن سهل، الاحكام، ورقة 104؛ الونشريسي، المعيار، 3/ 119.
3- نفح، 3/ 221.
4- ابن ابي اصيبعة، عيون، ص522.
5- الزجالي، أمثال، 2/ 242.
6- ينظر: هذا الفصل هامش (5)، ص75؛ الونشريسي، المعيار، 3/ 250 – 251 و11/ 223.
7- الحميدي، جذوة، ص134.

كان يتخللها الشراب لذا كان من المحيطة "أن يؤخذ سلاح الشبان عند اقبالهم عند العرس، قبل أن يشربوا، واذا ظفر بالمعربد، كتف واهبط الى صاحب المدينة" [1] وهذا يخالف الشرع الاسلامي استنادا الى قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ [2].

على ان بعض العوائل ذات الوضع الاقتصادي الجيد، تقوم باستدعاء طباخ يعمل لهم كل مايحتاجونه في الوليمة، بعد ان يتفقوا معه على الأجر الذي سيأخذه[3] ثم يقوم العريس بدعوة الأصدقاء والاقـارب، ففي عام (477هـ/ 1084م) وجه المستعين بالله حاكم سرقسطة دعوته الى كبار الكتاب والوزراء لحضور حفلة زفافه، وقد يتخلف أحد المدعوين لسبب ما[4]، حيث أظهر في حفلته هذه "... من الالات المبتدعة، والادوات المخترعة، مايبهر الألباب" [5].

اذن فان تلك العوائل هي ممن ينتمون الى الشريحة الغنية، ولذا نجد ان حفلاتهم تلك تتصف بالاسراف، وقد أشار الى ذلك ابن الأزرق وهو يتحدث عن حفلة عرس المأمون بن ذى النون بطليطلة التي بلغت غاية في الاسراف والبذخ والترف[6].

لقد رفض بعض الفقهاء استخدام نوع معين من الالات الموسيقية في حفلات الزواج، فأبن عبدون يرى انه يجب ان يؤمر "يمنع اللهو كله على انواع من الأعراس وغيرها كالعود وغيره، الا ما كان الدف العربي... واختلف في الكبر" [7] وابيح الغناء في

1- ابن عبدون، رسالة، ص54.
2- سورة المائدة، آية (90).
3- ينظر: ابن عبدون، رسالة، ص52.
4- ابن خاقان، قلائد، 1/ 198؛ عماد الدين، خريدة، ق4 ج1/ 327 - 328.
5- المقري، نفح، 1/ 641؛ سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ج2، (بيروت: 1972م)، ص108.
6- بدائع، 2/ 259 وهامشها رقم (249).
7- رسالة، ص83؛ وينظر: الونشريسي، المعيار، 6/ 416 - 417.

الأعراس[1]، أما الرقص فهو الاخر كان يرافق عزف الآلات الموسيقية وشد المغنين، فقد أورد ابن سعيد خبرا مفاده ان ابا القاسم احمد بن الفقيه ابي بكر بن الملح قد تزوج من امرأة كانت ترقص في الأعراس[2]، على اننا سنفصل موقف الفقهاء هذا في الفصل القادم.

على ان العروس كانت تجهز نفسها لهذه الليلة فترتدي الرداء المفضفض[3]، والحلة ذات اللون الذي يشبه لون الزعفران[4]. هنا قد يتبادر الى الذهن سؤال الا وهو لماذا لم يكن اللون الأبيض هو لباس العروس في ليلتها؟ للاجابة عن ذلك نقول ان هذا البياض هو لون الحداد عند الاندلسيين فقد قال احد شعرائهم:

اذا كـــان الــبــيــاض لــبــاس حــزن

بــأنــدلــسي فـــذاك مـــن الــصــواب

الـــم تــرنـي لــبـسـت بــيــاض شيبي

لانــي قــد حـزنـت عـلـى الشباب[5]

وفي بعض الأحيان كانت العروس تضع على رأسها تاجا ويتضح ذلك في قول ابو القاسم ابن الجد (ت 515هـ/ 1121م)[6].

لها من طـراز الحسن وشــيء مهلهل

ومــن صنعة الاحــسـان تــاج مرصع[7]

1- التنوسي، أحمد بن محمد، احكام السماع في الغناء، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا، في كلية الاداب، جامعة بغداد، رقم التصنيف 63، ص3 - 4.

2- المغرب، 2/ 384.

3- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 4/ 778؛ ابن سعيد، المغرب، 2/ 412.

4- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2 م2/ 519.

5- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م2/ 914؛ ابن دهية، ابو الخطاب عمر بن الحسن، المطرب من اشعار اهل المغرب، تح: ابراهيم الابيارى واخرون، مراجعة طه حسين، المطبعة الاميرية، (القاهرة: 1954م)، ص81.

6- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 1/ 322؛ ابن سعيد، المغرب، 1/ 341 - 342؛ المراكشي، المعجب، ص237؛ المراكشي، الذيل والتكملة، سفر 6/ 326.

7- ابن خاقان، قلائد، 1/ 325؛ ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 319.

ومن الامور الشائعة ان تتحلى العروس بلبس الحلي وفي هذا يقول ابن حمديس:

خـذهـا عــروس مـحـافـل لا تجتلى

الا بـحـلـي عــلاك فــوق تـريـب

لــم يـخــرج الــدر الــذي زيـنـت به

الاب يـغـوص فـي البحور قريب[1]

ثم انها بعد ذلك تستخدم الطيب والذي فيه قال ابن الجد:

عــروس جلاها مطلع الفكر فانثنت

الـيـهـا الـنـجـوم الــزاهــرات تطلع

زفـفـت بـهـا بـكـرا تــارج طيبها

ومــا طيبها الا الـثـنـاء المضوع[2]

ولكي تشاهد العروس جمال مالبسته من ملابس وحلي.... الخ لجأت الى استخدام المرآة، هذا ماصوره الأديب أبو الوليد النحلي الذي كان معاصرا للمعتمد بن عباد بقوله:

مــثـل الــعــروس غــداة ليلتها

تـمـسـك مـرآتـهـا فــي الـقـمـر[3]

على ان العروس كانت تزف الى بيت زوجها[4] فيدخلونها الى زوجها بصحبة بعض النسوة اللواتي يأتين معها، وعندما ينفردا تتقدم الزوجة لتقبل يد زوجها حيث

1- عبد الجبار، ديوان ابن حمد يس، تح: احسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، (بيروت: 1379هـ/ 1960م)، ص62.

2- ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 318.

3- ابن بسام، الذخيرة، ق2 م2/ 810.

4- ينظر: الجزار السرقسطي، روضة، ص81 – 82.

يدعو لها بالخير[1]، وهذا مؤشر للطاعة والاحترام المتبادل بينهما، الا انه هناك حالة مخالفة للعرف الذي نهجه الاندلسيون في اصطحاب الزوجة مع ذى محرم ذلك ما اشار اليه ابن عبد الرؤوف بقوله: "ويؤمر الناس بمنع ما احدثه العامة من جلاء العروسة على غير ذى محرم فيها" [2]، ولربما هذه اشارة الى ان الزوج هو الذي اخذ يذهب الى بيت أهل العروس لاصطحاب زوجته، وهذا ما تحق عليه اليوم.

لقد فضل الأندلسيون قيام حفلة الزفاف في ايام أحد الأعياد، اذا ماكانت الفترة الزمنية الواقعة بينهما قريبة، لأن اجتماع هاتين المناسبتين سوف يزيد من البهجة والسرور[3]، ومن الامور الرائعة التي توضح لنا مدى اهتمام اهل العروس بمستقبل ابنتهم وعلاقتها بزوجها تلك التوصيات التي يوصي بها الأب ابنته والتي من شأنها تقوية العلاقة الزوجية، مما ينعكس ايجابا على بناء اسرة قوية صالحة، كقول المعتمد بن عباد لابنته بثينة:

بنيتي كوني به برة فقد قضى الدهر باسعافه [4]

ومن الملفت للنظر ان بعض الزيجات قد تمت لمصلحة ما أو لوجود علاقات سياسية مثل زواج المعتمد بن عباد من بنت مجاهد العامري[5]، وزواج صاحب سرقسطة ابن هود (ت 474هـ/ 1081م) من ابنة قائد بلنسية في عهد حاكمها اسماعيل بن ذي النون (القادر)، حيث طمع ابن هود في ملك القادر وقد تم ذلك بواسطة هذا القائد[6]، وكذلك عندما تزوج يوسف بن عبد المؤمن في عبوره الى الاندلس عام

1- ابن عذارى، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص108.
2- رسالة، ص83.
3- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3 م1/ 489.
4- ديوان، ص108 و149.
5- ينظر: ابن الابار، الحلة، 2/ 43.
6- ينظر: ابن الكردبوس، الاكتفا، ص79 - 81.

(567هـ/ 1171م) من احدى بنات ابن مردنيش الذي دخل في طاعة يوسف هذا، عندها نراه قد احسن الى اخوانها الثمانية فصاروا عنده في اعز منزلة[1]، أو لصالح شخصية كي تكون له عين، كما فعل مجاهد العامري حيث كان له "... عدة بنات احسن من الشموس... فتبارى ملوك الطوائف في نكاحهن... واغتنم هو ذلك منهن واذكاهن عليهم عيونا، وبناهن بينه وبينهم دروبا... فسما اليه ابن هود" [2].

ب- العلاقات الاجتماعية داخل الاسرة

الان وبعد ان بحثنا الخطوة الاولى في بناء الأسرة، ننتقل الى البحث في طبيعة العلاقات الاجتماعية للاسرة الأندلسية والمتمثلة بما يأتي: -

1- العلاقة بين الزوجين

أكد الدين الاسلامي الحنيف على وجوب حسن المعاملة والعشرة بين الزوجين بقوله تعالى ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[3]، وذلك لبناء اسرة قويمه وسليمه تنعكس بالتالي على بناء مجتمع قويم.

وأول دلائل حسن العلاقة الوفاء المتبادل؛ فهذا ابن حزم وقد ادرك زوجة أحد معارفه المتوفين حيث قال عنها، بأنه بلغ "من اسفها عليه ان باتت معه في دثار واحد ليلة مات وجعلته اخر العهد به وبوصله، ثم لم يفارقها الأسف بعده الى حين موتها"[4] أما المعتمد بن عباد فاننا نجد من شعره الكثير من الاحاسيس والمشاعر تجاه زوجته

1- المراكشي، المعجب، ص321 - 322؛ الناصرى، الاستقصا 2/ 134.

2- ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 266.

3- سورة النساء، آية (19).

4- طوق، ص65؛ خلاف، قرطبة، ص71.

اعتماد، موضحا صورة الزوج الوفي لزوجته بعدما اخذتها الظنون والشكوك حيث خافت من ان تفقد زوجها فقال:

بـكـرت تـلـوم وفـي الـفـؤاد بلابل

سفها، وهـل يثني الحليم الجاهل

يـاهـذه كـفـي، فـانـي عـاشـق

مـن لا يـرد هـواي عـنـهـا عـاذل

حـب اعـتـمـاد فـي الـجـوانـح ساكن

لا القلب ضـاق بـه ولا هـو راحـل[1]

وله الكثير من القصائد التي ذهبت نفس المذهب[2]

ومن صور الوفاء ما اشار اليها ابو محمد بن القبطرنية موضحا ان العيش لا يجلو الا بصحبتها حيث قال:

مـعـاذ الـلـه ان اسـلـو بـبـدر

وان اصـبـو الـى كـأس وخـمـر

ولا لاراكـة نـهـضـت بـحـقـب

ولا لـروادف وهـضـيـم خصر

ولاتـفـاحـة طـلـعـت بـخـد

ولا رمـانـة نـبـتـت بـصـدر

وان ألـهـو مـن الـدنـيـا بـشـيء

وأم الفضل - يـا اسـفـي - بقبر[3]

1- المعتمد، ديوان، ص23.

2- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 44.

3- ابن خاقان، قلائد، 2/ 434.

ويلاحظ في اعتماد زوجة المعتمد بن عباد التي وقفت الى جانبه بعد ان فقد الملك، نموذجا في وفاء الزوجة لزوجها، فنراها قد عاشت معه بالأسر وهي تناديه "ياسيدي" [1].

ومن أوجه حسن العلاقة الزوجية التي تمثلت بالحب ونكران الذات من قبل الزوج وذلك اكراما لزوجته، فهذا شيخ المقرئين بالاندلس الحسن بن محمد بن علي بن هذيل (ت 564هـ/ 1169م) قد لازم ابن زوجته فترة عشرين سنة يعلمه ويقرأ له[2]، فلعل المحبة والاحترام المتبادل بينه وبين زوجته هي التي جعلته يقف هذا الموقف، واوردت مصادرتنا الأدبية الكثير من قصائد رثاء الزوج لزوجته والتي تنم عن عمق العلاقة الزوجية[3]، الى درجة اننا نجد ان محمد بن احمد بن جبير الكناني (ت614هـ/ 217م) قد رشى زوجته التي توفيت عام (601هـ/ 1204م) بقصائد تجاوزت الثلاثمائة قصيدة[4].

الى جانب هذه الصور الرائعة نجد ما يعاكسها تماما، حيث سوء العلاقة الزوجية وما تتركه من اثار سلبية على الاسرة، والاسباب في ذلك كثيرة، منها ما يكون الزوج هو السبب، لأن بناء الأسرة مسؤولية مشتركة، الا ان تخلي الرجل عن ذلك سوف يهدد بناءها، وهذا مانراه في ازجال ابن قزمان التي جاء فيها:

النسا كما في علمك   الهروب منهم غنيمة

1- ينظر: المعتمد، ديوان، ص114 و155.

2- الذهبي، العبر، 4/ 187.

3- ينظر: ابن دراج القسطلي، احمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى، ديوان ابن دراج القسطلي، تح: محمد علي كرد، ط1، مطابع المكتب الاسلامي، (دمشق: 1961م)، ص11 و249 - 251؛ الاعمى التطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن ابي هريرة، ديوان الاعمى التطيلي، تح: احسان عباس، مطبعة عيتاني الجديدة، (بيروت 1963)، ص70 - 71؛ ابن الزقاق البلنسي، ديوان، ص226 - 227؛ ابن حمد يس، ديوان، ص477 - 478؛ ابن خلكان، وفيات، 1/ 117 ومابعدها.

4- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر5 ق2/ 295 و606 و608.

لسى نرى لوحد منهم ما بقت في الدنيا قيمة [1]

وقوله..

صرت عازب، وكان لعمري صواب

لسى نزوج حتى يشيب العزاب[2]

على ان الهروب من المسؤولية متأت من قبل بعض الرجال الى الراحة واللعب على هواهم، فقد قال ابن قزمان مرة اخرى:

انا تابب، يالسى تقول بزواج

ولا جلو ولا عرس بتاج

ولا رياسة غير اللعب بالزجاج

والبيت برَّ والطعام والشراب[3]

وهذا الشاعر أبو الحسن اللورقي قد ذكر بان زوجته تؤنبه على كرمه وتدعوه الى الاقتداء بالبخلاء لانهم قد صاروا ذوى شأن بقوله:

طفقت تؤنبني على البذل وتقول نعم سجية البخل

قد اصبح البخلاء في شرف وبقيت في سرف وفي اذل

هي شيمة مما جبلت به والطبع ليس يمكن النقل[4]

وهناك شواهد اخرى تبين سوء العلاقة الزوجية التي قد تؤدى في بعض الاحيان الى الطلاق، وذلك ما سنبحثه في موضوع الطلاق، على قدر ما أمدتنا به المصادر التي اطلعنا عليها من معلومات.

1- ابن قزمان، ابو بكر بن عبد الملك، ديوان ابن قزمان، مطابع المعهد الاسباني العربي الثقافي، (مدريد: 1980)، ص590.

2- ابن قزمان، ديوان، ص154.

3- ابن قزما، ديوان، ص154؛ الاهواني، عبد العزيز، الزجل في الاندلس، (القاهرة: 1957م)، ص76.

4- عماد الدين، خريدة، ق4 ج2/ 145.

2 ـ العلاقة بين الوالدين والأبناء

سيكون حديثنا عن مكانة الام والاب عند ابنائهم وطبيعة التعامل الدائر بينهم في الاسرة الواحدة.

أ ـ الأم

ربما يتبادر الى الذهن تساؤل عن سبب البحث اولا عن الام وليس الاب؟ للاجابة عن ذلك نقول ان الاسلام قد اعطى للام منزلة ساميه وقدرا كبيرا من الاجلال والاكرام قال تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾[1].

اذن المفاضلة هنا للام، وما يدلل على ذلك قال "جواب الرسول الكريم محمد ﷺ حينما سأله احد المسلمين قال "يارسول الله: من أبرَّ؟ قال أمك قال: ثم من؟ قال أمك قال: ثم من؟ قال اباك..." [2]، وفي صحيح مسلم جاء الحديث بأنه "... من احق الناس بصحبتي؟ قال امك قال ثم من؟ قال ثم امك قال ثم من؟ قال ثم امك قال ثم من؟ قال ثم اباك" [3] وفي المعنى نفسه وردت احاديث اخرى[4].

ومما يدلل على علو مكانة الام سماع شكواها من قبل الي الامر والتشدد على عقاب من يؤذيها، ففي عهد باديس بن حبوس وقفت "له يوما عجوز فشكت عقوق ابنها، وانه مد يده الى ضربها، فاحضره وامر بضرب عنقه، فقالت له يامولاي ما اردت الا ضربه بالسوط وادبه فقال: لست بمعلم صبيان، وضرب عنقه" [5]، نستدل من هذا

1- سورة لقمان، آية (14).

2- ابن ماجة، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، جمع: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، ج2، (د – م: 1372هـ/ 1952م)، ص1206.

3- النيسابورى، صحيح مسلم، 5/ 410.

4- ينظر: ابن ماجة، سنن، 2/ 1207 – 1208.

5- ابن سعيد، المغرب، 2/ 107.

النص على عمق الحب والحنان...الخ اللذين تكنهما الام لابنها، والشيء نفسه نلمسه في والدة عبد الله بن بلقين الذي كاد ان يضرب عنقه من قبل امير المسلمين يوسف بن تاشفين في عبوره الثالث، حيث اخذت تلاطف الامير لاجل اطلاق سراح ولدها من السجن، فتم لها ذلك[1]، ولم يقتصر موقفها على ذلك بل نجدها تدعم ابنها في امور كثيرة، فهذه والدة محمد بن ادريس كانت تشجعه وتقوى صفه وتشرف على الحرب بنفسها وتحسن الى من ابلى من الذين كانوا يساندونه الامر الذي كان له الاثر الايجابي في ان يصل الى منصب الخلافة[2].

ويحكى ان امرأة اتت الى الشاعر جعفر بن احمد بن حلف (ت590هـ/ 1193م) وقد مات ولدها فسألته ان يرثيه فقال:

تــبــكــي عــلــيــه بــشــجــو	فــقــلــت لا تــنــدبــيــه
هـــــذا زمــــــان عــجــب	قــد عـــاش مـــن مـــات فيه [3]

وتطالعنا ظاهرة التسمية باسم الام الامر الذي يدلل على الاعتزاز والاحترام الذي يكنه الابناء لهن، فعلى سبيل المثال لا الحصر ابن مريم[4] وابن القابلة[5]، ابن اللبانة[6]، وابن عائشة الذي عرف به الفقيه اسحاق بن محمد البدري (ت585هـ/ 1189م)[7].

ولنا في الشعر العربي الأندلسي صور رائعة للأم، فهذا الاعمى التطيلي نجده قد ابدع في التعريف بالام حيث اعطاها مكانة تليق بها

1- ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 149؛ اعمال، ص235؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص105.

2- المراكشي، المعجب، ص118 – 119.

3- ابن الابار، التكملة، 1/ 243.

4- ابن عذارى، البيان، 3/ 202 و314.

5- ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 380؛ ابن سعيد، المغرب، 1/ 352.

6- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م3/ 667.

7- ابن الابار، التكملة، 1/ 193.

وتتشـرف بـه كل انثـى بـل كل ذكـر. كونهـا حافظـة للقـرآن كثيـرة الصـلاة فـي الليل، وصوامة في النهار فقال:

بـاقـيـر ام عـلـي هـل علمت بـــها
ان الـسـيـادة بـيـن الـشـرب والـمـدر
انـثـى ولـكـن اذا اعــدوا فضائلها
لـم يـدع الفضل مـن انـثـى ولا ذكر
قــوامــة الــلــيــل تــتــلــوه وتـقـنـتـه
على اخـتـلافـه فـي طـول ومـن قصر
حتى اذا الصبح جلى ليلها فزعت
الـى صيام بمرضاة الالـه حسري[1]

اما المعتمد بن عباد فقد صور لنا الام الثكلى وكيف هو حالها على ابنائها، فليس لها سوى الصبر ملجأ[2]، ونجد ابن ابي الصلت وقد رفع منزلة والدته فجعلها كنجم عال، وكيف انه يتمنى ان يبكيها دم بدل الدموع بقوله:

مـدامـع عيني استبدلي الـدمـع بالدم
ولا تـسـأمـي ان يستهل وتجسمي
لحق بـابـن يبكي دمـا جفن مقلتي
لاوجـــب مـن فـارقـت حـقـا والـــزم
ومــا تـلـك لـو تـــدرى قـبــور احبة
ولـكـنـهـا حـق مـسـاقـط انــجـم[3]

1- ديوان، ص69.

2- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 1/ 70؛ ابن الابار، الحلة، 2/ 61.

3- ابن ابي الصلت، اميه بن عبد العزيز الداني، ديوان الحكم ابي الصلت، تح: محمد المرزوقي، مطبعة الاتحاد العام التونسي للمشغل، (تونس: 1973 – 1974)، ص142.

وهذا ادريس ابن اليماني (ت470ه/ 1077م) قد رثى امه وكانت مصيبته بها كبيرة قال:

وامـتـنـي الـى الأحـداث أم
بـعـز عـلـي ان صـارت امـامـي
وأكـبـر ان يـرثـهـا لـسـاتـي
بـلـفـظ سـالـك طـرق الـطـعـام
مـضـت وقـد اكتهلت فخلت انـي
رضـيـع مـابـلـغـت مـدى فـطـام
سـألـت مـتـى الـلـقـاء فـقـيـل حتى
يـقـوم الـهـامـدون مـن الـرجـام[1]

وذهب ابن حمد يس في رثاء زوجته على لسان ولده عمر بصفتها اما فذكر لنا اساه وحسرته عليها، موضحا معاناتها منذ كان جنينا في رحمها ووضعها اياه ثم احتضانه بين اذرعها كي يرتوي من لبنها وحنانها بقوله:

لو بكى ناظري بصوب دماء	**ماوفى في الاسى بحسرة امي**
من توسدت في حشايا حشاها	**وارتدى اللحم فيه الجلد عظمي**
وضعتني كرها كما حملتني	**وجـرى ثديها بشربي وطعمي**
بـحـنـان كـأنـهـا فـي رضـاعـي	**أم سقب درت عليه بشمي**
ولـو أنـي كففت دمعي عليها	**عقني برها فأصبح خصمي[2]**

على ان اشعار المراثي كثيرة ويتضح لنا منها مدى العلاقة الحميمة بين الأم وأبنائها، قد يطول ذكرها اذا ماتعمقنا في كتب الادب الاندلسي.

1- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م1/ 351.
2- ديوان، ص478 - 479.

امام تلك الصور التي أوضحت عمق العلاقة، نرى صورا اخرى مغايرة تماما لها، فهذه طليقة ابي محمد بن سعيد بن مردنيش التي رزقت منه بولد قد احتضنه والده، قد قالت بحق ولدها هذا انه "...جرو كلب، جرو سوء من كلب سوء لاحاجة لي به، فارسلت كلمتها من نساء الاندلس مثلا " [1]، ان تفسير هذه المقولة لا يدل الا على كونها أما غير طبيعية لأن سوء علاقتها وتقيمها لزوجها المطلق يجب أن لاينسحب على علاقتها بابنها، والأقسى من ذلك نجده في تصرف والدة محمد بن مردنيش حيث قتلت ولدها هذا، بأن دست له السم، بعدما منعها من التدخل في اموره السياسية، وقد بررت فعلتها تلك بأنه قد هددها واراد ان يبطش بها[2]، على ان هذه الفعلة لدليل على الأم غير طبيعية، وتبريرنا في هذا هو ان الله تعالى قد أوجد في الأم صفات ما اوجدها في غيرها وأهمها صفة الامومة، ولنا فيما أسلفنا من حدث لدليل على ذلك[3].

ب ـ الأب

قال تعالى ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾ [4].

تبين لنا من هذه الاية الكريمة دور الرجل بأنه المسؤول عن اعالة ورعاية الاسرة في المجتمع الاسلامي اضافة الى واجبه التربوي الموازى لواجبات الأم في هذه الناحية لانشاء اسرة صالحة قويمة وفيه قال ابن خفاجة الذي بين لنا الخطوات الواجب اتباعها في توجيه الابن ابتداءا بالنظرة التي بها ينبه الاب ابنه ومن ثم بالزجر والتوبيخ، فجاء فيه:

1- ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 32.

2- ينظر: ابن الفرات، تأريخ، م4 ج1/ 188؛ الناصرى، الاستقصاء، 2/ 134.

3- ينظر: هذا الفصل، الهامش (5)، ص84.

4- سورة النساء، اية (34).

سدد مرامي الطفل في شأنه ... بلفظة تشدد بها ازره

واكتف باللمحة من فهمه ... ان المبادىء ابدا نزره [1]

وقوله :

نبه وليدك في صباه بزجره ... فلربما أخفى هناك ذكاؤه

وانهره حتى تستهل دموعه ... في وجنتيه وتلتظى احشاؤه [2]

وخير من هذا ماقاله الرسول الكريم محمد ﷺ بالحديث الشريف "أكرموا أولادكم واحسنوا ادبهم" [3].

اذن فالنظام الاسري هو نظام أبوي، بدليل ماقامت به بثينة بنت المعتمد التي سبيت وبيعت لأحد التجار، عندما دخل المرابطون اشبيلية وسبق المعتمد الى اغمات اسيرا، فقد اراد ابن ذلك التاجر ان يتزوجها الا انها أبت ذلك حتى خاطبت والدها تخبره بهذا الأمر، فوافق على ذلك[4]. وكذا ما فعله ابن قزمان الذي حصل على مبلغ ثلاثمائة دينار عندما مدح صاحب بلنسية، فأخذ ابن قزمان المال ووضعه في حجر والده الذي اشترى به زيتا[5]، اما ابن دراج القسطلي فقد تضمنت أشعاره وصفا رائعا للروابط الاجتماعية بين الأب وأبنائه، فها هو قد "...وصف وداعه لمن تخلفه وذكر ابنه الصغير، بما لاشبيه له ولانظير ولامثيل ولاعديل" [6] حيث قال:

1- ديوان، ص101.

2- ابن خفاجة، ديوان، ص101؛ الصفدى، صلاح الدين بن ايبك، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة المدني، (د. م: 1389هـ/ 1969م)، ص73.

3- ابن ماجة، سنن، 2/ 1211.

4- ينظر: المقري، نفح، 4/ 284؛ بالنثيا، تاريخ، ص97 و103.

5- ابن قزمان، ديوان، ص52.

6- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 83.

ولـمـا تـدانـت لـلـوداع وقـد هفـى
بـصـيـرى مـنـهـا انــة وزفـيـر

تناشدني فـي عهد الـمـودة والهوى
وفـي المهد مبغوم الـنـداء صغير[1]

وربما بلغ الحال ببعض الاباء بعدم رغبتهم بأن يكون لهم أولاد، لا كرها لهم، بقدر ما هو خوف عليهم من ان تصيبهم مصيبة أو يكونوا ذوى حاجة في ما لو مات وتركهم صغارا، هذا ما صوره لنا ابو القاسم خلف بن فرج الالبيرى بقوله:

يـمـنـعـنـي فـي تـكـسـب الـولـد
عـلـمـنـي بـأن الـبـنـيـن مـن كـبـدى

فـان يـعـشـوا اعـش عـلـى ضلع
وان يـمـوتـوا امـت مـن الـكـمـد

وان امـت قـبـلـهـم تـركـتـهـم
أهـون بـيـن الانـام مـن ونـد[2]

وعندما يخطأ الابن بحق والده نراه يبذل أقصى جهده لاسترضائه، كما فعل المعتمد مع والده حينما غضب عليه بسبب هزيمته في عام (449هـ/ 1057م) حيث لم يستطيع الاستحواذ على مالقة، فأرسل المعتمد راجيا عفو والده عليه بقوله:

سـكـن فـؤادك لاتـذهـب بـك الفكر
مـاذا يعيد عليك الـبـث الـحـذر؟

فالنفس جـازعـة، والـعـيـن دامـعـة
والـصـوت منخفض والـطـرف منكسر

1- ابن دراج، القسطلي، ديوان، ص250.

2- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م2/ 896.

لــم يــأت عــبــدك ذنــبــا يستحق به

عتبا، وهــا هــو قــد نـــاداك يعتذر[1]

ثم أرسل اليه قائلا:

مـــلاى أشــكــوا الــيــك داء أصــبــح قــلــبــي بــه قــريــحــا

ان لــم يــرحــه رضـــاك عني فــلــســت ادري لــه مريحا[2]

ان هذا الاستعطاف المتوالي، له من دلائل عمق المودة والاحترام والود الذي يكنه الابن لابيه بغض النظر عن المنصب الذي يتولاه الأب. ونلمس الحال نفسه حينما حصل الجفاء والفتور بين المعتمد وابنه الراضي، الامر الذي دفع بالأخير الى الاكثار من التوسل لطلب العفو ونيل رضا والده فهو القائل :

مالي حرمت رضـــاك لــي وهــو الــذي

قــد كــنــت أرهـــب مــن زمـــان انــكــدا

أنـــي وحــقــك واجـــد بــيــن الحشا

مـن اجـل سخطك مثل حـزّ بالمدى

ان كـــان لـــي ذنـــب فــعــفــوك واســع

أو ان يكن بغض فقد بــان الـــردى[3]

على اننا نستطيع ان نستشف من أشعار المراثي، عمق العلاقة الاجتماعية بين الأب وأبناءه[4]، وكذلك في شعر التشوق والحنين كما لذى قاله ابي بكر محمد بن عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر (ت595هـ/ 1199م) بحق ولده الصغير الذي جاء فيه:

1- المعتمد، ديوان، ص5 و21 – 22 و 36 – 37 و 76 – 77.

2- المعتمد، ديوان، ص5 و33 و73.

3- ابن الابار، الحلة، 2/ 73.

4- ينظر: المعتمد، ديوان، ص68 – 70 و108 – 110؛ ابن خاقان، قلائد، 3/ 600 – 601؛ ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 101؛ ابن خلكان، وفيات، 2/ 408؛ ياقوت الحموى، معجم الادباء، 11/ 250 – 251.

ولــي واحــد مثل فــرخ القطا   صـغـيـر تـخـلـف قـلـبـي لديه
نــأت عنه دارى فيا وحشتا   لــذاك الشخص وذاك الوجيه
تــشــوقــنــي وتــشــــــوقــتــه   فيبكي علي وأبـكـي عليه[1]

مما تقدم نستطيع ان نستشف انه على الولد ان يكن لوالده أعلى درجات الود والاحترام والطاعة، لما للأب من منزلة كبيرة في الاسلام، حيث قال الرسول محمد ﷺ موضحا تلك الحقيقة الناصعة بقوله الشريف: "لا يجزى ولد والدا الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه" [2].

ومثلما حظى الذكر بحب والديه، كانت الانثى هي الأخرى محل حبهما، فنراهما يسعيان الى تنشئتها نشأة صالحة الى أن تتزوج فيكون الزوج عندئذ هو المسؤول عنها، ويتجلى ذلك في رثاء ابن صمد يس حيث قال:

فــيــا غــرســة لــلأجــر كــنــت نقتلها
الــى كنفي صــونــا وللحفتها ظلي
وانكحتها مــن بعد صــداق صمدته
كريما فلم تذمم معاشرة البعل[3]

وذلك عملا بالمبادىء الاسلامية السامية، التي تمثلت بأقوال الرسول محمد ﷺ منها بقوله "الا ادلكم على أفضل الصدقة؟ ابنتك مردودة اليك، ليش لها كاسب غيرك"[4]، وقوله عليه الصلاة والسلام "من كان له ثلاث بنات، فصبر عليهن واطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته، كن له حجابا من النار يوم القيامة" [5].

1- التجيبي المرسي، زاد، ص71 – 72؛ ابن ابي اصيعة، عيون، ص524؛ ابن ابي زرع، الانيس، ص207.
2- ابن ماجة، سنن، 2/ 1207.
3- ديوان، ص365 – 366.
4- ابن ماجة، سنن، 2/ 1209 – 1210.
5- ابن ماجة، سنن، 2/ 1210.

على ان التفاضل بين الذكر والأنثى في الدين الاسلامي أمر مردود وغير وارد، فهو القائل ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[2] ومع هذا فالمفاضلة لدى بني البشر امر وارد، وبالذات لدى الأسر الفقيرة. لأن هذه الأسر تكون أكثر تأثيرا بالأوضاع الداخلية والخارجية اذا ما اضطربت، حيث تكون البنات عرضة للايقاع بالاسر كسبايا[3]، ومثل هذه العوائل كانت ترى في الموت سترا لبناته، ذلك ما صوره أبو محمد بن صار الشنتريني (ت517هـ/ 1123م) حيث قال:

الاي امـــوت كـنـت بـنـا رؤوفـا

فــجــددت الــحــيـــاة لـنـا بـــزوره

حـــمـــاد لـفـعـلـك الـمــأثــور لما

كــفــيــت مــؤونـــة وســتـــر عـــورة

فـانـكـحـنـا الـضـريـح بـغـيـر مهر

وجـهـزنـا الـفـتـاة بـغـيـر شـــوره[4]

غير ان ذلك لايعني بأى شكل من الأشكال بأنها قاعدة عامة في العوائل الفقيرة، وهناك من لم يفاضل بينهما بقول ابن عمار:

أهـنـأ بنجليك مـن انـثـى ومـن ذكر

لاتعدم الضوء بين الشمس والقمر[5]

1- سورة الاسراء، اية (31).

2- سورة التكوير، الايتين (8 و9).

3- ينظر: ابن عذاى، البيان، 3/ 239 و269.

4- ابن خاقان، قلائد، 4/ 819؛ عماد الدين، خريدة، ق4 ج2/ 282.

5- ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 298.

2 ـ العلاقة بين الأبناء

قوة هذه العلاقة الى جانب ما اسلفنا، سيؤدي الى بناء اسرة قويمة وصالحة، فبصلاح الأسرة يصلح المجتمع، على ان هذه العلاقة الاجتماعية وصلت بأن تقتل الزوجة زوجها ثأرا لأخيها، وذلك مافعلته زوجة الحسن بن يحيى حينما علمت بأنه قتل اخاها يحيى[1].

وتمثلت هذه العلاقة بما اورده أبو القايم احمد بن محمد البلوى الاشبيلي حينما خاطب أخا له قائلا: "لامشتكي يا أخي الا اليك وان كنت اورد من ذلك ما يشق عليك لكني أعلم حسن مشاركتك في السراء والضراء" [2]، ولابن خفاجة شعر يؤكد على اهمية العلاقة الأخوية، لذا نجده يدعوه الى المواصلة بينهم مهما حدث فيقول:

اذا كنت لا أعفو عن الذنب من اخ
وقلت أكافيه فأين التفاضل

ولكنني أغض جفوني على القذى
وأصفح عما رابني واجامل

متى اقطع الاخوان في كل عثرة
بقيت وحيدا ليس لي من اواصل

ولكن اداريه فان صح سرني
وان هو اعيا كان عنه التجامل[3]

1- ينظر: الحميدي، جذوة، ص31؛ الضبي، بغية، ص27؛ ابن الاثير، الكامل، 7/ 289؛ ابن خلدون، العبر، ق1 م4/ 334.

2- ابن سعيد، اختصار، ص126.

3- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة حجازى، م1 ج2، (القاهرة: 1366هـ/ 1947م)، ص67.

على اننا من البيت الثالث نستطيع ان نستدل على ان المخاطب هو اخوه من والديه، والا فليس من المعقول أن لا يكون لابن خفاجة غير هذا الصديق.

ولابن قزمان مرثية طويلة قالها بحق اخ له يسمى (حسن) تبين حبه له ومدى تعلقه به[1]، وعلى العكس نرى موقف التجيبي الذي لايهتم لابتعاد اخ له، بقوله:

بين اخ مودع ضريحا واخر شط في البعاد
يهم في المنتدى بنطق فيرجع الحي كالجماد[2]

وللاوضاع السياسية والاطماع الشخصية اثر في طبيعة العلاقة الاجتماعية بين الاخوان فهذا سليمان بن هود وقبيل وفاته نراه قد ترك خمسة اولاد قد قسم عليهم ما كان تحت سلطته من البلاد، فأخذ كل واحد نصيبه فكانت مدينة لاردة من نصيب ولده يوسف، وولى محمد قلعة ايوب أما الاب فتولى مدينة وشقة، وصارت تطيله في حوزة المنذر، فاخذ ابنه احمد يحتال على اخوته حتى اخرج بعضهم مما كانوا عليه، ولم يكتف بذلك بل اخذ يسجنهم حتى انه اسمل اعينهم بالنار[3]، اذن فالاطماع الشخصية والطموح السياسي غير المشروع كانت عواملا في سوء العلاقة بين الاخوة.

على ان ابن خفاجه قد رسم لنا صورة يفاضل بها بين الاخوان حيث قال:

تفاوت نجلا ابي جعفر فمن متعال ومن مستغل
فهذا يمين بها اكله وهذا شمال بها يغتسل[4]

1- ينظر: ديوان، ص150 – 155.

2- زاد، ص155.

3- ينظر: ابن عذارى، البيان، 3/ 222؛ عنان، دول الطوائف، ص262.

4- ديوان، ص370.

ج ـ المستوى المعاشي

يختلف المستوى المعاشي باختلاف الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للأسر، فتلك التي تنتمي الى الشريحة الغنية، نجد بعض افرادها يميلون الى قضاء الوقت باللهو والراحة المفرطة، وفي ذلك قول الشاعر:

هبت تعاتبني زهر وقد علمت
ان العتاب شجا في القلب أو شجب
قالت: قعدت، وقام الناس كلهم
الا يعللك الاثراء والرتب[1]

على ان بيوتات هذه الاسر كانت في الغالب تحوى على خدم لادارة الاعمال المنزلية[2].

وللأيام وتقلبها دور في تغيير الوضع الاقتصادي، كما حدث لعائلة المعتمد بن عباد، فبعد العز والملك نرى بعض افراد عائلته يعمل في الغزل لسد متطلباتهم اليومية، ذلك ما صوره لنا المعتمد بقوله:

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا
فجاءك العيد في اغمات مأسورا
ترى بناتك في الاطمار جائعة
يغزلن للناس ما يملكن قطميرا[3]

كما عمل أحد ابنائه مع صائغ[4]، غير ان ذلك لا يقلل من شأن المرء وكرامته فجاء ابن اللبانة مؤكدا ذلك بقوله:

1- الاعمى التطيلي، ديوان، ص16.
2- ينظر: ابن قزمان، ديوان، ص134؛ الاهواني، الزجل، ص72.
3- ديوان، ص28 و100 - 101 و140 - 141.
4- ينظر: ابن اللبانة، شعر، ص86 - 87.

ماحطك الـدهـر لما حـط مـن شرف

ولاتحيف مـن اخـلاقـك الكراما[1]

أما الأعمى التطيلي فهو الاخر قد دار الزمان به، فبعد ثرائه نجد انه صار يتكسب من شعره، حيث يرى ان في ذلك خجلا وتقليلا للنفس بقوله:

وكـم نطفة مـن مـاء وجـهـي ارقتها

بـودى لـو انـي ارقـت لـهـا دمـي[2]

وخوفا من حال كهذه فقد كان الاندلسيون "... اهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في ايديهم خوف ذل السؤال" [3]، فتراهم يدخرون المواد الغذائية من حبوب وفاكهة[4]، وجاءت الأمثال الأندلسية لتؤكد هذا الاتجاه بقولهم "من رفع من غداه لعشاه لسى ينتقم عليه اعداه" و"لاتهرق ما، حتى تجد ما" و"ارجع فلس بقى لك" و"اخلط القمح تصلح" [5].

على ان السبب المهم في الادخار هي السعي بغية عدم الوصول الى درجة الفقر لانه "القلة ذلة" [6]، هذا وقد أسهمت بعض ربات البيوت في رفع مستوى عائلتها المعاشي حيث امتهن عملا ما، على اننا اشرنا فيما سلف الى جملة من الاعمال التي زاولتها المرأة الاندلسية[7]، وللغرض نفسه نجد ان بعض الابناء يعملون مع ابائهم اذا اظهرت الوراثة في الصنعة[8].

1- شعر، ص86 – 87؛ ابن خلكان، وفيات، 5/ 38.
2- ديوان، ص174.
3- المقري، نفح، 1/ 223.
4- ابن الخطيب، اللمحة، ص40.
5- الزجالي، امثال، 1/ 264.
6- الزجالي، أمثال، 1/ 267.
7- ينظر: الفصل الثاني، الهوامش 4 و5، ص59؛ 2 – 9، ص60؛ ا – 3، ص61.
8- ينظر: ابن الابار، التكملة، 2/ 593؛ ابن سعيد، المغرب، 2/ 321؛ المراكشي، الذيل والتكملة، سفر5 ق1/ 37 و 198.

هذا وقد تعدت روح التعاون والمحبة في بعض الاسر الى قيام والد الزوجة بمساعدة زوج ابنته، كان يعرض عليه ارضا يعمرها ويقتات منها هو واسرته[1]، واخر يسلف مبلغا من المال للذي هو به حاجة[2]. من ذلك نستطيع أن نستدل على وجود روح التعاون والتازر في المجتمع الأندلسي.

ولأجل أن يواكب الشخص الازدياد الحاصل في الأسعار، خاصة ذلك الذي ليس له الا املاك قد أجرها في وقت ما، نراه يلجأ الى مطالبة المستأجر برفع الايجار، ذلك ما اورده لنا ابن قزمان بقوله:

وكـــان اكـــربـــت دويـــره مـــن انـــســـان

بـــربـــاعـــي ســـكـــنـــت فـــيـــهـــا زمـــان

ثـــم قـــال لـــي نـــريـــد ثـــلاث أثـــمـــان

وتـــزيـــد ولـــو طـــلـــب مـــثـــقـــال[3]

ولعل ماجاء به ابن سهل في احكامه بباب الحضانة والنفقة[4] يمثل الحد الادنى للانفاق كما حددها ائمة مذهب مالك في الاندلس، غير ان ذلك ليس معناه ان غالبية افراد المجتمع الأندلسي كانوا لايصلون الى ادنى من ذاك، فالامر هنا مرتبط بالظروف الاقتصادية وحتى السياسية التي تؤثر سلبا أو ايجابا على المستوى المعاشي للاسرة أو الفرد الاندلسي، ولهذا فاننا نلمس ومن خلال ما اورده ابن سهل انه كان يؤخذ بعين الاعتبار وضع الشخص المادى وقدرته على الانفاق، وبما ان النظام الاسرى كما اشرنا سلفا هو نظام ابوى، لذا فان الرجل هو المسؤول عن الانفاق على الاوجه كلها كالسكن والكسوة وشراء المواد الغذائية، بدليل ما اورده ابن سهل من فصل تحت

1- ينظر، الونشريسي، 9/ 164.

2- ينظر: ابن رشد، نوازل، ص50.

3- ديوان، ص562.

4- الاحكام، ورقة 103.

عنوان "النفقة واجبة للزوجة على زوجها اذا ابتنى بها... شريفة كانت أو وضيعة وغنية أو فقيرة ولا ثمة حد لها الا على قدره وقدرها مع اجتهاد السلطان... وعلى حال الزمان" [1].

على ان القاضي هو الذي يحدد تفاصيل الانفاق اذا لم يتفق الزوجان على ذلك بعد ان تطالب الزوجة منه ذلك فيفرض "لها من المعاش قفيز قمح في الشهر... ويفرض لها من ... الزيت والخل على اجتهاده وعلى حال البلد... وبفرض لها اللحم المرة بعد المرة لا في كل ليلة والوسط بالجمعة يوما وليله... ولا يفرض لها... عسل... ولا جبن ولا غيره" [2]. هذا وشملت لوجه الانفاق ايضا معلم القرآن والحجام والذهاب الى الحمام[3].

ومن دلائل ارتفاع المستوى المعاشي للفرد أو الاسرة احتواء بيوتهم على الخدم،[4] أو امتلاكهم ضباعا كتلك التي كانت لابن حزم في السهلة غرب قرطبة[5]، وبستانا في داره التي تشرف على دور قرطبة[6]. ولنا في الفصل الأول مؤشرات كثيرة لمن كانوا ذوى مستوى معاشي عال. في حين نجد اخرين بمستوى معاشي متدن وعلى سبيل المثال لا الحصر، فهذا الخليفة المستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر قد "بلغت به الحال قبل تملكه الى ان كان يستجدى الفلاحين" [7] ونلاحظ ان في المجتمع الاندلسي افرادا ذوى مستوى معاشي واطىء جدا، بحيث لايستطيعون ان يغيروا ملابسهم التي مزقت لقول الشاعر:

1- ابن سهل، الاحكام، ورقة104.
2- ابن سهل، الاحكام، ورقة 104.
3- ابن سهل، الاحكام، ورقتي 108 – 109؛ خلاف، قرطبة، ص229.
4- ينظر: ابن سهل، الاحكام، ورقة 109.
5- ابن حزم، طوق، ص66؛ خلاف، قرطبة، ص227.
6- ابن حزم، طوق، ص109؛ خلاف، قرطبة، ص228.
7- ابن سعيد، المغرب، 1/ 55.

مـــلاى هـــذى بـــردتـــي اخـلـقـــت
ولـــيـــس شـــــيء دونـــهـــا امــلــك
وصـــــرت مـــن يـــأس ومـــن فـاقـه
ابـكــي اذا ابـصـرتـهـا تضحك[1]

فجاء المثل ليؤكد هذه الحقيقة فقالوا ان "تعزية الفقير: لا مال الا الصحة"[2]

د ـ الطلاق

قال الرسول الكريم محمد ﷺ "ابغض الحلال الى الله تعالى الطلاق"[3] اذا فهو عمل مكروه ولكن لا اثم به، لانه هناك طلاقات قد تقع بين الزوجين يكون الطلاق حينذاك شيئا لابد منه، بل يكون افضل مما لو استمرت الحياة الزوجية لان تراكم المشاكل قد يؤدي الى ما هو اكبر من ذلك كالقتل مثلا.

فهذا ابن الاقطس قد قتل زوجته (رحمة) في عام (462هـ/ 1069م) بقرطبة تخلصا منها وطمعا بما لديها من مال[4]. ويخر قد استخدم القوة في تعامله مع زوجته التي لا تجد امامها الا التنازل عن كل حقوقها وهي مكرهة على ذلك، هذا ما لاحظناه في مدينة اشبونة حيث " ... اسقطت الزوجة جميع ما كان لها عليه" [5]، وكجزء من حقوقها تلك هي احتفاظها بابنائها لرعايتهم حتى لو تزوجت من شخص ثان، فليس لمطلقها الحق في استردادهم بحجة زواجها الا بعد فترة معينة [6].

1- المقري، نفح، 4/ 186.
2- الزجالي، أمثال، 1/ 267.
3- ابو داود، سنن، 2/ 255.
4- ينظر: ابن سهل، الاحكام، الاوراق 388 - 390؛ خلاف، قرطبة، ص289.
5- ابن رشد، فتاوى، 2/ 925.
6- ينظر: ابن رشد، فتاوى، 1/ 295 - 296 و338 - 339.

وقد تكون هنالك اسباب خارجية تدفع بالزوجين الى الانفصال، كالذي وقع مع ابراهيم بن همشك حيث زوج ابنته من محمد بن سعيد بن مردنيش، وبسبب خلاف وقع بينهما فقد دفع هذا الخلاب بمحمد الى ان يطلق زوجته وكان ذلك في عام (562هـ/ 1167م) [1].

ومن أسباب الانفصال أيضا، هو سوء اخلاق الزوجة كأن تكون سليطة اللسان سخيفة الألفاظ، فاضحو لسر زوجها، معتدة بأهلها، تفرح لحزن زوجها، من كل هذا عانى الشاعر أبي هند الداني الذي عاش في عهد الطوائف[2] حيث يقول:

أبديت سرى مذ كتمت سراك
وعصيت صبري مذ أطعت هواك
ونثرت أسلاك الدموع معرضا
اني بحيث سلكت لا اسلاك
أرخمية الألفاظ غير رحيمة
الدل دلك ام تهاك تهاك
يابنت معتنق الفوارس بالقنا
والبيض ما انا من يهاب أباك
ويسرها ماساءني من حبها
كالروض بضحكة السحاب الباكي[3]

1- ابن الابار، الحلة، 2/ 260؛ ابن عذاري، البيان (القسم الخاص بالموحدين)، ص82؛ ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 302.

2- ابن سعيد، المغرب، 2/ 408؛ المقري، نفح، 3/ 265.

3- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 896 - 897.

على ان الطلاق ليس بالأمر الهين ولا هو على حد قول ابن عبد الرؤوف بالهز واللعب[1] استنادا لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ ﴾[2]، لذا كان القاضي الذي تعرض عليه حالات الطلاق يقوم بارسال كاتبه لاجل اصلاح مافسد بين الزوجين وقد ينجح في هذه المهمة[3]، أو يقوم احد مستشاريه باحضار حكم من اهلها وآخر من أهله عملا بقوله تعالى ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾[4] لإصلاح ما وقع من خلاف بينهما، فان لم يكن هناك من يرتضى لها في التحكيم عندها يبعث القاضي اثنين من صلحاء المسلمين للنظر فيما حدث[5]، أو يقوم أحد الاصدقاء المقربين بالوساطة بين الزوجين فيعظهما برقيق الكلام محاولا اعادتهما لبعضهما[6].

على ان الطلاق بالحلف ثلاثاً كان محل انتقاد، فهذا الونشريسي يقول ان وقوعه يعد منكراً وتحريفاً لسنة رسول الله محمد ﷺ وتغييرا لشعائر الدين الذي يجب قطعه اذا وقع في الحال[7]. ان مثل هذا الامر وارد في حالة الزوج الذي كانت تنتابه حالة عصبية تؤدي الى انه لا يعلم ولا يعي ما يقول واثناء ذلك يطلق زوجته ثلاثاً، فافتى ابن عتاب وابن قطان " بان يبقى مع زوجته على ما كان عليه"[8].

ولكن اين موقع هذا الكلام من قول الرسول الكريم محمد ﷺ " ثلاث جدُّهنَّ جدٌّ وهزلهنَّ جد: النكاح والطلاق والرجعة"[9]، بعد ذلك فليس هناك جدال في هذا الموضوع فالمسألة واضحة.

1- رسالة، ص82.
2- سورة البقرة، آية (231).
3- ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة، 2/ 285 - 286.
4- سورة النساء، آية (35).
5- ابن سهل، الاحكام، ورقة 117.
6- ابن سعيد، اختصار، ص166.
7- ينظر: المعيار، 2/ 297 وما بعدها.
8- ابن سهل، الاحكام، ورقة، 109؛ خلاف، قرطبة، ص288.
9- ابو داود، سنن، 2/ 259.

واخيرا فنحن مع الرأي القائل بأن من اسباب الطلاق الى جانب ما اسلفنا هو كون "معظم عقود الزواج مشروطة خاصة على الزوج اذا أخل بأحدها كان الطلاق حقاً مكتسباً للمرأة تمارسه في اي وقت شاءت، دون الرجوع الى الاجراءات الكثيرة للاثبات"[1] وقد اورد ابن سهل الكثير من قضايا الطلاق بسبب العقود المشروطة [2].

ثانيا ـ المجالس الاجتماعية

أ ـ مجلس الوعظ

قال ابن منظور بأن الوعظ والعظة والموعظة هي النصح والتذكير بالعواقب، كما وانه تذكيرك للانسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب، والاتعاظ هو قبول الموعظة حين يذكر الخير ونحوه[3].

وللوعظ أهمية كبيرة في ارشاد الانسان الى مواطن الخير والصلاح وما سيناله من رضا الله والناس، لذا نجد ان في القران الكريم اربعا وعشرين آية أوضحت لنا تلك الأهمية[4]. لأجل ذلك كان على الواعظ ان يتصف بصفات معينة، يستطيع بها أن يجذب الناس لتحقيق هدف سام هو ابعادهم عن مواطن الخطأ وتخليصهم من المثالب التي تحط من قدرة الفرد، وأولى تلك الصفات، هي أن يكون لينا بحيث تراه

1- خلاف، قرطبة، ص285.

2- ينظر: الاحكام، الاوراق، 100و 120.

3- لسان، مادة (وعظ).

4- ينظر: سورة البقرة، الايات 66 و231 و232 و275؛ سورة آل عمران، آية 138؛ سورة النساء، الايات، 34 و58 و63 و66؛ سورة المائدة، آية 46، سورة الأعراف، الايتين، 145 و164؛ سورة يونس، آية 57؛ سورة هود، الايتين 46 و120؛ سورة النحل، الايتين 90 و125؛ سورة النور، آية 17؛ سورة الشعراء، آية 136؛ سورة لقمان، آية 130؛ سورة سبأ، آية 46؛ سورة المجادلة، آية 3؛ سورة الطلاق، اية2؛ سورة النور، آية 34.

عندما يعظ كأنه مشير براى وذو وجه مبتسم مقبول لدى سامعيه فيبتعد عن كل ما هو مستقبح، والا فلن يستطيع أن يبلغ هدفه[1]، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ [2].

على ان مكان عقد هذه المجالس في الغالب كان في المساجد حيث يتمكن الناس من الحضور، ومن الذين عقدوها الفقيه محمد بن أحمد بن ابراهيم الخزرجي (ت546هـ/ 1151م) في مدينة جيان حيث جلس " فيها بالمسجد المنسوب اليه للوعظ والقصص وايراد حكايات الصالحين فكانت العامة تنتاب مجلسه" [3]، أما عليم بن عبد العزيز بن عبد الرحمن العمرى وهو من أهل شاطبة (ت570هـ/ 1174م)[4] فقد " كان حافظا لمتون الاحاديث... يجلس للعامة فيعظهم ويعلمهم دينهم فينقلبون وقد احرزوا آمالا واحكموا من التكاليف اقوالا صالحة "[5].

ومن ابرز الوعاظ الذين كانوا يجلسون في المساجد لهذا الغرض، خلف بن يحيى ابن خطاب (ت576هـ/ 1180م) الذي كان يجلس في جامع الزهراء بقرطبة[6]، أما في المسجد الجامع بقرطبة فكان يعظ أبو العباس احمد بن عبد الربيع الالبيري (ت432هـ/ 1040م)[7].

اما من حيث الوقت فيبدو لنا ان بعض الوعاظ كانوا يختارون يوما معينا يجلسون فيه للوعظ، فهذا عباس بن فرج بن عبد الملك بن هارون كان يجلس يوم الجمعة

1- ابن سهل، الاحكام، ورقة 104.

2- سورة آل عمران، آية (159).

3- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر5 ق2/ 584.

4- ابن الزبير، صله، ص163.

5- ابن الزبير، صلة، ص162.

6- ابن الابار، التكملة، 1/ 304.

7- ابن سهل (تسع وثائق في شؤون الحسبة والمحتسب على المساجد في الاندلس)، مستخرجة من مخطوطة الاحكام الكبرى، تح: عبد الوهاب خلاف، حوليات كلية الاداب، جامعة الكويت، الحوليه 5، الرسالة 22،(د – م:1404هـ/ 1984م)، ص24 و41؛ ابن بشكوال، الصلة،1/ 53.

لوعظ الناس وقد توفى نحو سنة (540هـ/ 1145م) [1]. وكان محمد بن يحيى وهو من أهل قرطبة "مقرئا مجودا... يصلي التراويح بالجامع الأعظم، ويجلس للتذكير والوعظ وتوفى... سنة ستمائة" [2]. الامر الذي يرشدنا الى ان وقت جلوس الوعاض الى الناس كان بعد صلاة التراويح في شهر رمضان وبعد صلاة العشاء في غيره لان الناس في هذه الاوقات لا يعملون.

على ان من اهم اثار تلك المجالس هي توبة بعض المخطئين الذين يرجعون الى طريق الصواب، فقد ذكر عن عمر بن محمد بن الحجة (ت580هـ/ 1184م) انه "... وعظ بجامع غرناطة فنفع الله المسلمين بوعظة وتاب على يديه جماعة" [3]. كما تمثل الأثر في توجه بعض الواعظين الى تأليف الكتب والرسائل لتكون تراثا محفوظا ينتقل من جيل لآخر، فلابي عمرو معوذ بن داود الاذرى (ت431هـ/ 1039م) "... رسائل في الزهد والمواعظ" [4]، وكان لابي العباس احمد بن أبي الربيع تصانيف في هذا الباب[5]، أما الحسن بن ابي الحسن عيسى بن اصبغ الاذرى (ت580هـ/ 1184م) الساكن بأشبيلية فكان "... له كتاب كبير في الوعظ المترجم بشفا الصدور" [6].

اضف الى ذلك فقد لمسنا ان هناك بعض المجالس العلمية التي تعقد في دور بعض المهتمين بهذا الجانب أو في قاعة التدريس، اذ كان يتخللها شيء من الوعظ، فهذا ابن حزم وهو يتحدث عن نفسه حيث كان يحضر مجلسا علميا يعقده والده في

1- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر 5 ق2/ 486 - 487.

2- ابن الابار، التكملة، 2/ 269؛ وللمزيد من الأمثلة ينظر: عياض، الغنية، ص135؛ ابن بشكوال، الصلة، 1/ 43 و45 و61؛ ابن الزبير، صلة، ص13 و20 و202؛ النباهي، المرقبة، ص105 - 106؛ المراكشي، الذيل والتكملة، سفر5 ق2/ 444 - 245؛ المقري، ازهار،3/ 62 - 64.

3- ابن الزبير، صلة، ص66.

4- عياض، ترتيب، 4/ 756.

5- عياض، ترتيب، 4/ 754.

6- ابن الابار، المعجم، ص76.

داره، وذات يوم وبينما هو جالس قال له محمد بن اسحق ابن عبد الله بن ادريس، وهو ممن يحضر هذا المجلس "على سبيل الوعظ في بعض مناجاته اياه احرص على أن لاتعمل شيئا الا بنبيه... فأنك ترى ذلك في ميزان حسناتك" [1].

وذكر انه في الحلقة الدراسية التي كان يديرها أبو علي الصدفي (ت514هـ/ 1120م)[2] حيث كان يقرأ "الحديث... ثم أغلق الكتاب وجعل يحكي حكايات... وقال... الحكايات جند من جنود الله بها قلوب العارفين من عباده" [3].

واخيرا لا بد من القول بأن مصادرنا التي اطلعنا عليها لم تزودنا الا بمعلومات قليلة عن دور المرأة الأندلسية في هذا الباب، من ذلك ماجاء عن رشيدة الواعظة التي "كانت تجول في بلاد الأندلس تعظ النساء وتذكرهن وكان لها صيت واتصاف بالخير"[4].

ب ـ المجالس الأدبية

كانت هذه المجالس ميدانا رحبا لمعرفة سرعة البديهية والقدرة على الارتجال حيث يلتقي بها الأدباء والكتاب فتتضمن مناقشات نحوية وأدبية وكثيرا ما يتخللها الشعر، فصارت تؤلف ظاهرة اجتماعية في الحياة الأندلسية، على انها غاليا ما كانت تعقد في قصور الحكام أو الوزراء، وهذا مرتبط بثقافة الحاكم أو الأمير وميلهم لهذا الجانب أو ذاك، فعلى سبيل المثال لا الحصر، كان بعض ملوك الطوائف يتنافسون في الأدب، فهذا المعتمد بن عباد الذي وصفه ابن خاقان بأنه "اثبت من نظمه العذب

1- الحميدي، جذوة، ص44؛ الضبي، بغيه، ص50.
2- ينظر: الضبي، بغية، ص253 - 254؛ المقري، أزهار، هامش (7)، 1/ 21.
3- المقري، أزهار، 1/ 21 - 22.
4- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر8 ق2/ 484؛ بهجت، منجد مصطفى، (التعلم في الاندلس في القرن الخامس الهجري)، مجلة كلية الاداب الرافدين، اصدار كلية الاداب، جامعة الموصل، ع. 1، (العراق: 1979م)، ص79.

الجنا، الرائق السنا، الفائق اللفظ والمعنى" [1] فكانت لذلك "... حضرته مطمحا للهمم ومسرحا لامال الأمم...فأجتمع تحت لوائه من جماهير/ الكماة، ومشاهير الحماه، اعداد يغص بهم الفضا" [2] حتى قيل انه في "ايامه نفقت سوق الادباء فتسابقوا اليه وتهافتوا عليه"[3] لدرجة انه كان لايستوزر وزيرا الا ان يكون أدبيا شاعرا حسن الادوات، فاجتمع اليه من الوزراء الشعراء مالم يجتمع لاحد من قبله[4]، وكانت كل تلك العوامل مشجعة على عقد هذه المجالس، فقد ذكر ان للمعتمد بن عباد دارا لايدخل فيها غير الشعراء، وانه خصص يوم الاثنين من كل اسبوع لعقد المجالس الأدبية[5]. وصف لنا احدهما ابن زيدون قائلا:

ايــهــا الــمــحــط عــنــي مـجـلـسـا
ولــه فــي الــنـفـس أعــلــى مجلس
بـــفـــؤادى لـــك حـــب يـقـتـضـي
ان تــرى تحمل فــوق الأوؤس[6]

ولابن شهيد وصف في مجلس للمعتمد وقد حضره فقال :

وفـتـيـة كـالـنـجـوم حـسـناً ... كـلـهـم شـاعـر نـبـيـل
مـتـقـد الـجـانـبـيـن مـاض ... كـأنـه الـصـارم الـصـقـيـل
فــي مجلس شـابـه التصابي ... وطــاردت وصـفـه العقول [7]

1- قلائد، 1/ 54.

2- ابن خاقان، القلائد، 1/ 55.

3- ابن الابار، الحلة، 2/ 55.

4- المراكشي، المعجب، ص158؛ الريسوني، محمد المنتصر، (الادب النسوى في الاندلس)، مجلة دعوة الحق، عدد6، (د- م: 1387هـ/ 1967م)، ص125.

5- المعتمد، مقدمة ديوان، ص4.

6- المعتمد، ديوان، ص57.

7- ديوان، ص123 - 124؛ ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 40 - 41.

ولصاحب غرناطة ابن حبوس، مجلس كان يغص بالحضور ومنهم الاديب غانم المخزومي[1]، أما المعتصم بالله أبو يحيى محمد بن معن صاحب المرية فكان له هو الاخر مجلس بقصره المعروف بالصمادحيه يحضره اعيان الوزراء ونبهاء الشعراء، فيتناوبون قول الشعر معارضين بعضهم البعض الاخر[2]، وفي بلاط المتوكل على الله ابن محمد عمر بن المظفر كان هناك تجمع ادبي اكثر من كونه قصرا ملوكيا، وفيه قال ابن فاقان بأنه "ملك جند الكتائب... وأمر الايام فائتمرت، وطافت بكعبته الامال واعتمرت، الى لسن الفصاحة، ورحب جناب للوافد وساحة ونظم يزرى بالدر النظيم، ونثر تسرى رقته سرى النسيم، وأيام كأنها من حسنها جمع، وليال كأن فيها الانس حضور ومجمع" [3] الامر الذي يوضح لنا بأن وقت هذ المجالس كان في المساء، اما ابن الخطيب فقد قال بان "... مدينة بطليوس في مدته دار ادب وشعر" [4].

ولابد من التنويه بان مصادرنا التاريخية والادبية قد اغفلت عن ذكر مجالس اولى الامر في الاندلس في عصري المرابطين والموحدين، وربما يعود السبب الى ان مؤرخينا قد اكتفوا بتسجيل المآثر السياسية والحربية لتلكما العصرين اكثر من غيرهما. غير ان ذلك لايعني باى شكل من الاشكال انحسار النشاط الادبي بل برز العديد من الشعراء والادباء[5].

الى جانب تلك المجالس الخاصة فقد شهدنا انعقاد مجالس عامة في بيوت بعض المهتمين وفي المتنزهات العامة والبساتين، فهذا أبو العباس ابن ابي حاتم بن

1- ينظر: المقري، نقع، 3/ 265.
2- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 1/ 150 - 151.
3- قلائد، 1/ 120.
4- اعمال، ص185.
5- ينظر: عنان، عصر، 1/ 438 - 454 و2/ 644 ومابعدها والمصادر التي اعتمد عليها؛ السعيد، الشعر، ص79 ومابعدها والمصادر التي رجع اليها.

ذكوان كان له في داره مجلس ادبي حضره الشاعر ابن شهيد[1]، اما معن بن عبد الملك بن سراج (ت489هـ/ 1096م)[2] فقد قال عنه ابن بشكوال بأنه كان "وقور المجلس لا يجسر احد على الكلام فيه لمهابته وعلو مكانته" [3]، وتحدث عياض عن ابي الحسن بحيى النحوى المعروف بابن الطراوة فقال: "... جالسته كثيرا، وحضرت مجالسه في الادب" [4]. أما الشاعر أبو محمد عبد الجليل فقد جلس يوما مع جمع من اصحابه بمنتزه من متنزهات اشبيلية في وقت بدأت الشمس تدنو من الافق حيث النسيم العليل، الأمر الذي دفع بالحضور ان يوجز كل واحد منهم هذه الصورة التي صار بها مجلسهم[5]، وذكر لنا المقرى بأنه قد اجتمع "في بستان واحد ثلاثة من شعراء الاندلس وهم ابن خفاجة وابن عائشة وابن الزقاق فقال ابن الخفاجة يصف الحال" [6] شعرا واجابه ابن عائشة وتلاهم ابن الزقاق في ذلك[7].

هذا وكان للمرأة الاندلسية حظ وافر في هذا الجانب، فقد اشتهر في قرطبة مجلس ولادة بنت المستكفي (ت484هـ/ 1091م)[8] حيث "... كانت تخالط الشعراء وتساجل الادباء" [9] حتى صار "... مجلسها بقرطبة منتدى لامرا المصر، وفناؤها

1- ينظر: ابن شهيد، ديوان، ص97 – 98؛ ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 28.

2- ابن بشكوال، الصلة، 1/ 347.

3- الصلة، 1/ 346.

4- عياض، الغنية، ص279.

5- ينظر: ابن حمد يس، ديوان، ص168 – 169.

6- نفح، 4/ 14 – 15.

7- ينظر: ابن خفاجة، ديوان، ص72؛ ابن الزقاق البلنسي، ديوان، ص125؛ ابن سعيد، المغرب، 2/ 314.

8- السيوطي، جلال الدين، نزهة الجلساء في أشعار النساء، تح: صلاح الدين منجد، ط1، دار المكشوف، (بيروت: 1958م)، ص104؛ عفيفي، عبد الله، المراة العربية في جاهليتها واسلامها، ط1، مطبعة المعارف، ج3، (مصر: 1348هـ/ 1930م)، ص134.

9- ابن دحية، المطرب، ص8؛ الضبي، بغية، ص532؛ العاملي، زينب بنت علي بن حسين بن عبد الله بن حسن، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ط1، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق، (مصر: 1322هـ)، ص545.

ملعبا لجياد النظم والنثر" [1] لدرجة ان مجلسها كان "يغشاه ادباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وانشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك" [2].

والى جانب ولادة برزت نزهون بنت القليعي التي كان "...لها ناد لم يؤمه الا الافاضل، ومجلس لم يجتمع فيه الا كل عاقل" [3]، كما انها كانت تحضر المجلس الذي عقده الوزير ابو بكر بن سعيد وكان من الحضور الاديب ابي بكر المخزومي الاعمى (ت540هـ/ 1145م) المعروف بهجائه اللاذع، حيث دارت بينه وبين نزهون مساجلات شعرية بهذا الغرض[4]، كما كان لها محاورات ادبيه مع ابن قزمان[5].

أما حواء بنت ابراهيم بن تيفلويت فقد تحدث عنها المراكشي بقوله:

انها "كانت خبيرة فاضلة كريمة... وتحاضر الادباء" [6]، اذن فقد كان المجال رحبا في مشاركة المرأة الاندلسية مما أسهم في تطور الحركة الادبية بالاندلس.

جـ- مجالس الانس والطرب

ان تطور فني الموسيقى والغناء بالاندلس كان له اثر واضحا في الحياة الاجتماعية بشكل عام، وهذا ما سنفصله في الفصل القادم، وبالذات في ظهور تلك المجالس التي شكلت جانبا من الحياة الاجتماعية[7]، حيث كانت تعقد في قصور أولي الأمر لما لها من اثر في بث الراحة للنفس بعدما عانت من متاعب اليوم، فترى المعتقد بقول:

1- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 429؛ الدقاق، عمر، ملامح الشعر الاندلسي، منشورات دار الشرق، (بيروت: د – ت)، ص136.

2- المقري، نفح، 4/ 208.

3- العاملي، الدر، ص519.

4- ينظر: ابن الابار، المقتضب، ص165؛ ابن سعيد، المغرب،1/ 228 و2/ 121؛ ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 425 – 426.

5- ينظر: ابن سعيد، رايات، ص91؛ المقري، نفح، 4/ 296.

6- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر8 ق2/ 496.

7- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 1/ 56 و58.

قسمت زمـانـي بيـن كـد وراحـــة
فـلـلـرأى اسـجـار ولـلـطـيـب اصـال
فامسى على الـلـذات واللهو عاكفا
واضحى بساحات الرئاسة اختال[1]

في حين شمل مجلس المعتمد فرق انشاد للغناء ومايصطحب ذلك من الات موسيقية تبعث اصواتا وانغاما شجية[2]، وكذا كان الحال مع ابنه الرشيد الذي ضم في مجلسه ذلك المغني ابا بكر الاشبيلي الذي عرف بعذوبة صوته، حتى قال ابن عمار وكان حاضرا فخاطب الرشيد:

ماضر ان قبل اسـحـاق وموصلـه
ها أنت أنت وذي حمص واسحاق[3]

وفـي طليطلـة كان للقـادر بن ذى النـون مجلس "...فـي المنيـة المتناهية البهاء والاشـراق، المباهيـة لزوراء العـراق... والقادر باللـه... قد التحف الوقـار"[4]، على اننـا نشـهد في مجلـس المأمـون حضور عـدد مـن المغنيين الذيـن عملو علـى احياء مجالسـه[5]، كمـا كان لصاحـب غرناطـة احمـد بـن عبـد الملـك بـن سـعيد مجلـس احضر فيه مطربا[6].

وفي هذا الاتجاه قال الوزير المشرف ابو محمد بن مالك والذي كان احد ولاة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بالاندلس، شعرا في مجلس طربه جاء فيه:

1- ابن الابار، الحلة، 2/ 46.
2- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 1/ 56 و58.
3- ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 385؛ ابن ظافر، بدائع، ص169.
4- المقري، ازهار، 3/ 108 - 108.
5- ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 135 - 137.
6- مجهول، تراجم رجال الاندلس "مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب، جامعة بغداد"، رقم التصنيف (1200)، تسلسل (468)، ص70.

لا تلمني اذا طربت لشجو
يبعث الانس والكريم طروب
لبس شق الجيوب حقا علينا
انما الحق ان نشق القلوب[1]

وعندما سكن ابن بسام مدينة أشبيلية جلس ذات يوم في حديقة منزله وقد استدعى نديما له وقعدا للراحة حيث التحفهما الانس والطرب[2].

يبدو للقارىء الكريم ان معلوماتنا قد انحصرت في فترة دول الطوائف، وهذا ما امدتنا به المصادر التأريخية والأدبية، الا ان ذلك لا يعني عدم وجودها في عصري حكم المرابطين والموحدين، فهذا الدكتور عبد العزيز سالم يذكر لنا بأنه يوجد في كتدرائية بلمة بجزيرة ميورقة صندوق من العاج يعود تاريخه الى القرن (6هـ/ 12م) يحتوى على رسوم تعبر عن مشهد لمجلس أنس وطرب اندلسي[3]، غير انه يخلو مما هو شاذ ويؤدي الى العربده[4]، فالمحرمات قد كسرت واصدر أمر بعقاب مستعملها، ذلك ماكان في عهد المنصور الموحدين، الذي امر كل ولاته بذلك، ولاجل ذلك قال الشاعر بحق المنصور:

أقام حدود الله في كل موطن
واعمل في رعية واهتباله
وبدد منه كل مافيه شبهة
ولم يبق الا حلوه وحلاله[5]

1- عماد الدين، خريدة، ق4 ج2/ 447.

2- ينظر: ابن سعيد، رايات، ص45؛ المغرب، 1/ 418.

3- سالم، (صور من المجتمع الاندلسي)، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، م19، (مدريد: 1976 - 1978م)، ص69.

4- ابن القطان، نظم، 6/ 161.

5- ابن عذارى، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص144.

د ـ المجالس الثقافية

وهي المجالس التي يحضرها غالبا العلماء والفقهاء وذوو النباهة ممن لهم ثقافة تؤهلهم الى المشاركة فيها، حيث تتضمن مناقشات علمية في مسائل فقهية وجدليه كلاميه، ومختلف أنواع العلوم الاخرى؛ ومما لاشك فيه فان المستوى الثقافي للحضور كان يختلف من واحد لاخر، لذا صنفهم ابن حزم الى ثلاثة اصناف لا رابع لهم. فالأول هم السكوت وتلك صفة الحاضرين غير الكفوئين في المناقشات. والصنف الثاني هم ممن يشاركون في طرح سؤال بأمر يجهلونه، والصنف الثالث هم اولئك الذين يناقشون مناقشة العلماء وهنا تكمن الكفاءة بحد ذاتها التي تسمح لصاحبها بالمجادلة والمناقشة الداميتين[1].

وقد اكد ابن حزم على صفة الكفاءة لان بها يمكن الوصول الى نتائج مرضية، لذا نراه يقول ولقد "غاظني اهل الجهل، مرتين في عمرى: احداهما بكلامهم فيما لايحسنونه ايام جهلي، والثاني بسكوتهن عن الكلام بحضرتي، ايام علمي... وسرني اهل العلم مرتين... احداهما بتعليمي ايام جهلي والثاني بمذاكرتي ايام علمي" [2].

ولابن حزم هذا مناظرات كثيرة منها تلك التي ناقش فيها علماء المذهب المالكي وكان ذلك في مدينة بلنسية، لدرجة انه قبل بان تلك المجالس كانت السبب في اعتكافه اشهرا عديدة للدراسة حتى جاءهم بعد فترة الى المكان نفسه، فجالسهم وناظرهم احسن مناظرة والتي فيها قال انا اتبع الحق واجتهد ولا اتقيد بمذهب" [3].

1- ابن حزم، فضائل الاندلس واهلها (فمن فضائل الاندلس واهلها)، نشر وتقديم صلاح الدين منجد، دار الكتاب العربي، (بيروت: 1387هـ/ 1986م)، ص5.

2- خلاق، قرطبة، ص89 – 90.

3- ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط1، دائرة المعارف العثمانية، ج3، (حيدر اباد: 1388هـ/ 1968م)، ص148؛ سير اعلام النبلاء، (جزء خاص بترجمة ابن حـزم)، نشر: سعيد الافغاني، مطبعة الترقي، (دمشق: 1360هـ/ 1941م)، ص22.

ومن حكام دول الطوائف ممكن اعطى اهمية للعلم والعلماء، وشجع على عقد هذه المجالس، المعتصم بالله ابو يحيى محمد بن معن صاحب مدينة المربيه الذي "... اقام سوق المعارف على ساقها، وابدع في انتظامها في مجالسها واتساقها، واوضح رسمها... ولم تخل ايامه من مناظره، ولا عمرت الا بمذاكره أو محاضره، الا ساعات اوقفها على المدام وعطلها من ذلك النظام" [1].

ربما يكون في وصف ابن خاقان هذا بعض المبالغة خاصة عند المقارنة بما ذكره ابن الابار عن المجلس حين قال:

"كان المعتصم... يعقد المجالس بقصره للمذاكره ويجلس يوما في كل جمعة للفقهاء والخواص، فيناظرون بين يديه" [2].

وبين يدى مجاهد العامري في ميورقة كانت تجري مناظرات كتلك التي جرت بين ابن حزم وابي الوليد الباجي عندما اخذ الاول بالمذهب الظاهرى حيث جادله ابو الوليد بعدما رأى قصور السنة الفقهاء عن مجادلته، فتمكن الباجي من اشهار بطلان ماذهب اليه ابن حزم وكان ذلك بعد مجالس كثيرة هذا الشأن[3]، ولأبن حزم هذا مناظرات في امور شتى[4].

ولقاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن احمد بن سعيد (ت422هـ/ 1031م) مجلس هو الاخر فيه جماعته حيث يتشاورون في مسألة ما، فيخالفونه المذهب ويخالفهم فلم يزل يحاججهم ويستظهر عليهم بالروايات والكتب حتى ينقض مجلسهم ذلك[5]. أما احمد بن يوسف التجيبي المتوفى

1- ابن خاقان، قلائد، 1/ 146؛ وينظر: ابن سعيد، المغرب، 2/ 196 – 197؛ سالم، تاريخ، ص74.
2- الحلة، 2/ 82؛ العكش، التربية، ص90.
3- ينظر: ابن خلكان، وفيات، 3/ 327؛ ياقوت الحموى، معجم الادباء، 121/ 239.
4- ينظر: الرد، ص20، ومابعدها؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين ابن الفضل احمد بن علي، لسان الميزان، مؤسسة الاعلمي للطباعة، ج4، (بيروت: 1390هـ/ 1971م)، ص199.
5- ينظر: ابن بشكوال، الصلة، 1/ 255؛ العكش، التربية، ص134.

عام (540هـ/ 1145م)[1] فكانت له مجالسه في مدينة المريه حيث يتداولون احاديث الصحيحين[2]، وقد ذكر عن ابن العربي الاشبيلي (ت543هـ/ 1148م) انه كان يحضر مجلسا للفقهاء في اشبيليه يتذاكرون فيه حديث المغفر[3]، وحول المدونة حضر ابن خبير الاشبيلي (ت575هـ/ 1180م) لمناقشتها في أحد المجالس[4].

وفي حضرة الخليفة الموحدي ابن يعقوب المنصور كانت تجرى المناظرات منها ماجرى بين ابن رشد (الحفيد) وابن زهير بشأن المفاضلة بين مدينتين اندلسيتين هما قرطبة وأشبيلية[5].

على ان تلك المجالس كان أول ما تبدأ به هو "... بذكر الله عز وجل، والصلاة على محمد ﷺ، ثم يورد الحديث والحديثين والثلاثة والموعظة، ثم يبدأ بطرح المسائل في غير الكتاب الذي كانوا يناظرون عليه" [6]، أما فرش المجلس فكانت تتكون من بسط الصوف، والحيطان مغطاة باللبود ووسائد الصوف كما يحتوى المجلس على مدفأة فحم، وقد يتناول الحاضرون الطعام اذا جاء موعده بعد الانفضاض من الحديث في المجلس[7].

1- ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 171.

2- ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 169.

3- الذهبي، تذكرة، 4/ 1296 - 1297.

4- ينظر: ابن خبير الأشبيلي، ابو بكر محمد بن خبير بن عمر بن خليفة الاموى الاشبيلي، فهرسة مارواه ابن خبير الاشبيلي عن شيوخه، تح: ابراهيم الابياري، ط1، دار الكتاب المصرى ودار الكتاب اللبناني، ج1، (القاهرة بيروت: 1410هـ/ 1989م)، ص296.

5- ينظر: الناصرى، الاستقصا، 2/ 179؛ الاهواني، أحمد فؤاد (الفلسفة في الاندلس)، مجلة كلية الاداب، جامعة فؤاد الاول، م15، ج1(الجيزة:1953م)، ص96؛ هلال، جودة وصبيح، محمد محمود، قرطبة في التأريخ الاسلامي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة: 1962م)، ص82.

6- ابن بشكوال، الصلة، 1/ 255؛ العكش، التربية، ص134.

7- ينظر: ابن بشكوال، الصلة، 1/ 41 - 42.

مما تقدم تتضح لنا صورة اجتماعية رائعة من حيث الاماكن التي تعقد فيها هذه المجالس والكيفية التي تتم بها بداية المناقشة وأوجه الجدل والخلافات التي تدور حول مسألة ما، والظاهر للعيان ان المواضيع التي غلبت على هذه المجالس هي تلك التي تخص بالدرجة الاولى الامور الشرعية، على ان اختلاف وجهات النظر امر وارد على الرغم من سيادة المذهب المالكي في الاندلس الذي يعد المذهب الرسمي للدولة[1].

1- حول أسباب انتشار المذهب المالكي في الاندلس، ينظر: الكبيسي، دور، ص33 – 50.

الفصل الرابع

الموسيقى والغناء
ووسائل اللهو والتسلية

أولا: الموسيقى والغناء

أ / موقف الفقهاء

ب / الموسيقى والغناء واثارهما الاجتماعية

ج / الموشحات واثارها الاجتماعية

د / الازجال واثارها الاجتماعية

ثانيا: وسائل اللهو والتسلية

أ / الألعاب

1 .الشطرنج

2 .الصيد

3 .اللعب بالالات الجارحة

4 .النرد

5 .الصولجان

6 .سباق الخيل

ب / الألغاز (الحزورات)

ج / الخروج الى الطبيعة

د / الممازحة والمداعبة

الموسيقى والغناء ووسائل اللهو والتسلية

أولا ـ الموسيقى والغناء

قال الفارابي: ان لفظة "الموسيقى معناه الالحان واسم اللحن" [1] "من الاصوات المصوغة الموضوعة وجمعه الحان ولحون في قراءاته اذا غرد وطرب فيها... واللحن... هو الغناء وترجيع الصوت والتطريب" [2] على "ان صناعة الموسيقى تشتمل على جزئين، احدهما يسمى التأليف وموضوعه "النغمة" ، وينظر في حال اتفاقها وتنافرها، والثاني "الايقاع" وموضوعه الأزمنة المتخلخلة، بين النغم والنقرات المنتقل بعضها الى بعض" [3]، "فيحصل في هذين البحثين معرفة تأليف الألحان[4]، الذي "يختص بمطابقة اجزاء الاقاويل مع اجزاء النغم المقترنة بها" [5] ولذا يقول ابن خلدون وهو يعرف لنا صناعة الغناء بأنها "تلحين الاشعار الموزونة بتقطيع

1- الفارابي، ابو نصر محمد بن محمد بن طوخان، كتاب الموسيقى الكبير، تح: غطاس بن عبد الملك خشبة، مراجعة محمود احمد الحنفي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة: (د – ت))، ص47.

2- ابن منظور، لسان، مادة (لحن).

3- ابن سينا، ابو علي الحسين بن عبد الله، رسالة في الموسيقى، تح: هنري جورج فارمر وهي ملحق بكتابه (تأريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادى)، تعريب: جرجيس فتح الله المحامي، منشورات: دار مكتبة الحياة، (بيروت: 1972م) ص406؛ وينظر: ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل، المخصص، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر، م4 سفر13، (بيروت: د – ت)، ص10.

4- ابن زبلة، ابو منصور الحسيني، الكافي في الموسيقى، تح: زكريا يوسف، دار القلم، (القاهرة: 1964)، ص17.

5- الفارابي، كتاب الموسيقى، ص23.

الاصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع كل صوت منها توقيعا عند قطعه فيكون نغمة ثم تؤلف تلك النغم بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لاجل ذلك التناسب"[1].

ومن المتعارف عليه ان الغناء لون من الوان التعبير الانساني في الحياة لاي امة من الامم ولهذا الفن اصول وقواعد[2]. ويقال ان الغناء انما سمي غناء لانه يستغن به صاحبه عن كثير من الاحاديث ويفر اليه منها ويؤثره عليها[3]، اذن فالموسيقى والغناء ذات وظيفة، فهي تعمل على تربية الذوق الأنيق والطبع الرقيق وتعلو بالاحساس الانساني الى المعاني الرفيعة[4]، كما وانها تجلب الراحة بعد التعب، بل ان الترنم به في وقت العمل يشغل صاحبه عن الاحساس بالوقت عندها لا يشعر بالتعب[5].

كما ان للموسيقى أثر في علاج بعض الامراض النفسية، حيث زعم "اهل الطب ان الصوت الحسن يسرى في الجسم ويجرى في العروق فيضفوا له الدم ويرتاح له القلبب وتنمو له النفس وتهتز الجوارح وتخف الحركات"[6] وذلك لأن "القلوب والسرائر خزائن الاسرار ومعادن الجواهر... ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا بقوادح السماع... فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج مافيها، وتظهر محاسنها أو مساويها"[7]. بدليل ما اورده الشرواني من ان احد الادباء كان في مدينة مالقه عام (406هـ/ 1015م)

1- المقدمة، ص423.

2- العمروسي، فايد، الجواري المغنيات، دار المعارف بمصر، (القاهرة: 1961م)، ص9.

3- ابن سيدة، المخصص، م4 سفر13/ ص10.

4- الحجي، تأريخ الموسيقى الاندلسية اصولها، تطورها، واثرها على الموسيقى الاوربية، ط1، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: 1389هـ/ 1969م)، ص9.

5- ينظر: الفارابي، كتاب الموسيقى، ص70 – 71.

6- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 6/ 5.

7- الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد، احياء علوم الدين، تح: بدوى طبانه، دار احياء الكتاب العربي، ج2، (مصر: 1377هـ/ 1957م)، ص266.

حيث اعتلت نفسه ولزم المنزل وبقوله انه عندما يجن عليه الليل فيسمع اصوات العيدان والطنابير والمعازف من كل ناحية وقد اختلطت الاصوات بالغناء الامر الذي زاد من ألمه وأرقه، الا انه وبعد ان سكتت تلك الاصوات والالحان المضطربة، اخذ يسمع ضربا خفيا معتدلا حسنا فسكتت نفسه وارتاحت لذلك، ونسي ألمه فسر لهذا وطرب[1].

ولا بد من القول بأن فن الموسيقى والغناء قد اخذ بالتطور مع مرور الوقت وذلك لتوفر عوامل منها:

1 - تعدد الالات الموسيقية الامر الذي انعكس ايجابا على طبيعة النغمات من حيث تعددها، ومن تلك الالات العود والقانون، الروطة، الربابة، الخبال، الكريج، المؤنس، الكثيرة، القناره، الطبل، الزلامي، الشقوره، النورة، الصنج، الطنبور، الدف والبوق وغيرها[2]، وعلى الرغم من موقف بعض الفقهاء في اباحة استخدام عدد من الالات الموسيقية مثل الطنبور والمزمار والعود والغربال والدف[3] وكذلك "... الات اللهو المشهرة للنكاح يجوز استعمالها" [4] والكبر[5]، لكن هذا لايعني ان ماتبقى من

1- ينظر: حديقة الأفراح، ص176؛ على اننا في المشرق نجد الرازى قد وضع كتاب عنوانه الطب الروحاني ذكر فيه استخدام الموسيقى في مداواة النفوس العليلة.

2- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 239 - 240؛ ق4 م1/ 107 و342 و356؛ الشقتدى، رسالة، (ضمن فضائل الاندلس واهلها)، ص51 - 52؛ ابن سيده، المخصص، م4 سفر13/ 11 - 15، ابن ابي الصلت، ديوان، ص106؛ ابن خلدون، المقدمة، ص424؛ التيفاشي، احمد بن يوسف، (متعة الأسماع في علم السماع)، نشر: محمد بن تاويت الطنجي، مجلة الابحاث، اصدار الجامعة لامريكية، ج2، لسنة 21، (بيروت: 1968م)، ص115 - 106؛ فارمر، تاريخ الموسيقى، ص75.

3- ينظر: ابن حزم، المحلى، 9/ 59 و62 - 63.

4- ابن العربي، ابو بكر محمد بن عبد الله، احكام القرآن، تح: علي محمد البجاوى، ط2، دار احياء الكتب العربية، ق3، (د - م: 1377هـ/ 1958م)، ص1482.

5- ينظر، يحيى بن عمر، الاندلسي، احكام السوق، تح: محمود علي كلي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية/ م4، عدد 1 - 2، (مدريد: 1956م)، ص120؛ الونشريسي، المعيار، 6/ 416؛ الكبيسي، دور، ص213.

اسماء لتلك الالات قد حرم استخدامه، لانه وعلى حد قول ابن حزم "... فلا يحرم تحريم شيء ولا اباحته الا بنص من الله تعالى أو من رسوله عليه السلام" [1].

2 - ازدهار ظاهرة تعليم الجواري الغناء والعزف على الالات الموسيقية[2]، وقيامهن بذلك في مجالس الغناء، كتلك التي اخذت تعزف على العود وتغني:

خليلي ما للريح تأتي كأنما
يخالطها عنه الهبوب خلوق

أما الريح جاءت من بلاد أحبتي
فأحبها ريح الحبيب تسوق[3]

وأيضا ما سمعته ذلك الأديب الذي اوردنا قصته حينما دخل مالقه[4] والذي قال ان تلك النغمات كانت تصدر من جوار وقد حملت بايديهن العيدان والطنابير والمزامير فأخذن يعزفن ويغنين الالحان الجميلة[5].

3 - ظهور الموشحات التي ذكر بانها منظومة غنائية لا تسير موسيقاها على المنهج التقليدى الملتزم لوحدة الوزن ورتابة القافية، انما تعتمد على نهج تجديدي متحرر بحيث يتغير الوزن وتتعدد القافية[6]، بالاضافة الى ظهور الازجال التي ارتبطت بشكل مباشر بالموسيقى والغناء[7].

1- رسائل، ص101.
2- الكتاني، التشبيهات، ص104 - 106؛ التيفاشي، متعة، ص104.
3- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 318.
4- ينظر: هذا الفصل الهامش (1)، ص131.
5- الشرواني، حديقة، ص176.
6- ينظر: هيكل، احمد، الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة، ط5، دار المعارف بمصر، (القاهرة:1970م)، ص157؛ الحجي، تأريخ الموسيقى، ص39 و48؛ الشكعة، الادب الاندلسي، ص372؛ آل طعمه، عدنان محمد، موشحات ابن بقي الطليطلي وخصائصها الفنية، دار الحرية للطباعة، (بغداد:1399ه/ 1979م)، ص52.
7- ينظر: ابن سعيد، المغرب، 2/ 222؛ الحلي، صفي الدين، العاطل الحالي والمرخص الغالي، تح: حسين نصار، ط2، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد: 1990م)، ص3.

على اننا سوف نبحث في اثر الموشحات والازجال الاجتماعي دون الخوض في اعماق البنية الفنية لهما، وذلك بعد ان نسجل موقف الفقهاء من الموسيقى والغناء، تلك الشريحة التي لها اثرها الواضح في حياة المجتمع الاندلسي، بالاضافة الى الاثر الاجتماعي للموسيقى والغناء.

أ ـ موقف الفقهاء

اوضحنا قبل قليل موقف بعض هؤلاء من الالات الموسيقية المستخدمة، والتي كما اسلفت، انها كانت عاملا في تطور الموسيقى والغناء، هذا وقد قسم الغناء الى "...ثلاث اقسام، قسم ساذج بغير آلة ملحق بالالحان فذهب قسم من الفقهاء الى اباحته من غير كراهية وهو مذهب اكثر العلماء مع امن الفتنة والسلامة من المنكر... حكاه ابن حزم وصنف فيه" [1] الذي كتب رسالة بعنوان "الغناء الملهي أمباح هو أم محضور"[2]، وخلاصة رايه ان الغناء مباح، اذ نجده قد ختم رسالته الانفة الذكر بقوله: "فان نوى المرء بذلك ترويح نفسه واحجامها لتقوى على طاعة الله عز وجل فما اتى ضلالا... فلا يحرم تحريم ولا اباحته الا بنص من الله تعالى أو من رسول الله عليه السلام لأنه اخبار عن الله تعالى" [3].

فها هو يصف لنا أحد مجالس الغناء، مبديا اعجابه الشديد بما سمع فقال: "... لعمرى لكان المضرب انما يقع على قلبي، ومانسيت ذلك اليوم ولا انساه الى يوم مفارقتي الدنيا" [4].

غير ان ابن حزم في نفس الوقت لم يجز الموسيقى والغناء في حالات، حيث قال "... من اشتغل عامدا عن الصلاة بقراءة القرآن، أو بقراءة السنن أو حديث يتحدث

1- التنوسي، احكام، ص2 – 3.

2- ابن حزم، رسائل، المجموعة الاولى، ص93 – 100؛ الكبيسي، دور، ص206 – 207.

3- رسالة، المجموعة الاولى، ص101.

4- ابن حزم، طوق، ص110.

به أو ينظر في ماله أو بغناء أو بغير ذلك فهو فاسق عاص الله تعالى. ومن لم يضيع شيئا من الفرائض اشتغالا بما ذكرنا فهو محسن" [1].

ومن الفقهاء الذين رخصوا هذا الامر، الفقيه محمد بن حسين بن احمد بن محمد (ت532هـ/ 1136م)، اذ انه خرج مع طلابه ذات يوم لغرض التنزه حيث اخذ الطلاب بالطرب والرقص دون ان ينهاهم استاذهم هذا[2]، أما الفقيه محمد بن مسعود ابو عبد الله بن ابي الخصال (ت540هـ/ 1145م) فقد ذكر انه قال شعرا في مغن زاره بعد انقطاع جاء فيه:

وافى وقد عظمت على ذنوبه في غيبة بها اثاره

فمحا اساته بها احسانه واستغفرت لذنوبه اوتاره[3]

أما أبو بكر بن العربي (ت543هـ/ 1148م)[4] فقد أباح لأهل الاندلس السماع بعدما أورد جملة من الاحاديث النبوية[5] التي قال عنها بأنه "... لايصح منها شيء... لعدم ثقة ناقليها الى من ذكر من الاعيان فيها" [6]، وهو القائل وقد تشوق الى بغداد، ما يؤكد اباحته للموسيقى والغناء حيث قال:

قـطـعـنـا بـأيـام الـقـطـيـعـة دهـرنـا

نـوالـي سـمـاع العلم فيها ونكتب

ونـهـر معلى أعـشـبـت فـيـه اربـعـي

وغـرد اطـيـاري فاصبحت اطـرب[7]

1- الحلى، 9/ 60.
2- ينظر: الضبي، بغية، ص59 – 60.
3- الضبي، بغية، ص121.
4- الضبي، بغية، ص88.
5- ابن العربي، احكام، 3/ 1481؛ الكبيسي، دور، ص207.
6- ابن العربي، احكام، 3/ 1482.
7- الضبي، بغية، ص85 و86.

وعن الفقيه والأديب محمد بن علي بن البراق الهمذاني (ت595هـ/ 1198م) قال الضبي رأيت من شعره ماجاء فيه:

سيان عند الليالي من بكى طربا

أو من بكى اسفا وأنقد من شجنه[1]

وفي ضوء ما تقدم ومن خلال النصوص التي بين ايدينا يتضح لنا تأييد فقهاء الاندلس للموسيقى والغناء، وأخيرا نود أن نذكر موقفا فقيها للرقص الذي كان في بعض الاحيان يصطحب الموسيقى والغناء، فقد عد "... بدعة لايتعاطاه الا ناقص ولا بصلح الا للنساء" [2]، ويبدو ان اباحته للنساء مشروطه بألا يكون أمام الرجال أو في مجالسهم.

ب ـ الموسيقى والغناء واثارهما الاجتماعية

لقد كان للموسيقى والغناء اثرهما الواضح في الحياة الاجتماعية بالاندلس ويتجلى ذلك بما يلي: -

1 - شغف عدد من الخلفاء والامراء والوزراء بهذا الفن، ففي عهد الطوائف نرى أولي الأمر قد عكف على سماع العيدان والمغاني[3]، فالخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار كان عنده مائة عازف على العود ومثلهم على الابواق[4]، في حين نلاحظ ان الخليفة "... سليمان بن الحكم... الملقب بالمستعين، وكان شاعرا يضرب بالطنبور في حداثته" [5]، هذا وقد وصل شغف

1- الضبي، بغية، ص104.

2- الونشريسي، المعيار، 11/ 29.

3- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر5 ق2/ 615 - 616.

4- ابن عذارى، البيان، 3/ 80؛ الزجالي، امثال، 1/ 251.

5- ابن حزم، جمهرة، ص93.

البعض منهم انه يرسل من يأتي له بجارية زامرة، وهو في أصعب الظروف، كالمعتمد بن عباد الذي ارسل الى ابي الوليد بن جهور صاحب قرطبة في عام (453هـ/ 1061م) طالبا منه تلك الجارية في الوقت الذي كان فيه المعتمد يخوض المعارك مع بعض حكام دول الطوائف[1]، كما وبعث الى قرطبة ايضا من يجتلب "قينة ابن الرميمي... بعد وفاته [وقد استدعاها لما وصفت له بالحذق في صنعتها] " [2] وهو القائل، عندما استدعى عوادا يغني له:

غلب الكرى وونت مطايا الروح
واشتقن شد وحداتها النصاح
فابعث نشاط سئومها ومصيرها
بغناء حاديها اخي الافصاح
ليقيم ذاك العود من رسم السرى
ويعود في الاجسام بالارواح[3]

في حين نرى هذيل بن خلف بن لب بن رزين كان "... ارفع الملوك همة في اكتساب الالات" [4]. وكذلك الحال بالنسبة الى ناصر الدولة مبشر بن سليمان العامري حاكم ميورقة والذي كان عارفا بالغناء حيث اشار الى ذلك ابن اللبانة وكان هذا قد عاش في كنف ناصر الدولة، وهو قوله:

الورد ليس صفاته كصفاته
والطير ليس غناؤها كغنائه[5]

1- ينظر: ابن عذارى، البيان، 3/ 250.
2- ابن عذارى، البيان، 3/ 412.
3- المعتمد، ديوان، ص5 وص45.
4- ابن عذارى/ البيان، 3/ 183؛ مجهول، اخبار، (ملحق كتاب البيان لابن عذارى)، 3/ 308.
5- ابن اللبانة، شعر، ص13.

وقد بلغ شغف ناصر الدولة بالغناء الى الحد الذي فيه يقيم مجالس الغناء في الليل والنهار بقول ابن اللبانة وهو شاهد عيان على ذلك الذي جاء فيه:

طلب الغني في ليله ونهاره

فلم على القمرين حال يقتصى[1]

ان شغف اولي الامر اولئك وولعهم بالموسيقى والغناء لم يكن امرا معزولا عن الواقع الاجتماعي الذي عاشه الاندلسيون حيث الرفاه والمتعه، ولذا فأننا نلمس ان المرابطين عندما دخلوا الأندلس قد تأثروا كثيرا بالحياة التي كانت تحياها معظم المدن الاندلسية حيث مجالس الانس والطرب بحكم الاحتكاك والمعايشة فقد اصبحت الاندلس تحت ظل حكمهم، فها هو أمير المسلمين يوسف تاشفين قد اهدى الى المعتمد بن عباد جارية تجيد الغناء[2].

اما عامل سرقسطة ابو بكر ابراهيم بن تيفولت فقد عقد مجلسا حضره كاتبه ابن باجه وذلك في عام (509هـ/ 1115م) الذي ألقى على بعض فتيان ابي بكر موشحة جاء فيها:

جرر الذبل ايما جر وصلاً لشكر منك بالشكر

لقوله:

عقد الله راية النصر لأمير العلا ابي بكر

حتى صاح هذا، واطرباه، ثم قال ما احسن مابدأت وما ختمت[3]، وكان لمحمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن مردنيش يومان هما الاثنين والخميس يحضر فيها

1- شعر، ص59.

2- ينظر: المقري، نفح، 4/ 275 - 276.

3- ابن سعيد، المقتطف في ازهار الطرف، تح: سيد حنفي حسنين، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د - م: 1984م)، ص257؛ ابن خلدون، المقدمة، ص584؛ المقري، ازهار، 2/ 209؛ نفح، 7/ 7 - 8.

القيسان بمزاميرهن واعوادهن[1] في حين قال الوزير ابي محمد عبد الرحمن في مالك المعافيرى (ت518هـ/ 1124م) في مجلس اطربه:

لاتـلـمـنـي اذا طـربـت لشجو

يـبـعـث الانـس فـالـكـريـم طـروب

لـيـس شـق الـجـيـوب حـقـا علينا

انـمـا الـحـق ان نـشـق القلوب[2]

اما عن عصر الموحدين، وعلى الرغم من قلة المعلومات التي اسعفتنا بها المصادر التى بين ايدينا، فاننا نلمس الاثر الواضح الذي تركته الموسيقى والغناء في حياة المجتمع الاندلسي، فما موقف الخليفة عبد المؤمن بن علي من وسائل الموسيقى والغناء، الا دليل على شيوع ذلك في المجتمع الذي يحكمه، حيث بعث بكتاب الى اهل بجاية عام (556هـ/ 1160م) حيث تتضمن عدة أوامر ومما جاء فيه "وآمر بالكشف عن التلصص والجراية، والتولج في مكان الريب والغواية، والاجتماع على السير الجاهلية من الملاهي على فنونها وانواعها وضروبها واختلاف الاتها...، فاكشفوا عن هذه الأصناف، ...ونقبوا عليهم...، فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيحة... فبحكم كتاب الله" [3].

ومما لاشك فيه فأن مثل هذا الكتاب كان يعمم الى كل البلاد التي تحت حكم الموحدين، بدليل ان الخليفة هذا عندما بعث بكتاب الى طلبه واشياخ الموحدين بالاندلس عام (543هـ/ 1148م) جاء فيه "وقد خاطبنا بمثل ماخاطبناكم به، جميع طلبة الموحدين، وكافة البلاد التي هي بالدعوة المهدية معمورة،...

1- ابن الخطيب،الاحاطة، 2/ 122 - 132.

2- المقري، نفح، 1/ 675 و3/ 232؛ سالم، قرطبة، 2/ 111.

3- بروفنسال، مجموعة رسائل، ص133 و134.

فامرنـا بجميـع فصول كتابنا هذا اليكم ولسـواكم شـامل، وفي كافة أقطار الموحدين نافذ عامل" [1].

على ان هذا الموقف ايضا قد وقفه الخليفة المنصور الموحدي فقد "... امر بقطع الملهين والقبض على من شهر من المغنين فثقف من وجد منهم بكل مكان - فغيروا هيئاتهم وتفرقوا على الاوطان" [2]، وهنا نتساءل هل ان ذلك قد قطع فعلا فني الموسيقى والغناء؟ الجواب. كلا والدليل على ذلك ماسنلمسه في النقاط الاتية ولكن في الوقت نفسه ربما حد من شيوع الموسيقى والغناء أو ان عقد مجالس هذا الفن قد صارت بشكل محدود.

2 - ولقـد بلـغ شـغف بعـض الاندلسـيين بالموسـيقى والغنـاء احيانـا حـدا لا يقـل أو يقـارب شـغفهم بالعلـوم والاداب[3]. ولـذا تألـق عـدد مـن كبـار الادبـاء ورجـال العلـم، فأخـذوا يألفـون الالحـان الموسـيقية التـي ذاع صيتهـا بيـن أهـل الاندلـس، نذكـر منهـم علـى سـبيل المثـال، عبـد الوهـاب بـن جعفـر الحاجـب الـذي كان "اعلـم النـاس بضـرب العـود، واختـلاف طرائقـه، ووضـع الالحـان، وكثيـرا مـا يقـول المعانـي اللطيفـة فـي الابيـات الحسـنة، ويصـوغ عليهـا الالحـان المطربـه البديعـة لمعجبيـه اختراعـا وحذقـا، وكان لـه فـي ذلـك قريحـة وطبـع"[4]. هـذا وكان للشـاعر عقيـل بـن نصـر اغـان جـرى فيهـا مجـرى الموصلـي[5]، امـا اسـحاق بـن شـمعون اليـودى القرطبـي الـذي كان ملازمـا لابـن باجـه، فيبعـد

1- عنان، عصر المرابطين، 1/ 558.
2- ابن عذارى، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص145؛ حسن، الحضارة، ص231 - 232؛ المنوني، محمد، (تأريخ الموسيقى الاندلسية بالمغرب)، مجلة البحث العلمي، تح: 14 - 15، لسنة 6، (الرباط: 1389هـ/ 1969م)، ص150.
3- الحجي، تأريخ الموسيقى، ص35.
4- المقري، نفح، 1/ 194؛ فارمر، تأريخ، ص303 - 304.
5- ينظر: الحميدى، جذوة، ص323.

"احد عجائب الزمان في الاقتدار على الالحان"[1] وكذا ابو الصلت اميه بن عبد العزيز (ت528هـ/ 1132م) حيث كان "... متقناً لعلم الموسيقى وعمله، جيد اللعب بالعود"[2]، ومن الملحنين ايضا محمد بن احمد بن ابي بكر القرموطي المرسي حيث نجده "... يضع الشعر ويلحنه" [3]، هذا وقد حدث عن ابن باجة بأنه "... متقنا لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود" [4] و"... اليه تنسب الالحان المطربة بالأندلس التي عليها الاعتماد"[5]، وقد لحن اشعارا عدة [6]، والى جانب هؤلاء فقد برز أحد تلاميذ ابن باجه الا وهو ابو عامر محمد بن الحمارة الغرناطي الذي "برع في علم الالحان، واشتهر عنه انه كان يحمد للشعراء[7]، فيقطع العود بيده، ثم يصنع منه عودا للغناء، وينظم الشعر، ويلحنه، ويغني به" [8].

3 - على ان الارث الموسيقى الاندلسي الرائع، قد سجل من قبل بعض المهتمين بهذا الاتجاه، فألفوا كتبا حفظت لنا هذا الارث، فلابى الحسن بن الحاسب المرسي كتابا مبير في الموسيقى[9]، ولابن ابي الصلت "رسالة في الموسيقى" [10]، ولاحمد بن الحسن القضاعي (ت599هـ/ 1202م) "... في الموسيقى من فنون التعليم المدخل اليه واختصار كتاب ابي نصر محمد بن

1- ابن سعيد، المغرب، 1/ 127.
2- ابن ابي اصيبعه، عيون، ص501؛ فارمر، تاريخ، ص315.
3- التيفاسي، متعة، ص102.
4- ابن ابي اصيبعة، عيون، ص515.
5- ابن سعيد، تذييل، (ضمن فضائل الأندلس)، ص26.
6- ينظر: التيفاشي، متعة، ص104 – 108.
7- الشعراء: ((الشعار... مكان ذو شجر... شعراء كثيرة الشجر)). ابن منظور، لسان، مادة (شعر).
8- ابن سعيد، المغرب، 2/ 120.
9- التيفاشي، متعة، ص104.
10- ابن ابي اصيبعه، عيون، ص515.

محمـد الفارابـي" [1]. ان كثـرة العامليـن بالالحـان وكثـرة الكتـب المؤلفة فـي ذلك، تعد دليلا واضحا على شيوع فن الموسيقى والغناء في المجتمع الأندلسي.

4 - على ان الاهتمام بالتراث لم يقتصر على تأليف الكتب بل نجد ان الاندلسيين قد اهتموا بذلك من باب تأكيدهم في الغناء على الاشعار العربية القديمة، فها هو التيفاشي يحدثنا عن طريقة مطربي مدينة اشبيلية "... في الغناء الطريق القديم واشعارهم التي يغنون فيها اشعار العرب القديمة المذكورة في كتاب القديمة... للأصفهاني" [2]، "وهذا الغناء اليوم موقوف على اشبيليه من مدن الاندلس" [3] حتى انه ذكر مغني اندلسي قد وصل الى افريقيه وهناك غنى من شعر ابي تمام[4]، يتضح لنا من تلك النصوص عمق الأثر الذي تركه المشرق العربي في نفوس الاندلسيين الذين وجدوا في هذا التراث ما كانوا يصبون اليه.

5 - ان هذا الاهتمام المتميز كان له اثره في ظهور مايمكن تسميته بالمدارس المتخصصة بهذا المجال، كتلك التي اوجدها ابن باجه الذي قيل عنه، بانه في المغرب كالفارابي في المشرق لاتقانه فن الموسيقى[5]، فتراه قد اعتكف "... مدة سنتين من جوار محسنات... فهذب الاستهلال والعمل ومزج غناء النصارى بغناء المشرق واخترع ابن جودى وابن الحيارة وغيرهما، فزادوا الحانه تهذيبا واخترعوا ماقدروا عليه من الالحان المطربة" [6].

6 - مما لا شك فيه ان تطور فن الموسيقى والغناء والتخصص الذي لمسناه في هذا المجال، لابد لهما من ان ينمخض عنهما بروز اصوات ترتقي مع رقي هذا الفن، ذلك ما اشار اليه ابن خفاجه بقوله:

1- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر1 ق1/ 90.
2- متعة، ص89.
3- التيفاشي، متعة، ص103.
4- التيفاشي، متعة، ص102.
5- مجهول، تراجم ورجال، ص26.
6- التيفاشي، متعة، ص115.

ومـــغـــرد هـــزج الــغـــنـــاء مـطـرب
تــلـقــى بـــه لــيــل الــتـــمــام فيقصر

لقوله

حــلا الــمـــســامــع والــعــيــون محاسنا
فلم ادر هـــل اصغي اليه ام انظر[1]

ومن هؤلاء المغنيين نذكر المغني المعروف بالسوسي[2] وابا بكر الاشبيلي[3] وغيرهما ممن كانوا يحيون مجالس الموسيقى والغناء.

7 – وعلى أثر ما ذكرناه من أثر اجتماعي، فقد تطورت النوته الغنائية، اذ كانت تبدأ بنغمات ثقيلة شيئا فشيئا ثم يتحولون عنها الى النغمات الخفيفة التي تثير السامعين لارتياحهم لها[4]، لذا ظهر مانسميه اليوم (بالكورس) الذي يرافق المغني اثناء الغناء، كما تعددت الأغراض التي غنت في الأندلس فشملت الموشحات والازجال ومن قبل كلا الجنسين من مغنيين ومغنيات[5].

على ان هناك نوعا من الطبول الكبيرة الحجم قد استخدمت خلال التحركات العسكرية، اذ ان دويها كان يزرع الرعب في قلوب الاعداء[6].

1- ديوان، ص221.
2- المقري، نفح، 4/ 96.
3- المقري، نفح، 4/ 95 و271.
4- التيفاشي، متعة، ص104.
5- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 603؛ ابن خفاجة، ديوان، ص352؛ التيفاشي، متعة، ص114.
6- ينظر: ابن الاثير، كامل، 7/ 285 – 286؛ ابن عذارى، البيان، 4/ 63؛ الناصرى، الاستقصا، 2/ 42؛ العبادى، في تأريخ المغرب بالأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، (الاسكندرية: د – ت)، ص332؛ الهرفي، دولة، ص262؛ الدورى، تقي الدين عارف، التأريخ الاندلسي عند ابن الاثير وابن خلكان دراسة ونصوص، مطبعة الرشاد،(بغداد:1410هـ/ 1990م)، ص134 – 135.

8 - يكثر الغناء في المناسبات المفرحة كالأعراس[1]، وايضا في مواسم الحصاد والقطف، فهذا الضبي وهو يترجم للفقيه محمد بن حسين بن احمد بن محمد (ت547هـ/ 1152م) يقول بأنه كان يخرج مع طلابه في ايام العصير لغرض النزهة، عندها يأخذ الطلاب بالغناء والعزف وهم مجتمعين[2]، كما صرنا نلاحظ ان بعضا من اهل الاندلس عندما يخرجون الى الوادى الكبير في اشبيلية لاجل قضاء اوقات طيبة، كانوا يستصحبون معهم الات موسيقية فيغنون مع عزفها[3] بالاضافة الى خروجهم في نزهاتهم النهرية، فهذا الخليفة المستعين بالله قد ركب في احد الايام زورقا في نهر سرقسطة حيث نغمات "الاوتار تجس السائر عنده عدوه وتحرس الطائر المفصح بشده"[4].

ويبدو لنا ان من عوامل انتشار هذا الفن هو تقبل اهل الاندلس، وذلك لما اتصفوا به من صفات فكانوا "اخف الناس ارواحا" [5]، اضف الى ذلك جمال الطبيعة التي قال فيها الشاعر:

يا اهل الاندلس لله دركم
ماء وظل وانهار واشجار
ماجنة الخلد الا في دياركم
ولو تخيرت هذا كنت اختار[6]

9 - رافق هذا الفن ولازمه في معظم الاحوال، قيام الجواري بالرقص، الشيء الذي سوف يضفي جمالا وانسا، فقد اشار ابن حمديس لهذا بقوله:

1- ينظر: الفصل الثالث، هامش (1 و2) ص93، وهامش (2 و3)، ص94.

2- بغية، ص59.

3- ينظر: ابن سعيد، رايات، ص75 - 76 و413.

4- المقري، نفح، محمد، 2/ 166 - 167.

5- الشقندي، فضائل، (ضمن فضائل الاندلس)، ص51.

6- ابن خفاجة، ديوان، ص136.

وراقصة في السحر في حركاتها
تقيم به وزن الغناء على الحد
منغمة الفاظها بترنم
كسا معبداً من عزه ذلة العبد
تدوس قلوب السامعين برخصة
بها لقطت ما للحون من العد[1]

على ان مدينة ابذه قد اشتهرت براقصاتها اللواتي يحسن هذه الصنعة[2]، حيث كن يكشفن رؤوسهن عند الرقص، لذا اوجب ابن عبدون النهى عن ذلك[3]، ومما يلفت الانتباه الى ان بعضا ممن يحضرون مجالس الانس والسمر الخاص، ينسجمون مع المرح والسرور فيقوم بعضهم بالرقص[4]، وفي ذلم قال ابن خاقان:

يأبي قضيب البان يثنيه الصبا
عوض الصبا في الروضة الغناء
نادمته سحرا فامتع مسمعي
بترنم كترنم الورقاء
وكأنما اكمامه في رقصه
تتعلم الخفقان من احشائي[5]

1- ديوان، ص7 و133.

2- الشقندي، فضائل، (ضمن فضائل الاندلس)، ص56.

3- ينظر: رسالة، ص51.

4- ينظر: ابن سعيد، المغرب، 1/ 100.

5- قلائد، 4/ 925.

10 - وأخيرا فقد تمثل الاثر الاجتماعي في اشتهار مدن اندلسية عدة بهذا الفن، فقد عرف عن اشبيلية انها مدينة "...الأدب واللهو والطرب" [1] وفيها قال ابن زهر محمد: "... اذا مات عالم بأشبيلية فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها، وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع الاته حملت الى اشبيلية" [2]، وكان اهلها ينتهزون "فرص الزمان الساعة بعد الساعة" [3]، وعنها قال الشقندي "... وقد سمعت ما في هذا البلد من اصناف ادوات الطرب... وان كان جميع هذا موجودا في غيرها من بلاد الاندلس فانه فيها اكثر واوجد" [4]، ان كل ما اوردنا عن اشبيلية يفيد بأنها قد فاقت المدن الاندلسية الاخرى في الموسيقى والغناء.

أما أهل بلنسيه فقد اتسموا بقلة الهمة، بحيث لانكاد نجد فيها من يستطيع على شيء في دنياه، الا وقد اتخذ لنفسه مغنية أو اكثر، فتراهم يتفاخرون عندما يقولون ان فلانا عنده عودين وثلاثة وأكثر من ذلك، لدرجة ان سعر المغنية قد وصل فيها الى اكثر من الف مثقال طيب، واما دون ذلك فيوجد الكثير[5]، أما غرناطة فهي الاخرى قد فشى فيها الغناء حتى انه صار يردد في بعض الدكاكين عندما يتجمع صناعها[6]، وربما كان ذلك في ساعات الراحة.

ولكن الحقيقة التي لا لبس فيها ان الموسيقى والغناء قد شاعت وانتشرت في مختلف المدن الاندلسية وقد تجلى لنا ذلك في كل تلك الاثار الاجتماعية السالفة الذكر.

1- المقري، نفح، 1/ 208.

2- المقري، نفح، 1/ 155.

3- المقري، نفح، 1/ 159؛ الزجالي، امثال، 1/ 156.

4- فضائل، (ضمن فضائل الاندلس واهلها)، ص52.

5- ابن الدلائي، توصيع، ص18؛ مؤنس، تأريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، (مدريد: 1961م)، ص86.

6- ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 137، اللمحة، ص40.

ج ـ الموشحات واثارها الاجتماعية

الموشحات الاندلسية موضوع واسع، وقد افاض مؤرخو الادب البحث فيه. فجاءوا باراء كثيرة ووجهات نظر متعددة، لا سبيل لنا ونحن نبحث الاثار الاجتماعية لهذا الفن، الى حصر هذه الاراء ووجهات النظر تلك، لذا فاننا سنوجز مقدمة بسيطة عن مفهوم الموشح في جانبيه اللغوى والاصطلاحي مع بعض اراء المؤرخين القدامى والمحدثين حول منشئه.

ففي اللغة هو "سير ينسج من اديم عريض ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها، وهو ايضا عقد من سلكين من اللالى، لكل منها لون خاص" [1].

أما في الاصطلاح فهو "كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في الاكثر من ستة أقفال[2] وخمسة أبيات ويقال له الاقرع فالتام ما ابتدى فيه بالاقفال، والاقرع ما ابتدى فيه بالابيات" [3].

على ان الاراء تضاربت حول مخترع هذا الفن والبيئة التي ظهر فيها فن التوشيح، فمنهم من قال ان الشاعر العباسي عبد الله بن المعتز هو مخترع هذا الفن وبالتالي يذهب الاتجاه الى ان المشرق العربي هو موطن الموشح، والسبب في هذا الفهم على مايبدو، هو احتواء ديوان هذا الشاعر على موشحه تعود الى الاديب والحكيم الاندلسي ابو بكر محمد بن ابي مروان بن ابي العلاء بن زهر[4] والتي مطلعها:

1- ابن منظور، لسان، مادة (وشح).

2- القفل: هو مايلي مجموعة الابيات التي تعرف بالدور، ويسمى القفل ايضا بالمركز والذي يتكون من وحدات تركيبية عديدة تخالف الابيات على ان تكون متفقة مع بعضها من حيث الوزن والقافية وعدد الاجزاء، ينظر: ابن سناء الملك، ابو القاسم هبة الله بن جعفر، دار الطراز في عمل الموشحات، تح: جودة الركابي، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت: 1368هـ/ 1949م)، ص25؛ الصفدى، توشيع التوشيح، تح: السير مطلق، دار الثقافة، (بيروت: 1966)، ص2؛ زاهد، عبد الهادي، صلة الموشحات والازجال بشعر التروبادور، ط1، (مصر: 1977م)، ص13؛ الشكعة، الادب، ص376؛ عباس، تاريخ، ص236.

3- ابن سناء الملك، دار، ص25.

4- هيكل، الادب، ص163 – 964؛ الحجي، تاريخ الموسيقى، ص38.

ايـهـا الـسـاقـي الـيـك المشتكى
قــد دعــونــاك وان لــم تسمع[1]

ولقد جاء الدكتور هيكل بأدلة تنفي هذا الادعاء منها، انه لو كانت هذه الموشحة تعود لابن المعتز لذاع صيتها في المشرق، ولوجدنا لغيره من المشارقة نماذج لهذا الفن، ومما يعزز رأيه هذا، دراسته لبنية موشحات ابن زهر فوجدها انها موافقة للموشحات[2] المذكورة في ديوان ابن المعتز.

كما وذهب المستشرق مارتن هارتمان الى القول بان الموشحات فن مشرقي استنادا الى قول ابن خلدون: "واما اهل الاندلس... استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه اسماطا[3] اسماطا" [4]. وسار على خطى هارتمان، الدكتور حافظ حينما قال بان الموشح "كان... ينظم في اشكال اسماط" [5] غير انه تراجع عن هذا الرأي حينما اورد بان الموشحات انتقلت "الى المشرق فحاول نظمه جماعة من الشعراء، ولكنهم لم يبلغوا شأن الاندلسيين، اذ كانت موشحاتهم لا تخلو من تكلف وعجز عند اختيار الكلمات الموسيقية المرنة" [6]، اضف الى ذلك ان اهل الاندلس لم يتعرفوا الى الاسماط التي كانت في المشرق اثناء تلك الفترة التاريخية[7]، وان "الموشحات هي مالا مدخل لشيء من اوزان العرب، وهذا القسم منها هو الكثير والجسم الغفير، والعدد الذي لاينحصر والشارد الذي لاينضبط" [8].

1- ابن سعيد، المغرب، 1/ 272؛ ابن ابي اصيبعة، عيون، ص526.
2- ينظر: هيكل، الادب، ص164؛ وينظر موشحات ابن زهير عند ابن ابي اصيبعة، عيون، ص526 – 528.
3- السمط: ((المسمط من الشعر ابيات مشطورة يجمعها قافية واحدة)) – ابن منظور، لسان، مادة (سمط).
4- مقدمة، ص583؛ ينظر: الاهواني، الزجل، ص5 وهامشها رقم (2).
5- محمد محمود سامي، تاريخ الموسيقى والغناء العربي، المطبعة الفنية الحديثة، (د – م: 1971م)، ص109.
6- حافظ، تاريخ، ص110.
7- ينظر: هيكل، الادب، ص166؛ ال طعمة، موشحات، ص25 – 52.
8- ابن سناء الملك، دار، ص35.

اذن فليس هنالك ثمة ظلال من شك في ان الموشح قد نشأ في الاندلس باجماع كل من ارخ للادب الاندلسي من القدامى، وان مخترعيه اندلسيون، فهذا ابن بسام يذكر ان اول "من صنع... الموشحات بأفقنا واخترع طريقتها - فيما بلغني - محمد بن محمود القبرى" [1]، اما ابن خلدون الذي جاء في حديثه ما يثبت حقيقة بيئة نشوء الموشحات، الا انه نسب اختراعها لشخص اخر بقوله "وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن مصافر... من شعراء الامير عبد الله بن محمد بن مروان" [2].

على ان لهذا الفن شأنا في ذلك شأن باقي الفنون، اذ انه يمر بمراحل تطور، فقط نلاحظ ان ابن بسام قد اولى عناية لابي بكر عبادة بن ماء السماء (ت422هـ/ 1030م)[3] فقد طور الموشح ونظمه وقومه بقوله: "... وكانت صنعة التوشيح التي نهج اهل الاندلس طريقتها، ووضعوا حقيقتها، غير مرموقة البرود، ولامنظومة العقود، فأقام عياده هذا منادها، وقوم ميلها وسنادها، فكأنها لم تسمع في الاندلس الا منه، ولا اخذت الا عنه" [4].

هذا وقد احصى لنا الدكتور العاني العديد من الباحثين المحدثين الذين ايدوا ماجاء به ابن بسام وابن خلدون، من ان الموشحات اندلسية المولد والنشأة[5]، لان الاندلسيين كانوا ميالين الى التجديد والخروج عن كل ما هو تقليدي، فتولدت لديهم الحاجة الى استحداث فن جديد يتميز بسهولة تناوله من قبل الجمهور[6]، واقترانه

1- الذخيرة، ق1 م1/ 469؛ الاهواني، الزجل، ص4.

2- مقدمة، ص584؛ الحجي، تاريخ الموسيقى، ص39.

3- ينظر: الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تح: احسان عباس، دار صادر، م2، (بيروت: 1974م)، ص149؛ الصفدى، توشيح ' ص196.

4- الذخيرة، ق1 م1/ 469؛ الاهواني، الزجل، ص4.

5- ينظر: مكي، (الموشحات الاندلسية)، مجلة اداب المستنصرية، الجامعة المستنصرية، ع3، (بغداد: 1398هـ/ 1978م)، ص94.

6- ينظر: المقري، ازهار، 2/ 207 و 216.

بالألحان[1]، فظهرت الموشحات، وبعد هذه المقدمة سوف نركز على الاثار الاجتماعية لفن الموشحات وهي كالاتي:

1 – ولع اهل الاندلس بالموشحات كونها ذات لغة بسيطة وبالخصوص ذلك الجزء الذي يسمى بالخرجة[2] حيث "... كان يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز، ويضع عليه موشحه" [3] اضف الى ذلك ان الموشحات لم تلتزم وزنا واحدا كما هو الحال في الشعر العامودي[4]، الامر الذي ساعدها على ان تطوع بسهولة الى الغناء فراج امرها حتى بين أولئك الذين عارضوها من المثقفين بدليل ما اورده المراكشي وهو يتحدث عن موشحات عبد الملك بن زهر فقال: " ولولا ان العادة لم تجر بأيراد الموشحات في الكتب المجلدة المخلدة لأوردت له بعض ما تبقى على خاطري في ذلك" [5].

والذي زاد من شعبية هذا الفن كما نرى، هو انها لم تقتصر على غرض واحد بل نجد موشحات في الغزل والمدح والرثاء والهجاء والمجون والزهد [6]، وبذلك أرضت معظم الاذواق لدى الاندلسيين، وخاصة وان المجتمع قد ضم الى جانب المسلمين النصارى واليهود وكان لكل منهم لغته.

1- ابن سناء الملك، دار، ص37 – 38؛ زاهد، صلة، ص16.

2- الخرجه: عبارة عن القفل الاخير في الموشحة، والتي تعد الجزء الاساس فيه، والتي تكون على نوعان أما فصيحة أو زجلية أي عامية أو أعجمية الالفاظ وهي المفضلة المستحسنة، ينظر: ابن سناء الملك، دار، ص30 – 32؛ الصفدى، توشيح، ص27 – 28؛ الكريم، مصطفى عوض، الموشحات والازجال، مطابع المعارف، (مصر: 1965م)، ص16؛ الشكعة، الادب، ص378؛ آل طعمة، موشحات، ص67.

3- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 469؛ هيكل، الادب، ص162.

4- آل طعمة، موشحات، ص98.

5- المعجب، ص146؛ عباس، تاريخ، ص218

6- ابن سانء الملك، دار، ص38؛ الشكعة، الادب، ص416 – 443؛ العاني، الموشحات، ص215؛ الكريم، الموشحات، ص18.

2 - ولـولا اقبـال الاندلسـيين علـى هـذا الفـن منـذ البدايـة، لمـا اسـتمرت الكتابـة فيـه، لـذا بـرز عـددا مـن الوشـاحين المشـهورين، فبالاضافـة الـى مـا ذكرنا بـرز ابـو عبـد اللـه محمـد بـن عبـادة المعـروف بابـن القـزاز الـذي كان شـاعر المعتصـم بـن صمـادح صاحـب المريـة[1]، وابـو بكـر محمـد بـن أرفـع رأسـه وكان المأمـون بـن ذي النـون قـد اشـتمل عليـه واشـتهر عنـد ذكـره[2]، وابـن اللبانة[3]، اما من النساء فقد برزت ام الكرم بنت صمادح[4].

وفي عهد الدولتين المرابطية والموحدية فقد ظهر الاعمى التطليلي[5] وابن باجه[6]، ومحمد بن ابي الفضل بن شرف[7] وابن بقي ابو بكر يحيى بن محمد[8]، وأبو العباس أحمد بن حنون الاشبيلي الذي كان على عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن[9]، وأبو الحسين بن مسلمة القرطبي[10]، وأبو بكر بن زهر[11] وغيرهم الكثير ممن برز في هذا الميدان[12].

1- ابن سعيد، المغرب، 2/ 134 – 137؛ المقتطف، ص255؛ منصور، مصطفى كمال، (الموشحات الاندلسية)، مجلة الدارة، عدد1، لسنة6، (الرياض: 1400هـ/ 1980م)، ص160.

2- ابن سعيد، المغرب، 1/ 18؛ المقتطف، ص256؛ ابن الخطيب، جيش التوشيح، تح: هلال ناجي ومحمد ماضور، مطبعة المنار، (تونس: 1967م)، ص73؛ المقري، نفح الطيب، 7/ 6.

3- ابن اللبانه، شعر، ص9؛ ابن الخطيب، جيشن ص ص 59 – 72 و 241؛ الصفدي، توشيع، ص208.

4- ابن سعيد، المغرب، 2/ 202؛ السيوطي، نزهة، ص ص20 – 21.

5- ابن سعيد، المقتطف، ص256؛ ابن خلدون، مقدمة، ص584؛ المقري، ازهار، 2/ 208.

6- ابن سعيد، المقتطف، ص258.

7- ابن سعيد، المغرب، 2/ 230؛ المقري، نفح، 7/ 8.

8- ابن سعيد، المغرب، 2/ 25؛ ابن الخطيب، جيش، ص2؛ ال طعمه، موشحات، ص79 ومابعدها.

9- ابن سعيد، المغرب، 1/ 249.

10- ابن سعيد، المغرب، 1/ 424؛ الشكعة، الادب، ص423.

11- ابن سعيد، اختصار، ص161؛ المغرب، 1/ 271؛ ابن الخطيب، جيش، 196؛ الشكعة، الادب، ص417.

12- ينظر: ابن سعيد، اختصار، ص89 و108 و156؛ المغرب، 2/ 332؛ المقتطف، ص206؛ المراكشي، المعجب، ص373؛ الصفدى، توشيع، ص31 – 32؛ منصور، موشحات، ص161 – 162.

3 - سبق وان ذكرنا ان الموشحات كانت تلحن[1]، وبالذات الخرجه التي شبهت بالملح والسكر والمسك والعنبر لهذا الفن[2] الذي يتكون من سبع اجزاء بضمنها الخرجه[3] فكان على المغني أن يستعين بمجموعة غنائية تردد الجزء المسمى بالمركز أو القفل بعد انشاده للأغصان[4]، فظهر عندئذ مانسميه اليوم بالكورس والذي اشتمل على عدد من النساء والصبيان[5]، ومن الملاحظ هنا بأن واجب هذه المجموعة الغنائية يكاد يكون محددا من حيث زمن الغناء الذي يتميز بالثبات في تكرار وترديد البيت الذي قبل الخرجه، في حين نلمس ان هذا الزمن متغير في الاشعار العمودية.

من كل ماذكرنا، فأننا نستطيع ان نقول بأن الموشحات الاندلسية، قد صارت فنا شعبيا ذو اثر واضح، فهو على حد قول الدكتور الاوسي: اثمن ما قدمته الاندلس الى الادب الاوربي خاصة والى الادب العالمي عامة وذلك كونه شعرا غنائيا[6].

4 - هذا وقد تمثل ولع اهل الادب بهذا الفن الذي استولى على مجامع قلوبهم، وملك عليهم كل تفكيرهم، فأخذوا يتانقون في حبك الموشحات ويجرون المسابقات والمطارحات التوشيحية، فقد ذكر ان جماعة من الوشاحين اجتمعوا في احد المجالس في اشبيلية وقد استحضر كل واحد منهم موشحة ألفها وتأنق بها، فتقدم الاعمى التطيلي لانشاد موشحته تلك، وما كاد ينتهي منها

1- ينظر: هذا الفصل، هامش (3)، ص148.

2- ابن سناء الملك، دار، ص27 و32؛ الصفدى، توشيع، ص29؛ الاهواني، ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، دار الجيل للطباعة، (القاهرة: 1962م)، ص119؛ عباس، تأريخ، ص236.

3- ينظر: الشكعة، الادب، ص375.

4- ابن سعيد، رايات، ص11.

5- ينظر: ابن سناء الملك، دار، ص31؛ الصفدى، توشيع، ص28.

6- الاوسي، (اللغة الاسبانية وقضايانا القومية)، مستلة من مجلة كلية الاداب، عدد 13، مطبعة المعارف، (بغداد: 1970م)، ص187 و195.

حتى قام يحيى بن بقي وغيره ممن حضر المجلس بتمزيق موشحاتهم اجلالا للتطيلي واعجابا بموشحته[1].

5 – اهتم البعض على تسجيل تلك الموشحات، كالذي فعله علي بن ابراهيم بن محمد البلنسي (ت525هـ/ 1130م) حيث ألف كتابا سماه (مشاهير الموشحين بالاندلس) أو (نزهة الأنفس وروض التأنس في توشيح اهل الاندلس)[2].

د ـ الازجال واثارها الاجتماعية

الزجل في اللغة هو "... اللعب والجلبة ورفع الصوت وخص به التطريب" [3]، اما في الاصطلاح فهو ذلك الشعر الشعبي (العامي) الذي يتكون من نفس اجزاء الموشح حيث يتميز بوحدة القافية وتكرارها في كل بيت، وانه ينظم على سائر بحور الشعر الفصيح[4]، "وانما سمى هذا الفن زجلا، لانه لا يلتذ به، وتفهم مقاطع اوزانه، ولزوم قوافيه حتى يغنى يغنى به وبصوت" [5].

على ان هذا الفن هو ايضا وليد البيئة الاندلسية، حيث نجد شبها كبيرا بين الموشحات والازجال في اكثر من ناحية وخاصة في الشكل الخارجي وفي الاوزان ونظام القوافي، وكذلك في بعض الموضوعات[6]، غير انه ومن منطق القول ان نذكر بأن الزجل جاء بعد الموشح، ولذا اعتبر الاخير هو الحلقة الوسطى بين الشعر الفصيح

1- ينظر: ابن سعيد، المقتطف، ابن خلدون، مقدمة، ص584؛ المقري، ازهار، 2/ 208؛ نفح، 7/ 7؛ الشكعة، الادب، ص409 – 410؛ الحجي، تاريخ الموسيقى، ص48 – 50؛ ال طعمه، موشحات، ص39 – 40.

2- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر5 ق1/ 187؛ المقري، أزهار، 2/ 253؛ عباس، تأريخ، ص218.

3- ابن منظور، لسان، مادة (زجل).

4- ينظر: الاهواني، الزجل، ص3 و95؛ الشكعة، الادب، ص462؛ الحجي، تاريخ الموسيقى، ص77 و91؛ الموصلي، سامي احمد، دراسات اندلسية، ط1 مطبعة الزمان، (بغداد:1970م)، ص7؛ عباس، تاريخ، ص257.

5- الحلي، العاطل، ص6.

6- الاهواني، الزجل، ص2.

والشعر العامي (الزجل)، خاصة وان النصوص الزجلية التي وصلت الينا قد كتبت بعد ان كانت الموشحات قد احتلت مكانتها العتيدة وثبتت اقدامها، والفارق الزمني بينهما، كما يبدو هو نفس الفارق الزمني بين عبادة بن ماء السماء الذي قال بحقه ابن بسام بأنه اقسام "... منادها، وقوم ميلها وسنادها" [1] وبين ابن قزمان الذي قال عنه ابن سعيد "فصار امام اهل الزجل المنظوم بكلام عامة الاندلس" [2]. ولنا بعد هذه التوطئة ان نسجل الاثار الاجتماعية التي تركها هذا الفن في حياة المجتمع الاندلسي وهي كالاتي: -

1 - شغف اهل الاندلس بالأزجال التي جاءت لتعبر عن مشاعر واحاسيس الغالبية من المجتمع الاندلسي، ذلك المجتمع الذي تكون من خليط غير متجانس، فأرضت معظم الأذواق، اذ طرقت عدة أغراض كالغزل والنسيب، والخمرى، والزهرى[3]، والمدح، والرثاء... بل يذكر انه قد يشتمل على تلك الموضوعات جميعا[4]، وربما يكون المقصود هنا، ان القصيدة الزجلية لم تقتصر على غرض واحد، كالغزل مثلا من بدايتها الى نهايتها، وانما كانت تتضمن اغراضا اخرى مجتمعة في قصيدة واحدة.

وما جاء به ابن قزمان، لدليل على ولع الخواص والعوام حيث يقول: "ولما لبيت ملوك الدول واربابها... مثل قاضي الجماعة ابي القاسم احمد بن حمدين والفقيه ابي جعفر بن حمدين... والوزير الفقيه ابن ابي العلاء ابن زهر... ومن سواهم من الاعيان... يرغبون علي ان املها عليهم" [5] "... فما زلت أماطلهم شهرا بعد شهر

1- الذخيرة، ق1 م1/ 469.

2- المغرب، 1/ 100؛ الشكعة، الادب، ص447.

3- ابن سعيد، المغرب، 2/ 222؛ الحلي، العاطل، 3.

4- ينظر: ابن قزمان، ديوان، ص2؛ ابن سعيد، المغرب، 1/ 438 - 441 و2/ 46؛ عباس، تاريخ، ص54؛ الحجي، تاريخ الموسيقى، ص80 ومابعدها.

5- ديوان، ص4.

وسنة بعد سنة حتى رأيت اسعافهم اجرا" [1]. اما العوام فقد كانوا ينشدون الازجال في الشوارع والاسواق وعند قيام الحفلات وفي مواسم الاعياد وايام القطف[2].

2 - هذا وقد تمثل الشغف بان قام احد اغنياء اشبيلية بعقد مجلس خاص بهذا الفن على ظهر زورق، فأخذ الزجالون ينشدون ازجالهم الواحد تلو الاخر وكان من بينهم الزجال ابن قزمان[3].

3 - ان ادامة هذا الفن وأثره في المجتمع كان ببروز عدد ممن يعتنون به، فينظمون القصائد التي تأخذ مجراها على الالسن، وكان ممن خاض هذا البحر على سبيل المثال لا الحصر، ابن قزمان[4] وأبو عمر بن الزاهر[5]، ومدغليس[6]، وغيرهم[7].

ومما يؤخذ على ابن قزمان، انه جعل هذا الفن باللهجة الدارجة (العامية). وهذا أثر سلبي، اذ يعد عامل هدم للغة العربية الفصحى، ونعزي السبب في تصرفه ذلك، بعدما كانت الازجال أول أمرها "... قصائد مقصدة، وأبيات مجردة على عروض العرب بقافية واحدة كالقريض" [8]، لانه كان من انتاج مجموعة على خط غير قليل من الثقافة العربية[9]، الا ان ابن قزمان

1- ابن قزمان، ديوان، ص5.
2- ينظر: ابن عبد الرؤوف، رسالة، ص13؛ عباس، تاريخ، ص222 و261.
3- ينظر: ابن سعيد، المقتطف، ص263 - 264؛ الحجي، تاريخ الموسيقى، ص85.
4- ابن سعيد، المغرب، 1/ 167 - 176؛ الاهواني، الزجل، ص64 و67 - 105؛ عباس، تاريخ، ص266 - 278.
5- ابن سعيد، المغرب، 1/ 283 - 285.
6- ابن سعيد، المغرب، 2/ 220 - 221؛ الزجالي، امثال، 2/ 169؛ الشكعة، الادب، ص445.
7- ينظر: ابن سعيد، اختصار، ص143؛ المغرب، 1/ 226؛ الحلي، العاطل، ص14 - 15؛ عباس، تأريخ، ص278.
8- الحلي، العاطل، ص14؛ الاهواني، الزجل، ص1 - 2.
9- ينظر: الاهواني، الزجل، ص 74.

"كان اول شأنه مشتغلا بالنظم المعرب، فرأى نفسه تقصر عن انفراد عصره، كابن خفاجه وغيره، فعمد الى طريقة لا يمازحه فيها احد منهم" [1] اذ اخذ يغير من اسلوب الشعر العمودي المتعارف عليه، ذاكرا لنا سمات انتاجه الجديد الذي يقول عنه "... وعربته من الاعراب، وعربته من التحالي والاصطلاحات" [2]، ثم يعود ليؤكد هذه الحقيقة المرة بحق اللغة العربية الفصحى فيقول: "وقد جردته من الاعراب كتجريد السيف من القراب" [3]، لأن الاعراب حسب رأيه هو "اقبح ما يكون في الزجل" [4].

ولم يكن قصر ابن قزمان في قرض الشعر العمودى هو السبب الوحيد الذي دفعه الى ما دفعه، بل الحسد الذي اعمى بصيرته من اولئك الشعراء الذين خاضوا في بحور الشعر فخرجوا بنتاج رائع وذلك باعتراف ابن قزمان[5].

اضافة الى ذلك، وكما يبدو انه اصيب بمرض نفسي هو حب التفاخر، واى تفاخر؟ انه تفاخر واعتزاز بما هو سلبي اذ يقول: "ولما اتسع في طريق الزجل باعي وانقادت لغريبه طباعي وصارت الايمة من حولي واتباعي... وقويت فيه... وصفيته من العقد التي تشينه[6]، على ان ذلك كله كان عن طريق استخدام الالفاظ العامية الدارجة السهلة والرقيقة، التي اخذت تدخل في الجوانب الادبية[7]، التي اكد عليها ابن قزمان كما اسلفنا واخذ بها.

1- ابن سعيد، المغرب، 1/ 100.
2- ابن قزمان، ديوان، ص1.
3- ابن قزمان، ديوان، ص10.
4- ابن قزمان، ديوان، ص2.
5- ينظر: ابن قزمان، ديوان، ص2؛ الاهواني، الزجل، ص52.
6- ابن قزمان، ديوان، ص14.
7- ينظر: الحلي، العاطل، ص13.

ثانيا ـ وسائل اللهو والتسلية

أ ـ الالعاب

اللعب في اللغة هو ضد الجد، واللعبة مايلعب بها[1]، اما في الاصلاح فهو "طلب الفرج بما لا يحسن ان يطلب به" [2]، على ان الاسلام دين واقعي بسيط لا يرتفع بالانسان الى الخيال والمثالية، فيكون عند ذاك صعبا يدفع المسلم الى ان يدير ظهره عن كل مظاهر الحياة، بل انه دين وقف مع المرء على أرض الواقع، ولذا أورد القران الكريم ماقاله المشركون ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾[3].

اذن فالاسلام لايتعامل مع الناس كأنهم ملائكة أولو ﴿ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ ﴾[4]، بل ترك لهم خطأ في الدنيا ورعاهم الى ذلك بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [5].

على ان الرسول الكريم محمد ﷺ قد شرع الوانا من الالعاب التي عرفت على عهده، ترفيها عن المسلمين وترويحا لهم. ثم جاءت من بعده جملة من الاراء والمواقف، كل تمثل صاحبه، بخصوص بعض تلك الالعاب التي مورست من قبل المسلمين عموما واهل الاندلس خصوصا.

1- ابن سيدة، المخصص، م4 سفر13/ 16؛ ابن منظور، لسان، مادة (لعب).

2- البستاني، بطرس، محيط المحيط، مطابع مؤسسة جواد للطباعة، (بيروت:1977م)، مادة (لعب).

3- سورة الفرقان، آية (7).

4- سورة فاطر، آية (1).

5- سورة القصص، آية (77).

فقد ذكر "...ان رسول الله ﷺ كان يلعب مع الصبيان" [1] وانه قد "...اتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان" [2] وغير هذه الاحاديث هنالك الكثير[3] التي تدل بالمعنى القاطع على ان الدين الاسلامي وقف موقفا ايجابيا ازاء بعض الالعاب، لما لها من اهمية في البناء الفكري والجسدي والنفسي.

فها هو ابن العربي المتوفي عام (507هـ/ 1113م) يوضح لنا أهمية اللعب بقوله:

والنفس، ما انفردت بالجد متعبة

حتى تراح بين الجد واللعب[4]

غير ان الفقهاء قد اتخذوا موقفا من تلك الالعاب حينما يرون ان ممارسيها قد اجتازوا الحدود المسموح بها، كأضرارهم بالصالح العام أو انشغال ممارسيها عن اداء الفرائض التي أوجبها الله أو انهم اتخذوها مجالا للكسب الحرام أو ان يكون بها اذى للمارة من المسلمين أو ان تولد النفاق والهرج بينهم.

فقد قال ابن حزم بأن الالعاب أتعبت ضعفاء الحكام حينما انشغلوا "... بالشطرنج والنرد... وركوب الدواب في طلب الصيد وسائر الفضول التي تعود بالمضرة في الدنيا والاخرة" [5].

كما وحرمت الالعاب عندما تكون مجالا للقمار، وفي هذا يقول ابن عبدون: "يجب ان ينهى عن لعب الشطرنج، والنرد، والقرق[6]، والازلام، على سبيل القمار،

1- احمد بن حنبل، مسند، 3/ 121.

2- احمد بن حنبل، مسند، 3/ 149 و288.

3- ينظر: النسابوري، صحيح مسلم،2/ 548 و5/ 594؛ احمد بن حنبل، مسند،1/ 205 و3/ 183.

4- ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 305.

5- الاخلاق، ص21.

6- القرق: هي لعبة للصبيان حيث يختطون على الارض خطوطا يضعون عليها حصيات، ينظر: الصفاني، الحسن بن محمد بن الحسن، التكملة والذيل والصلة للكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تح: عبد العليم الطحاوي، دار الكتب، ج2، (القاهرة: 1977م)، مادة (فرق)، ابن منظور، لسان، مادة (فرق).

فانها حرام، وتشغل عن الفرائض"[1]، بل اننا نجد ان القيرواني قد نهى عن الجلوس الى من يلعب بها[2]، على ان الدين الاسلامي يريد من وراء هذا الاجتناب والتحريم جملة من الاهداف منها: -

1 - ان المراهنات (القمار) سوف تورث العداوة والبغضاء، وبالتالي فأن ذلك سيؤدي الى وقوع مشاكل اجتماعية تؤثر سلبا على العلاقات بين لاعبيها، وهذا ما لايريده الاسلام.

2 - الدين الاسلامي يدعو الناس الى العمل في كسب ارزاقهم[3]، اذ انه ينبذ الكسل والخمول اللذين ينتجان من بعض الالعاب لا سيما عندما تكون لغرض القمار.

3 - اعطى الدين الاسلامي حرمة للمسلم في جوانب كثيرة، ومنها المال، فلا يجوز والحال هذه ان يؤخذ الا عن طريق شرعي.

ويلاحظ ان المشرع الاسلامي أوجب المنع عندما تسبب اذى للمارة، فهذا الجرسيفي قال:

"ويمنع ما يفعله السفلة والصبيان من الرش بالماء في الاسواق والشوارع وتزليق الطريق يوم المهرجان واللعب بالمقارع والعصى في الشوارع" [4]، كما ونهى "الشبان عن لعبة اللطمة والمقرع فان ذلك بنذر بالنفاق والهرج" [5].

ومما تقدم فقد اتضح لنا بان الاندلسيين قد مارسوا جملة من الالعاب اشهرها:

1- رسالة، ص53.

2- ابن ابي زيد عبد الله بن عبد الرحمن النقرى، رسالة القيرواني، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلي، (القاهرة: 1949م)، ص188.

3- ينظر: الزمر، آية (39)؛ سورة الانعام، آية (6)؛ سورة التوبة، آية (9)؛ سورة سبأ، آية (34).

4- رسالة، ص124.

5- ابن عبدون، رسالة، ص152.

1 ـ الشطرنج:

"...لعبة مشهورة... قيل هو معرب شتررنك بالفارسية، اى ستة ألوان وذلك لأنه ستة أصناف من القطع يلعب بها... وهو من مخترعات الفرس، وقيل اخترعه رجل من حكماء الهند... ومن هناك تناولته الفرس" [6].

والشطرنج من الالعاب المباحة في الاندلس، بدليل ان بعضا من فقهاءها قد مارسه كالفقيه ابي بكر بن العربي[7]، والفقيه احمد بن ابي القاسم (ت429هـ/ 1037م)[8]، اما ابن حزم فقد قال ان علي بن ابي طالب (رضى الله) مرد ذات يوم على قوم "يلعبون بالشطرنج فقال: ماهذه التماثيل التي انتم لها عاكفون، فلم ينكر الا التماثيل فقط، وهذا هو الصحيح عنه" [9] الامر الذي ساعد على انتشارها بين مختلف شرائح المجتمع الاندلسي، الى جانب كونها لعبة ذهنية تحتاج الى التفكير والوقت في ادارة احجارها لذا قال الشاعر:

نــــوادر الـشـطـرنـج فــي وقتهـــا
امــــر مــــن مـلـتـهـب الـجـمــــــر
كــم مــن ضعيف الـلـعـب كـانـت له
عـونـا عـلـى مستحسن القمر[10]

فهي عبارة عن جيشين قد رتبا على قطعة مربعة الشكل، يحتاج ممارسها الى التفكير لاجل ان ينتصر على خصمه[11].

6- البستاني، محيط، مادة (شطرنج).
7- المقري، نفح، 2/ 238.
8- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر1 ق1/ 277.
9- المحلى،9/ 63؛ فقد اورد احاديثا قال عنها ابن حزم بانها غير صحيحة، ينظر: المحلى، 6/ 61.
10-المسعودى، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الاندلس للطباعة والنشر، ج4، (بيروت: 1966م)، ص234.
11-ينظر: المسعودى، مروج، 4/ 235؛ ابن دحية، المطرب، ص75.

ومن دلائل انتشار هذه اللعبة في الاندلس انها صارت تباع مثلما تباع الالات الموسيقية، وهو مما اجازه ابن حزم[1]. على ان حب الاندلسيين لهذه اللعبة قد دفع بالبعض الى التأليف فيها، مثل كتاب (الشطرنج المصور للحكيم المصغر) لمؤلفه ابي زكريا يحيى بن ابراهيم الاصبحي[2]، بل ان البعض من هؤلاء قد اشتهر بل صار يلقب به، كالوزير الحكيم والاديب ابو بكر محمد بن ابي العلاء بن زهر[3]، حيث كان محبا لهذه اللعبة كثير اللعب بها، فصار يشار اليه بالشطرنجي، لدرجة انه اغتاض من هذا الامر فاخذ يدرس الطب[4].

ولنا في القصة التي اوردها المراكشي شاهدا على شيوع هذه اللعبة، فقد اشار الى ان الوزير ابن عمار قد عرف بممارسته اياها حيث لاعبه الاذفونش، الذي كان يروم احتلال بلاد ابن عباد، فاتفق الاثنان على ان يتخلى الاذفونش عن هدفه في حالة خسارته امام ابن عمار، اما في حالة فوزه فعلى ابن عمار ان يدفع باللعبة الجميلة تلك الى ملك النصارى، وكان ذلك امام شهود، وعندما لعبا استطاع ابن عمار ان يغلبه عندها وقع الشرط على الاذفونش الذي بدوره تخلى على هدفه ذاك[5]، ولو الى حين.

ان القارىء لهذه الرواية يلمس، ان لم يكن على يقين، الكثير من المبالغة، لان امور الحرب، من حيث الاعداد لها من عدد وعده ومايستلزم ذلك من وقت وتدابير لايمكن ان تحسم بهذه الطريقة، الا ان الرواية تبرز على كل حال سعة انتشار هذه اللعبة.

1- المحلى، 9/ 55.

2- الرعيني، برنامج، ص164؛ الزجالي، امثال، 1/ 256.

3- ابن ابي اصيبعة، عيون، ص521.

4- ينظر: ياقوت الحموي، معجم الادباء، 18/ 218؛ ابن ابي اصيبعة، عيون، ص536.

5- ينظر: المعجب، ص178 - 180؛ الزجالي، أمثال، 1/ 255.

ومن علية القوم لعبوها باديس بن ماكسن صاحب غرناطة[1]، وابو جعفر احمد بن عباس وزير زهير الصقلبي حاكم المريه[2]، والمعتمد بن عباد، اذ قال: ابو بكر وهو يرثي المعتمد عندما أخذ اسيرا الى اغمات.

ونحن من لعب الشطرنج في يده
وربما قمرت بالبيدق الشاة[3]

2ـ الصيد :

حلل الدين الاسلامي الصيد الا في بعض الحالات[4]، غير ان بحثنا سوف لن يتناول الصيد باعتباره وسيلة من وسائل الكسب، كما صورها لنا التجيبي في احدى قصائده[5]، او كما اتخذها القاضي احمد بن محمد بن خلف (ت588هـ/ 1192م) مهنة للعيش بعدما رفض اخذ اجر من وظيفة القضاء[6]، بل ان البحث سيقتصر على كونها احدى طرق اللهو وقضاء الوقت.

ولقد مارسها بعض الاندلسيين مستخدمين في ذلك من مستلزماتها ككلاب الصيد التي كان لها دور في الحياة العربية عموداً، حيث كانوا يتخذونها للحراسة في استقرارهم وترحالهم وبالحضر أو الوبر الى جانب كونها وسيلة لصيدهم، ومازالت هذه الصلة موجودة، فهذا ابن المرعزي النصراني الاشبيلي الذي عاش في عهد المعتمد بن عباد ومدحه، قال في كلب صيد عائد له:

1- ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 261.
2- ابن سعيد، المغرب، هامش (*)، 2/ 205؛ المقري، نفح، 3/ 535.
3- المراكشي، المعجب، ص209؛ ابن خلكان، وفيات، 5/ 32؛ ابن عباد، شذرات، م2 ج2/ 388.
4- ينظر: سورة المائدة، الايتين (95 و96)، ابو داود، سنن، 2/ 286.
5- ينظر: زاد، ص85.
6- ينظر: ابن فرحون، الديباج، ص53 – 54.

لم ارى ملهى لذى اقتناص	ومقنع الكاسب الحريص
كمثل خطلاء ذات جيد	اغيد تبرية القميص
كالقوس في شكلها، ولكن	تنفذ كالسهم للقنيص[1]

وهناك من جمع في ممارسة هذه اللعبة بين استخدام الكلاب وصقور الصيد، أوضح كل هذا ابن خفاجة بقوله:

واخطل لو تعاطى سبق برق
لطار من النجاح به جناح
يسوف الارض يتسأل عن بنيها
فيخبر انفه عنها الرياح
أقب اذا طردت به قنيصا
تنكب قوسه الاجل المتاح[2]

ولابن حمديس شعر في وصف كلاب وصقور[3]، وغيره ممن اتخذ هذا المنحنى في الوصف[4].

مع ذلك فهنالك من يقتصر على الصقور في الصيد، وهذا ما أشار اليه احمد بن عبد الملك بن سعيد (ت550هـ/ 1155م)[5] وهو كاتب والي غرناطة بقوله:

1- ابن سعيد، المغرب، 1/ 269.

2- ديوان، ص54؛ خضر، حازم عبد الله، وصف الحيوان في الشعر الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد: 1987م)، ص90.

3- ينظر: ديوان، ص177 – 178؛ خضر، وصف، ص95.

4- ينظر: ابن الابار، الحلة، 2/ 274 – 275؛ ابن سناء، دار، ص58 – 59؛ ابن ظافر، بدائع، ص369؛ المقري، نفح، 2/ 478.

5- ابن سعيد، المغرب، 2/ 164.

ويـــوم تـجـلـى الافـــق فـيـه بعنبر
مـن الغيم لذنا فيه باللهو والقنص
وشـــهـــب بـــزاة قـــد رجـمـنـا بشهبها
طيور بساع اللهو ان شكت الغصص[1]

كمـا اشـار ابـن حمديـس الى وصـف بـاز وهـو يصطاد احـد طيـور المـاء[2]، وكيـف ان الصيـاد يخـرج لممارسـة هـذه الهوايـة وقـد ركب فرسـه ومعه احـد طيور الصيـد بصحبـة جمـع مـن رفاقه، ومـن ثم يصـف لنا حالهـم وقد بـدأوا يطبخـون ما اصطـادوه، حيـث امضـوا وقتـا جميـلا ومسـليا[3]، وربما تقع بعـض الحـوادث اثناء ممارسـة هـذه اللعبـة، كالـذي جرى لعبـد الملـك بـن رزين صاحـب السـهلة حيث "ركـب متصيـدا في يـوم غيـم... والارض لاتثبـت حوافر الخليـل في زلقهـا... فقام بيـن يديـه قنـص فطـارده فـي ميدان الجـد لاهيا وسـايره فـي طريـق الحذر سـتهيا... فسقط به فرسه... وانتهت به الى ملازمة مثواه"[4].

يستدل من هذا النص على الولع الشديد، بحيث ان الهاوى يخرج في جو كهذا، وهو مدرك خطورة الوضع، غير انه ابى الا ان يمارس هوايته تلك. فمطاردة الطريدة جزء منها، الامر الذي اشار اليه ابن خفاجة بقوله:

طـــرد الـقـنـيـص بـكـل قـيـد طـريـدة
زجـــل الـجـنـاح مـــورد الاظـــفـــار[5]

1- المقري، نفح، 4/ 180 - 181.
2- ينظر: ديوان، ص327؛ خضر، وصف، ص149.
3- ينظر: ابن حمديس، ديوان، ص127 - 129.
4- ابن خاقان، قلائد، 1/ 162.
5- ديوان، ص35.

ومن وسائل الصيد آلة تعرف بالزرباط، وهذه تكون على هيئة مثلث مشدود بخيط رفيع يجذبه الصائد عندما يكون الطير بين ذراعيها[1]، وفيها قال ابن السيد البطليوس

وذات عمى لها طرف بصير
اذا رمدت فابصر ماتكون
لها من غيرها نفس معار
وناظرها لذى الابصار طين
وتبطش باليمين اذا اردنا
وليس لها اذا بطشت يمين[2]

كما استخدم ممارسو هذه الهواية النبال (السهام) والتي قال فيها ابي جعفر بن البني، وهو من ميورقة، يذكر غلاما يرمى الطيور بها:

قالوا تصيب طيور الجو اسهمه
اذا رماها رماها فقلنا عندها الخبر[3]

وأخيرا نود أن نذكر ان يحيى بن علي بن حمود كان ممن يخرج للقنص[4]، اما المعتمد بن عباد فقد كان يطلب من والده ساعة ينفقها في ممارسة هذه الهواية[5] وان احب ماكان يهدى اليه من الهدايا أدوات الصيد، لذا فقد ارسل له والده جوادا لهذا الغرض[6].

1- عماد الدين، فريده، هامش (1)، ق4 ج2/ 510.
2- ابن خاقان، قلائد، 3/ 719 - 720.
3- المقري، نفح، 3/ 487 و4/ 231.
4- ابن عذارى، البيان، 3/ 132.
5- المعتمد، ديوان، ص15.
6- المعتمد، ديوان، ص21.

3ـ اللعب بالآلات الجارحة:

مارس هذه اللعبة كلا الجنسين، وقد اباحها الاسلام[1]، وذلك لما لهذه اللعبة من أهمية، فهي تعد لهوا ورياضة وتدريبا في ان واحد، بل مجالا لابراز الافضل من بين الرجال أو النساء كتلك المباراة التي دارت بين بعض جوارى الاندلس اللواتي وجدن في أنفسهن القدرة على التنافس "بالتراس واللعب بالرماح والسيوف والخناجر المرهفة لم يسمع لها في ذلك بنظير ولا مثيل ولا عديل" [2].

ويبدو ان هذه اللعبة قد سحبت الى مجالس اللهو والسمر، ان لم تكن تقام فيها، ذلك ما اشر اليه الشقندى حينما نراه يتحدث عن مدينة أبده فيذكر انها اشتهرت بالراقصات "المشهورات بحسن الانطباع والصنعة، فانهن احذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف" [3].

ولابي صفوان النجيبي شعر وصف فيه لاعبا بالسيف ومخوفا قال فيه:

قلنا وقد شام الحسام مخوفا
رشا بعادية الضرغام عابث
هل سيفه من طرفه أم طرفه
من سيقه أم ذاك طرف ثالث[4]

4ـ النرد:

النرد اسم اعجمى معرب، وهو شيء يلعب به[5]، قد وضعه ارد شير بن بالك من ملوك الفرس ولهذا اضيف اليه فقيل النردشير[6]، حيث جاء في الحديث النبوى

1- ينظر: هذا الفصل، هامش (6)، ص156.
2- ابن عذارى، البيان، 3/ 308.
3- فضائل، (ضمن فضائل الاندلس)، ص56.
4- ابن الابار، المقتضب، ص85.
5- ينظر: الصفاني، التكملة، مادة (نرد)؛ ابن منظور، لسان، مادة (نرد).
6- البستاني، محيط، مادة (نرد).

الشريف قوله ﷺ، "من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه" [1] وقوله ايضا "من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله" [2] اذن فهو من الالعاب المحرمة شرعا، ولذا نهى ابن عبدون عن اللعب به[3]، مع هذا فقد لوحظ في الاندلس من مارس هذه اللعبة بدليل ما اشار اليه ابن عائشة بقوله:

كأنما جائل الحباب به
يلعب في جانبيه بالنرد[4]

5ـ الصولجان:

ويعرف بالمحجن[5] وهو عبارة عن عصا منعطفة الرأس يضرب بها الكرة من على الدواب[6]، وقد اتخذ ابو المغيرة عبد الوهاب بن حزم (ت 438هـ/ 1046م) من شكله اداة وصف وتشبيه بقوله:

لما رأيت الهلال منطويا في غرة الفجر فارق الزهره
شبهته والعيان يشهد لي بصولجان اوفى لضرب كره[7]

اما ابن ابي الصلت فقد قال شعرا في غلام يلعب به، يثبت ما ورد في التعريف، جاء فيه:

يزهي الجواد به فتحسب انه
ذو نشوة قد رنحته مدامه

1- مسلم، صحيح، 5/ 114.
2- ابو داود، سنن، 4/ 391.
3- رسالة، ص53.
4- المقري، نفح، 4/ 158؛ ازهار، 3/ 107.
5- ينظر: ابن منظور، لسان، مادة (صجن)؛ البستاني، محيط، مادة (محجن).
6- الزبيدى، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر الفانوس، تح: عبد الله العزباوى، مراجعة: ابراهيم السامرائي وعبد الستار احمد، (الكويت: 1967م)، مادة (صولج).
7- الضبي، بغية، ص380 – 381؛ وينظر: ابن سعيد، رايات، ص70.

وكـــأن عـطـف الـصـولـجـان بكفه
صـــدغ بـــدا فــي الـخـد مـنـه لامـــه[1]

اذن فهي لعبة عرفت من قبل المجتمع الاندلسي وقد مارسها بعضهم ممن يمتلكون الدواب ومنها الخيول لما تتطلبه هذه اللعبة من سرعة الوصول الى الهدف.

6ـ سباق الخيل:

قـال ابـن منظـور "السبق القدمـة فـي الجـرى... وسـبقت الخيـل وسـابقت بينهـا اذا ارسـلتها وعليهـا فرسـانها لتنظـر ايهـا يسـبق" [2]. ولقـد كان الرسـول الكريـم محمـد ﷺ ممـن اهتمـوا بهـذا الجانـب لأنـه يعـد رياضـة وتدريبـا، حتـى يذكـر انـه ﷺ قـد "راهـن على فـرس يقال سـبحه فسبق فهـش لذلـك واعجبـه"[3]، علـى ان الرهـان فـي المسـابقة يكـون علـى ثلاثـة أوجـه وجـه جائـز واخـر لا يجوز وثالث مختلف في جوازه[4].

هذا وقد تمثل اهتمام العرب بتربية الخيول وبمعرفة اصولها وانسابها، فصار الادباء يصفون سرعتها وهي تعدو في مضمار السباق، كقول ابو بكر بن الملح (ت500هـ/ 1106م) الذي جاء فيه:

خـوانـق قـد ريـشـت بأجنحة الهدى
فـطـارت بـبـحـر الـــروم كــل مطار
وأبـلـق كـالـريـم الـمـدمـى مغضغص
تـــخـــال بـشـقـيـه مـــســال نـضـار

1- ديوان، ص138.
2- لسان، مادة (سبق).
3- احمد بن حنبل، مسند، 3/ 160؛ وينظر، 3/ 256.
4- ينظر: ابن رشد، فتاوى، 1/ 474؛ منازل، ص62.

واشهب تجلوه المعاني كأنمـــــا
تـــزيـــن مـــنـــه زنـــدهـــا ســـوار
واشـقــر تــوري يـهـب كأنـــــه
وقــد قدمته الـحـرب مقبس نسار[1]

أما ابن حمديس فقد قال:

[وذى اربــــع] كـخـوافـي الـعـقـاب
يـطـيـر بـهـا الـسـبـق عــن حلبته[2]

وقوله وهو يصف فرسا

ومـنـقـطـع بـالـسـبـق مــن كــل حلبة
فـتـحـسـبـه يـجـرى الــرهـــن مـفـردا
كـــان لــه فــي اذنـــه مـقـلـة يسرى
بـــهـــا الــيـــوم تـــمـــر بـــه غـــدا
تـقـيـد بـالـسـبـق الاوابـــد فوقـــه
ولـــو مـــر فـــي اثـــارهـــن مـقـيـدا[3]

وقد نحى هذا المنحى اخرون من الادباء[4]، الأمر الذي يدلل لنا على ان ممارسة هذه اللعبة كانت معروفة، ان لم تكن شائعة بين افراد المجتمع الاندلسي.

ومـن شـواهدنا على ممارسـة هـذه اللعبة كوسـيلة لقضـاء وقت جميـل ماذكر عـن المعتمـد بـن عبـاد الـذي "... ركـب... للتنزه بظاهـر أشـبيلية فـي جماعـة من

1- ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 464.
2- ديوان، ص71.
3- ديوان، ص144.
4- ينظر: الحميدى، جذوة، ص93؛ ابن سعيد، تذييل (ضمن فضائل الاندلس)، ص23؛ ابن زقاق، ديوان، ص175.

ندمائـه وخـواص شـعرائه فلمـا ابعد اخذ فـي المسـابقة بالخيـول فجاءت فرسـه بين البساتين مسابقا"[1].

ب ـ الألغاز (الحزورات):

"الغز الكلام والغز فيه عمى مراده واضمره على خلاف ما اظهره... واللغز... ما اللغز من كلام... واللغز الكلام الملبس وجمع الالغاز..." [2].

وهـذه وسـيلة من وسـائل قضاء الوقـت، وفي الوقت نفسـه تعـد رياضة للذهن حيـث التفكيـر فـي ايجاد الحـل الصحيـح، على ان الـذي وصـل الينا منها هـو عبارة عـن اشـعار قيلت فـي هذا الغرض، منهـا ماكانت تقـال في المجالـس الخاصة لاولي الامـر، حيـث يحضر بعـض من خواصهـم وادبائهـم، فيكـون المجلس مجـالا لمثل هـذه الالغـاز، فيكـون التنافـس قائمـا بينهـم ربمـا فـي حلهـا أو فـي قولهـا، أو علـى شـكل مراسـلات شـعرية، كالتـي جـرت بيـن المعتمد بـن عبـاد وابن زيـدون، حيث جاءت تقول على لسان المعتمد

وجــه طـيــور الـشـعـر نــحــوي فقد
بـــث فــــؤادي شـــــراك الـــهـــم[3]

وفي عجز هذا البيت مايدلل على ماذهبنا اليه انفا، بان هذه احدى الوسائل التي يلجأ اليها الشخص لاراحة نفسه.

وتلبية لهذا النداء وجه ابن زيدون قوله ملغزا فيه:

وفـــــاك نــظـــم لـــي فـــي طـيـبـه
مـعـنـى مـعـمـي لـلـفـظ مـسـتـور

1- ابن ظافر، بدائع، ص73 - 74.

2- ابن منظور، لسان، مادة (لغز).

3- المعتمد، ديوان، ص77 و117.

مـــرامـــه يـــصـــعـــب، مـــالـــم يـــبـــح
بـــالـــســـر ـ قـــمـــرى وعـــصـــفـــور
وبـــلـــبـــل، ثـــم بـــكـــرا الـــلـــذا
تـــقـــدمـــا فـــالـــلـــفـــظ مـــكـــرور
ثـــم تـــرى الـــبـــلـــبـــل قـــد حـــثـــه
نـــســـر، ودراج، وزرزور
ثـــم يـــلـــي الـــدراج مـــن بـــعـــده
غـــرنـــيـــق، ومـــكـــاء، وشـــرشـــور[1]

ان هذه الابيات وربما غيرها، التي كثرت فيها تسميات للعديد من الطيور هي التي دفعت بالاستاذ عبد العظيم الى ان يطلق تسمية المطيرات[2]، ولكن في رأينا، ان هذه التسمية لايمكن ان تطلق على كل الالغاز، لأننا لو تعمقنا في كتب الادب العربي عموما، والاندلسي بشكل خاص، لوجدنا هناك جمعا كثيرا من الاشعار التي تدور في هذا المجال لم يرد بها اسم لطير، وفي ذلك ما قاله ابن خفاجه[3]:

وخـــطـــيـــب قـــوم قـــام يـــخـــطـــب فيهم
ابـــدأ مـــع الاصـــبـــاح والامـــســـاء
حـــمـــلـــت عـــلـــيـــه تـــنـــال مـــنـــه لئيمة
فـــاجـــابـــهـــا عـــنـــه اخـــوه الخنساء[4]

1- ابن زيدون، احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب، ديوان ابن زيدون، تح: كامل الكيلاني وعبد الرحمن خليفة، ط1، مطبعة مصطفى البابي، (مصر: 1351هـ/ 1932م)، ص281؛ المعتمد، ديوان، ص78 – 79 و118 – 119.

2- علي، ابن زيدون عصره وحياته وادبه، مطبعة الرسالة، (القاهرة: 1373هـ/ 1954م)، ص444.

3- ينظر: ديوان، ص76 – 77 و342.

4- ديوان: ص343.

اما ابن ابي الصلت فقد قال ملغزا بالظل

احـاجـيـك مــلاه بــذى الـلـب هـازن
عـلـى انــه لايـعـرف الـلـهـو والـهـزاء
بـعـيـد عــن لـمـس الأكــف منالــه
وان هــو لــم يبعد عيانا ولا مــرأى
يــراســل خــلا ان عــدا عــد ومـسـرع
حكاه وان يبطىء لأمر حكى البطئا[1]

وله لغزا في بكره[2]

ولأبي القاسم بن فيره الشاطبي (ت590هـ/ 1193م) لغز في وصف التابوت قال فيه:

أتــعــرف شيـئـا فــي الـسـمــاء يطير
اذا ســار صــاح الـنــاس حيث يسير
فـتـلـقـاه مـركـوبـا وتـلـقـاه راكـبـا
وكـــل أمـــيــر يـعـتـلـيـه أسيـــــــر
يحضى على الـتـقـوى ويـكـره قربه
وتــنــفــر مــنــه الــنـفــس وهـــو نـذيـر
لــم يـســتـزر عــن رغـبــة فــي زيــارة
ولـكـن على رغــم الـمـزور يــزور[3]

1- ديوان: ص47.
2- ينظر: ابن ابي الصلت، ديوان، ص136.
3- المقري، نفح، 2/ 25.

وللاعمى التطيلي شعر وهو يلغز فيه عن زيتونه[1]

وأخيرا وليس اخرا نقول ان تسمية (المعميات)[2] التي أطلقها الاستاذ عبد العظيم هي الأكثر صحة، لانها تنطبق على كل الألغاز بالعموم، لان لفظة المعمي هي من العماية وهذه تعنى الجهالة بالشيء[3]، وهذه هي فحوى الالغاز.

وفي الختام اود ان اقول، ان هذه اللعبة الفكرية المسلية كانت معروفة بين افراد المجتمع الاندلسي وبالطابع الشعري، لكن ذلك لاينفي ان فئات من المجتمع قد قالوها بلهجتهم الدارجة، على الرغم من افتقارنا الى دليل يثبت ذلك، غير ان شيوع فن الزجل، الذي قيل باللهجة العامية، قد يسعفنا في اثبات ماذكرناه، فبعدما كان الشعر العمودى هو الغالب والسائد والمغضل بين الناس، نجدهم احيانا يميلون الى الأخذ بالزجل، فلا غرابة ان تقال الالغاز باللهجة الدارجة التي تتمثل بالسهولة في فهمها لدى كل افراد المجتمع الاندلسي، على العكس من الشعر العمودى الذي قد لايفهم كل الناس جميع معانيه.

ج ـ الخروج الى الطبيعة:

منح الله تعالى الأندلس طبيعة جميلة، حيث كثرة، الاشجار وتنوعها ووجود الانهار فيها لدرجة جعلت ابن خفاجة يشبهها بالجنة[4].

ومن الطبيعي ان تكون مثل هذه الطبيعة الجذابة محل استقطاب للناس، لذا اندفعت أغلب العوائل الاندلسية بين احضانها لقضاء أوقات متعة، فكثر الاختلاط بينها، نسائها ورجالها واطفالها، بل يبدو ان المرأة الأندلسية قد تمتعت بحرية واسعة

1- ينظر: ديوان: ص249.

2- ابن زيدون، ص403.

3- ابن منظور، لسان، مادة (عمى).

4- ينظر: ابن خفاجة، ديوان، ص136.

لدرجة انها أخذت تذهب لوحدها لأجل التنزه وقضاء أوقات جميلة، ولذا دعى الجرسيفي الى ان خروج النساء لهذا الغرض يجب أن يكون مع الزوج أو ذى محرم[5].

ومن الخواص ممن كانوا يخرجون للتنزه فخر الدولة ابي عمر وعباد بن القاضي ابي القاسم مع صاحب له[6]، اما لامعتمد بن عباد فقد تعرف على زوجته عندما خرج الى مرج الفضة في اشبيلية، بصحبة وزيره وشاعره ابن عمار، حيث رأها على شاطىء نهر أشبيلية[7]. كما وتنزه القاضي أبو الفضل بن الاعلم (ت547ه/ 1152م) "يوما بحديقة من حدائق الحضره" [8].

في حين نجد اخرين يطلبون قضاء وقت جميل بركوب قارب، كالذي فعله الخليفة المستعين حين تنزه في يوم جميل[9]، ومنهم من يفعل ذلك في وقت الليل، ذلك ماقام به الشاعر عبد الجليل بن وهيون حيث ركب زورقا مع احد غلمانه في احدى الليالى مستصحبا معه شمعتان لغرض الانارة[10]، الا ان التجوال في الزوارق خلال النهار كان أكثر أمانا أولا بالاضافة الى تمتع المتنزهون بجمال الطبيعة ثانيا.

على ان هنالك من يطلب التنزه وذلك بالسفر الى مناطق قد عرفت بجمال رياضها فهذا الشاعر الرصافي البلنسي كان يرتاد متنزهات غرناطة للتمتع بجمال مناظرها[11] فربما يعطي ذلك لشاعرنا الهاما أكثر في كتابة مايريد كتابته، كما نلاحظ قيام طلاب بعض الحلقات الدراسية، بسفره الى المروج طلبا للتنزه، مع شيخهم،

5- ينظر: رسالة، ص121.

6- ينظر: الحميدي، جذوة، ص367.

7- ينظر: المعتمد، ديوان، ص74 و114؛ الشيرواني، حديقة، ص16؛ المقري، نفح، 4/ 211.

8- ينظر: الحميدى، جذوة، ص367.

9- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 1/ 425 و2/ 550 – 551؛ عماد الدين، فريده، 3/ 462.

10- ينظر: العمرى، مسالك، 1/ 74؛ المقري، نفح، 2/ 179.

11- ينظر: الرصافي، البلنسي، ديوان، ص12.

كالذي فعله الفقيه محمد بن حسين بن احمد بن محمد[1]، وهذا مانسميه اليوم بالسفرات المدرسية.

في حين نلاحظ ان امير المسلمين يوسف بن تاشفين وبعد الانتصار الذي حققه في معركة الزلاقة اراد ان يتجول في بعض الأماكن الاندلسية "على طريق التفرج والتنزه" [2] والغرض كما يبدو هو التعرف عن كثب عما يدور في تلك الأماكن التي زارها أضف الى غايته للترفيه عن نفسه بعذ ذلك الجهد الذي بذل في المعركة.

كما قصد اخرون اماكن غير التي ذكرناها لاجل قضاء الوقت، فهذا ابن خفاجة يقول "ذهبت يوما الى باب السمارين بشاطبه ابتغاء الفرجة... وذلك سنة ثمانين واربعمائة واذا الفقيه ابو عمران... قد سبقني الى ذلك... فسلمت عليه متأنسا به وبتلك الحال"[3].

د ـ الممازحة والمداعبه:

قال ابن سيده، بان الممازحة نقيض الجد أما المداعبة فهي المضاحكة[4]. على ان الاندلسيين قد طبعوا بطابع المداعبه وحب الفكاهه، حتى قيل عن الاشبيلين بأنهم "أخف الناس أرواحا، واطبعهم نوادر، واحملهم لمزاح بأقبح مايكون من السب" [5]، الامر الذي يرسم الابتسامة ويبعث على السرور والراحة في نفوس الحاضرين، لذا نجد ان بعض اولي الامر والاعيان قد شاركوا في ذلك.

1- ينظر: الضبي، بغية، ص59.

2- المراكشي، المعجب، ص196.

3- ديوان: ص357 – 358.

4- المخصص، م4، سفر13، ص19.

5- الشقندي، فضائل، (ضمن فضائل الاندلس واهلها)، ص51.

فهذا المعتمد بن عباد كان كثيرا ما ينخفى ليشارك أهل اشبيليه مزاحهم، دون أن يترك ذلك أثرا من الانزعاج في نفسه اذا ما اخطأ احد بحقه، ففي ذات يوم مر مع وزيره ابن عمار على باب شيخ عرف بالمازحة والفكاهة، فطرقوا باب داره وبعد الاستفسار عن الطارق، قال الشيخ: والله لو صرت ابن عباد مافتحت لك، فأجابه: هو أنذا: فأجابه الشيخ: مصفوع ألف صفعة، فضحك ابن عباد حتى سقط على الأرض، امضي بنا قبل ان يتعدى القول الى الفعل[1].

وذكر انه في عهد المعتمد كان هنالك سارق يدعى البازي الاشهب، وكان قد تم القاء القبض عليه وحكم عليه بالصلب، وفيما هو على خشبة الاعدام، استطاع البازي وبمساعدة عائلته ان يسرق رجلا من اهل البادية، ولما وصل الخبر الى المعتمد امر باحضاره وقال له: كيف يتسنى لك ان تفعل ذلك وانت في قبضة الهلاك؟ فأجابه البازي: ياسيدى لو علمت قدر لذتي في السرقة لخليت ملكك، واشتغلت بها، فلعنه المعتمد وضحك لهذا[2].

وحدث عن ابن قزمان منه انه قد اتبع امرأة حينما اشارت اليه بذلك، وكان ابن قزمان احولا، فصار يتبعها الى سوق حيث وقفت المرأة عند احد الصاغة وقالت مخاطبة اياه، مثل عين هذا اريد ان تعمل لي فص الخاتم، لانها كانت تريد من الصائغ ان يعمل لها عين ابليس فجاءت بابن قزمان[3].

ولعل المرأة الاندلسية هذه قد سمعت بحكاية مثيلتها الشرقية التي اشارت على الجاحظ ان يتبعها فكان لها ذلك، حتى وصلت الى صائغ كانت قد طلبت منه ان يعمل لها فصا لخاتم بصورة شيطان، فتعجب الصائغ لهذا الطلب فقال لها: لا أدرى كيف

1- ينظر: ابن سعيد، المغرب، 1/ 287؛ عزام، عبد الوهاب، المعتمد بن عباد، دار المعارف بمصر، (القاهرة: د – ت)، ص70.

2- المقري، نفح، 4/ 128؛ عزام، المعتمد، ص71.

3- المقري، نفح، 4/ 297.

اصوره، حينها اوصلت الجاحظ بحيلتها تلك الى الصائغ ثم قالت له مثل هذا[1]، الامر الذي يدلك على التأثير المشرقي في الاندلس.

وعن أمير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف يذكر انه مر ذات يوم "بمرج القرون... فقال لزمَّال من عبيده كان يمازحه هذا مرجك، فقال الزمَّال، ماهو الاَّ مرجك ومرج ابيك وأما أنا فمن أنا؟ فضحك واعرض عنه"[2]. هنا قد يتساءل القارىء الكريم، كيف يضع اولي الامر انفسهم في مثل هذا الموقف؟ وهل يجوز ان تقال لهم مثل تلك الاقـوال؟. وجوابنا على ذلك هو الايجاب، فلا غرابة ان نجد بعض اولي الامر يمازحون شخصا من ادنى فئات المجتمع ويسمعون مالا يتوقعون، غير ان حلم هؤلاء وعقلانيتهم تجعلهم يجدون في جواب اولئك الناس امرا قد طبعوا عليه. وهذا ما اوردناه في بداية الحديث، كما وانهم قد يحتاجون الى تغيير ولو لفترة وجيزة في نمط حياتهم المترفة حيث التبجيل وتقديم الطاعة، وفي رأينا أيضا انهم يحاولون اقحام انفسهم في مثل هذه المواقف لتعرفوا على نمط معيشه فئات المجتمع، وتلك من صفات القادة الجيدين.

1- ابن نباته، جمال الدين ابو بكر محمد المصرى، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تح: محمد ابو الفضل، دار الفكر العربي، (القاهرة: 1964م)، ص250؛ بوملحم، علي، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ط1، دار الطليعة، (بيروت: 1980م)، ص60 – 61؛ الكيلاني، ابراهيم، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، دار اليقظة للتأليف والنشر، (دمشق:1961ه)، ص6.

2- ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 449.

الفصل الخامس

مظاهر اجتماعية اخرى

أولا: الأعياد

أ - اعياد المسلمين

1 / عيد الفطر

2 / عيد الأضحى

ب - اعياد غير المسلمين (اهل الذمة)

1 / عيد الفصح

2 / عيد النيروز

3 / عيد المهرجان

ثانيا: الاحتفالات

أ - الاحتفال بيوم العصير

ب - الاحتفال بالاعذار (الختان)

ج - الاحتفال بالانتصار

ثالثا: المراسيم

أ - الاستعراضات العسكري

ب - مراسيم الاستقبال

رابعا: العادات والتقاليد

أ- الصداقة وتبادل الزيارات   ب- التقبيل   ج- العتاب والاعتذار

د- الطيرة (التشاؤم)   هـ- الفأل   و- تبادل الهدايا

ز- تبادل التهاني   ح- التبرك   ط- الجلوس في الطرقات

ى- التجمع عند الاحتضار   ك- النواح على الميت   ل- تشييع الجنائز

م- البناء على القبور   ن- نقش شاهد القبر   ص- زيارة القبور

مظاهر اجتماعية اخرى

أولا ـ الاعياد

ان في قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[1]، الدليل قاطع على اهتمام المسلمين في مشارق الارض ومغاربها، بمراقبة الهلال، ومنهم الاندلسيون، فقد ذكر لنا التجيبي المرسي "... ان جماعة من اصحابه انتدبوا معه ليلة ارتقاب الهلال الى أن يذهبوا الى الموضع الذي جرت العادة عندهم بارتقابه فيه"[2]، على ان سبب خروج هذا الجمع هو ان اقرار رؤية الهلال يجب ان يكون بشهادة الشهود[3]، كما ان وجود اعداد من الناس للمراقبة سيزيد من فرصة رؤية الهلال، وقد وصف لنا هذا المشهد ابو الحسن بن الزقاق بقوله:

وشهر ادرنا لارتقاب هلاله
جفونا الى السماء موائلا
الى ان بدأ احور المدامع احور
يجر لاذيال الشباب ذلاذلا
فقلت له: اهلا وسهلا ومرحبا
ببدر حوى طيب الشمول شمائلا

1- سورة البقرة، آية (189).

2- زاد، ص40.

3- ينظر: الونشريسي، المعيار، 10 / 146.

أتطلبك الابـصـار فـي الـجـو ناقصا

وانت هنا تمشي على الارض كاملا[1]

ومن هذا الوصف يتضح لنا بان تلك المجموع عندما ترى الهلال وهو كالخيط، يعمهم الفرح والسرور، خصوصا في الاشهر التي تحوى مناسبات مفرحة.

لقد اهتم الاندلسيون بهذه المسألة لما لها من ارتباط في جوانب كثيرة من حياتهم ومنها الاجتماعية، حيث يحددون الكثير من الفرائض والسنن الاسلامية، ومنها عيدى الفطر والاضحى[2] اللذين حددهما رسول الله محمد ﷺ حينما قدم على أهل "المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية فقال ان الله تبارك وتعالى قد ابدلكم بها خيرا منها يوم الفطر ويوم النحر" [3]، وهكذا فقد اصبح للمسلمين عيدان دينيان، اما غير المسلمين كانت لهم اعيادهم ايضا كالنيروز والمهرجان[4] وغيرهما، الأمر الذي يدلل على سياسة التسامح الديني التي اتصف بها المسلمون.

أ ـ اعياد المسلمين

1 ـ عيد الفطر:

قال الله تعالى في حكم كتابه العزيز ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[5]، لذا كان المسلمون وما يزالون

1- ابن الابار، الحلة، 2/ 20.

2- القلقشندي، صبح، 2/ 416 – 417؛ كحالة، عمر رضا، دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية، الطبعة التعاونية، (دمشق: 1393هـ/ 1973م)، ص209.

3- احمد بن حنبل، مسند، 3/ 103 و178.

4- الدمشقي، شمس الدين ابي عبد الله محمد ابن طالب الانصارى الصوفي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية، (بطربورغ: 1281هـ/ 1965م)، ص378 – 379؛ القلقشندي، صبح، 2/ 418 ومابعدها.

5- سورة البقرة، آية (183).

يؤدون هذه الفريضة في شهر رمضان، وفي اليوم الأخير منه، كما اشرنا سلفا، يخرج الناس لثبوت رؤية الهلال وعندما يتم ذلك يعلن عن بدء عيد الفطر المبارك، حيث يعم الفرح في ليلته التي قال فيها ابو الحسن بن هارون[1].

يـالـيـلـة الـعـيـد عـدت ثـانـيـة
وعـاد احـسـانـك الـذي اذكـره

اذ أقـبـل الـنـاس يـنـظـرون الـى
هـلالـك الـنـضـو نـاحـلا اصـفـر

وفـيـهـم مـن احـبـه وأنـا
أنـظـره فـي الـسـمـاء اذ ينظر

فقلت - لا مـؤمـنـا بـقـولـي - بل
مـعـرضـا لـكـلام، لا اكـثـر

أثـر شـهـر الـصـيـام فـيـك، أبـا
مـحـمـد؟ قـال لـي، ومـا اثـر

بـل أثـر الـصـوم فـي هـلالـكـم
هـذا الـذي لايـكـاد ان يظهر[2]

وفي صبيحة يومه الاول يخرج الناس وهم متوجهون الى المسجد لاداء صلاة العيد[3]، التي كان يحضرها في الغالب ولي الامر ليؤديها في مقصورته[4]، ومن ثم يقوم الخطيب لالقاء خطبته، ومن اولئك الخطباء ابراهيم بن ادريس بن ابراهيم التجيبي

1- ابن بسام، الذخيرة، ق2 م2/ 637؛ ابن الابار، الحلة، 2/ 18؛ ابن سعيد، المغرب، 1/ 395.
2- ابن الابار، الحلة، 2/ 19.
3- ينظر: الضبي، بغية، ص86؛ ابن عذاري، البيان، 3/ 107.
4- ابن عذاري، البيان، 3/ 233.

(ت569هـ/ 1173م) وهو من اهل مرسيه[1]، وعند الانتهاء، من اداء الصلاة والخطبة يتبادل المسلمون التهاني بهذا العيد داعين بعضهم للبعض الاخر باليمن والبركة[2]، ثم يعودون الى مساكنهم وهم يرتدون اجمل الملابس[3]، وذلك كل حسب مقدرته، لدرجة ان البعض منهم قد بالغ فيما ارتداه من ملابس وحلي الامر الذي دفع بالشاعر ابي اسحاق الالبيرى الى القول:

ماعيدك الفخم الا يوم يغفر لك
لا ان تجربه مستكبرا حللك
كم من جديد ثياب دينه خلق
تكاد تلعنه الاقطار حيث سلك
وكم مرقع اطمار جديد تقى
بكت عليه السما والارض حين هلك[4]

من هذا الشعر يتضح لنا امران أولهما هو الدعوة الى التزهد والتواضع لان كل مافي الدنيا هالك وان قيمة الانسان الحقيقية ليست فيما يرتديه من ملابس وحلل فاخره، اما الامر الثاني فيرشدنا الشاعر الى وجود فارق بين افراد المجتمع الاندلسي من حيث المستوى المعاشي.

اما ولي الامر فهو الاخر يذهب الى قصره ليستقبل المهنئين ومن بينهم الشعراء[5] فهذا ابن دراج وقد حضر مجلسا للمنذر بن يحيى صاحب سرقسطة

1- ابن الابار، التكملة، 1/ 168.
2- ينظر: المراكشي، الذيل والتكملة، سفر1 ق1/ 163 - 164 و356؛ ابن عذاري، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص92 - 93.
3- ينظر: ابن الدلائي، ترصيع، ص87 - 88؛ ابن قزمان، ديوان، ص662.
4- ديوان، ص119.
5- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 4/ 770.

(ت430هـ/ 1139م)[1] يوم عيد الفطر، فالقى قصيدة تكونت من (114) بيتا[2]، ولا بد من القول بان احتفال أولي الأمر من حيث الفخامة، يختلف من واحد لآخر، هذا ما بينه لنا الأديب أبو محمد بن وهبون عندما استدعاه المعتصم في يوم عيد لحضور منتداه، فهو القائل وقد ازدرى بالحال "أبعد المعتمد احضر منتدى... وهل تروق الاعياد الا في فنائه" [3]، أما دخول المهنئين فيكون كل حسب مرتبته.

وفي الاعياد ومنها عيد الفطر كان الناس، ومايزالون، يتبادلون الزيارات التي قد تشكل لبعض الاسر من ذوى الدخل المحدود، ثقلا ماديا، لكون هذه الزيارات أو بعضها تدخل في باب المجاملة، خصوصا بين اولئك الذين تكون بينهم جفوة وخصام فيتظاهرون، في هذه المناسبة، بانهم ما عادوا خصوما، فيتبادلون الحديث الطيب، غير ان ذلك سرعان ما ينهدم، لان اسا هذا الوفاق والسلام كان منخورا ومؤقتا. هذا ما عبر عنه المثل العامي الاندلسي "جي العيد بخبر البارد[4] وسلام المسوس[5] " [6].

2 ـ عيد الاضحى:

قال تعالى في منزل كتابه الكريم ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [7].

لذا كان المسلمون وما يزالون يخرجون لاداء هذه الفريضة في كل ارجاء المعمورة، فهو القائل ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [8].

1- ينظر: ابن عذاري، الابيان، 3/ 178.
2- ينظر: ديوان، ص155 – 162.
3- ابن خاقان، قلائد، 4/ 771.
4- البارد: الطيب، ينظر: ابن منظور، لسان، مادة (برد).
5- المسوس: المنخور، ينظر: ابن منظور، لسان، مادة (سوس).
6- الزجالي، امثال، 1/ 237.
7- سورة ال عمران، آية (97).
8- سورة الحج، آية (27).

ومن سنن هذا العيد أيضا، ان يخرج الناس الى المصلى الواقع خارج قرطبة حيث يؤمهم القاضي أو صاحب الصلاة، وكانت بعض النسوة يحضرن لاداء هذه الصلاة غير انه في فترة الاضطرابات والفتن يلجأ الناس الى ان يصلوا في الجامع خوفا وجزعا، كالذي حدث في عام (401هـ/ 1010م)[1]، ولعل سبب خروجهم الى المصلى الذي يحدد لهذا الغرض هو ان عدد المصلين في ذلك اليوم سيكون اكثر من المعتاد حيث لم يكن يوسع الجامع الذي تؤدى به الصلاة يوميا، ان يستوعب الناس لذا أختير مكان خارج الجامع لاستيعاب تلك الاعداد.

على ان بعضا من اولي الامر الذين يحضرون لاداء هذه الصلاة، كانوا يأتون بموكب مهيب، فهذا المعتمد بن عباد قد خرج بموكب في الجند وقد تدججوا بالسلاح، رافعين الرايات عن اليمين والشمال، ومن خلفه وعلى جانبي الطريق، ذلك ما اشار اليه ابن اللبانة بقوله:

اضحى بك الاضحى رياضا يختلي
وضح السرور به ونيل النائل
زرت المصلى يومه في جحفل
اعلامه للعالمين موائل
وتاك جيشهم على الجيش الذي
يختال بالمحمول منه الحامل
ومن الجنائب في الطريق جنائب
حسنت فقلنا: انهن عقائل[2]

1- ينظر: ابن عذاري، البيان، 3/ 107.

2- شعر، ص82.

ولعل الناس - في هذه الحالة - يخرجون للتفرج لرؤية عظمة الموكب وجمال هيأته على انه في مثل هذه الحالات قد تقع مشاكل يكون الناس في غنى عنها، فقد ذكر انه في عيد الأضحى لسنة (513هـ أو514هـ/ 1119م أو1120م) خرج الناس متفرجين على موكب والي قرطبة ابي بكر بن داود الذي ولاه امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، حيث مد عبد من عبيد الوالي يده على امرأة ومسكها، فاستغاثت بالمسلمين فأعانوها على ما استغاثت عليه، عندها وقعت الفتنة بين عبيد الوالي وأهل البلد[1].

وفي صبيحة عيد الأضحى لعام (566هـ/ 1170م)[2] حضر امير المؤمنين ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن مع عسكره صلاة العيد وسمعوا الخطبة التي ألقاها الخطيب ابو محمد المالقي وعند الانتهاء من ذلك قام امير المؤمنين فدعا للناس بدعاء مبارك، وعندها تلقى التهاني وهو في المسجد، من اشياخ الموحدين الكبراء ومن يليهم، اما في اليوم الثاني من العيد فقد جلس امير المؤمنين بقصره الكائن في قرطبة لاستقبال المهنئين وهو في ابهى صوره[3]، وقد تلا الشعراء قصائدهم بين يديه[4]، ولابد من القول انه لامر محمود ان يدعو ولي الامر للناس ويتلقى التهاني في المسجد لمن حضر الصلاة من عامة الناس وخاصتهم لانه سوف يشعر الناس بقرب ولي امرهم منهم، وان سمة الاستعلاء والتكبر من الصفات المذمومة.

وما هو متبع في هذا العيد ذبح الاضاحي ابتداء من صبيحة اول ايامه، وبالتحديد بعد انقضاء الصلاة والخطبة[5]، التي كانت تهيء "قبل النحر بيوم او يومين" [6]، وقد

1- ينظر: ابن الاثير، الكامل،9/ 187 - 188؛ النويري، نهاية،24/ 274؛ الدوري، التأريخ،ص167.
2- ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص485.
3- ينظر: ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص490؛ عنان، عصر، ص67.
4- ينظر: ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص 491 ومابعدها؛ عنان، عصر، ص68.
5- ينظر: ابن رشد، فتاوى، 2/ 1130 - 1134.
6- ابن عبد الرؤوف، رسالة، ص110.

اشار ابن قزمان في ازجاله الى ذلك[1]، كما جاءت الأمثال العامية الاندلسية لتدعم هذا الامر بقولها "كباش الضحايا مالهم بقايا" و"ياترى ياكباش، اي ترعى واي تمشي"[2].

وقد اشار الدكتور خلاف الى القول بان "هذا العيد كان يسبب الى العائلة الفقيرة الكثير من الضيق المالي، ومع ذلك فانهم كانوا لايرون بأسا في ان يستدينوا ليشتروا الاضحية" [3] ولعل ما يدعم هذا القول ماجاء في ازجال ابن قزمان كقوله:

ثقل العيد في حملان   الكباشي والقرايب [4]

وله ازجال تحت نفس المنحى[5].

ولربما دفع ذلك بالطرطوشي عندما لاحظ ان بعض الاسر، على الرغم من وضعها الاقتصادى الواطىء، يتباهون بنحر الاضاحي لأهداف دنيوية الى القول بان "...الناس يتنافسون في الضحية للافتخار لا للسنة ولا لطلب الاجر بل لاقامة الدنيا"[6]، وهذا يدلل على ان بعض السنن قد تحولت الى مظاهر اجتماعية، اتساق الناس الى القيام بها بغض النظر عن وجوبها أو عدم وجوبها شرعا.

ويعد العيد مناسبة جيدة لارضاء النفوس بين المتخاصمين وتبادل الهدايا، ففي عام (496هـ/ 1102م) وجه حاكم سرقسطة ابنة عبد الملك بهدية سنيه، من جملتها اربعة عشر ربعا من انية الفضة، الى يوسف بن تاشفين الذي بدوره امر بضربها قراريط قد فرقت ليلة عيد النحر على رؤساء قومه وهو يوم ذلك

1- ينظر: ديوان، ص52.
2- الزجالي، امثال، 1/ 238.
3- قرطبة، ص303.
4- ديوان، ص324.
5- ينظر: ابن قزمان، ديوان، ص548 و552 و594 و770 و772؛ الاهواني، الزجل، ص78 ومابعدها.
6- الطرطوشي، الحوادث والبدع، تح: محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، (تونس: 1959م)، ص142.

بقرطبة[1] هذا وكانت بعض العوائل تخرج الى المتنزهات في ايام العيد لاجل التفرج وقضاء الوقت[2].

ب ـ اعياد غير المسلمين (اهل الذمة)

1 ـ عيد الفصح :

من اعياد اهل الذمة غير ان موعده عند اليهوم هو الخامس عشر من نيسان ويعرف عندهم ايضا باسم عيد الفطير، وهو سبعة ايام، يأكلون فيها الفطير وينظفون بيوتهم فيها، لأنه هذه الايام عندهم هي الايام التي خلص فيها بني اسرائيل من يد فرعون وأغرقه[3]. كما ان للنصارى عيد يعرف باسم عيد الفصح الاكبر يعملونه يوم الفطر من صومهم الاكبر[4].

وقد وصف ابو عبد الله محمد بن احمد بن حداد الذي عاش اكثر عمره عند المعتصم بن صمادح حاكم المرية[5]، عيد الفصح عند النصارى الاندلسيين، حيث يذهبون الى الكنائس التي بها يتم ترديد الصلوات مع الاساقفة، ويغمر الجمع الانصات والخشوع عندما يتلى بعض مافي الانجيل باصوات حسنة وذلك حين قال:

افصح وحدى يوم فصح لهم
بين الاريطي[6] والدويحات[7]

1- ينظر: ابن الابار، الحلة، 2/ 248 – 249؛ ابن عذاري، البيان، 3/ 43؛ ابن الخطيب، اعمال، ص174.

2- ينظر: الطرطوشي، الحوادث، ص141.

3- القلشندى، صبح، 2/ 437؛ كحالة، دراسات، ص211.

4- ينظر: القلقشندي، صبح، 2/ 425 – 426.

5- ابن سعيد، المغرب، 2/ 143 – 144.

6- الاريطي: شجر ينبت بالرمل بطول قامه وذات رائحة طيبة، ابن منظور، لسان، مادة (ارط).

7- الدويحات: جمع دوحة وهي الشجرة الشديدة العلو، ابن منظور، لسان، مادة (دوح).

وقـــد اتـــوا مـنـه الـــى مـوعـــد
واجـتـمـعـوا فـيـه لميقـــات
بـمـوقـف بـيـن يـــدى اســـقـف
يـمـسـك مـصـبـاح ومنســـاة[1]
وكـــل قـــس مـظـهـر لـلـتـقـــى
بـــآي انـــصـــات واخـبـــــــات
وقـــد تـــلـــوا صـحـف اناجـيـلـهـم
بـحـسـن الـحـــان واصـــــوات[2]

2 ـ عيد النيروز

ان لفظة النيروز فارسيه معربة[3] لنوروز[4] وموعده في رأس سنتهم[5] وقد وصف ابن اللبانه مايدور بهذا العيد من لعب الملهين حيث الحركات الجميلة، مشيرا في ذلك الى مشاركة بعض من المسلمين في هذا العيد حيث يتبادلون الهدايا بعضهم مع البعض الاخر بقوله:

يـــاكـــوكـــب الـــنـــيـــروز فـــي بهجة
اســنـــى مـــن الـــبـــدر الـمـنـيـر الـلـيـاح
جـــــاءت عـــطـــايـــاك تـــهـــادى بـــه
تـــهـــادي الـغـيـر غـــداة اقـتـــــراح

1- المنساة: العصا، ابن منظور السائد، مادة (نسأ).
2- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م2/ 705.
3- القلقشندي، صبح، 2/ 429.
4- القلقشندي، صبح، 2/ 418.
5- الدمشقي، نخبة، ص279.

لقوله

لـــو ان لـــي قـــوة عـــهـد الصبـا

لـم اتــرك الــنـيـروز دون اصطبـاح

يــــوم رقـيــق نــاثــر نـاظــــــــم

كــافــوره فــوق الـربـى والبطـــاح

تــلـعــب فـيــه كــل ميـاســـــــــة

مـيـس غـصـون تـحـت روح الــرواح

ان قـعـدت قـلـت ربـــىً فــي الـثـرى

وان مشت قلت مها فـي مـــراح[1]

ومـن مظاهـر هـذا العيـد ان يقـوم الاندلسـيون بصنـع المعجنـات فـي بيوتهم علـى شـكل صـور جميلـة تخلـب لـب الناظريـن، وفـي ذلـك قـال ابـو عمـران بـن موسـى الطربانـي وقـد شـاهد مدينـة صنعـت مـن العجيـن جميلـة الشـكل، جاء فيه:

مــديـنـــة مســــــــــــورة	**تـــحــار فــيـهـا الســــــحـرة**
لــم تـبـنـهـا الا يــــدا	**عـــــذراء أو مـخـــــــدرة**
بــدت عــروســا تجتلـى	**مــن دربــــك مـزعـفـــــرة**
ومـــالـــهـا مـفـاتــــــــح	**الا الـبـنــات العشـــرة[2]**

اضف الى ذلك فقد كان يباع في هذا العيد بعض الالعاب التي ربما صنعت خصيصا له، على ان ابن رشد لم "يحل عمل شيء من الصور ولا بيعها ولا التجارة

1- شعر، ص31 – 32؛ ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 700.

2- ابن سعيد، اختصار، ص202؛ المقري، نفح، 4/ 63؛ الطود، عبد السلام، بنو عباد باشبيلية، مطبعة كريماديس، (المغرب: 1365هـ/ 1946م)، ص245؛ عبد العظيم، ابن زيدون، ص74.

فيها والواجب منعهم" [1]، وهذه اشارة الى مشاركة بعض المسلمين للنصارى في هذا العيد، والا من اين جاء المنع ان لم يكن كذلك.

وبما ان موعد هذا العيد، كما اشرنا، في رأس سنتهم لذا عرف ايضا باسم بنير، حيث تكثر عملية بيع الحلويات والفواكه بشكل ملفت للنظر بدليل ماقال ابن قزمان:

الحلون يعجن العدلان تباع

بفرح للبنير من ماع قطاع

اللوز والقسطل والتمر العجيب

والجوز والبلوط والتين والزبيب[2]

كما كانت بعض الاسر الاندلسية تجهز لوازم هذا العيد، ذلك ما اشار اليه ابن مسعود القرطبي في قصيدة له اوضح فيها ماطلبته منه زوجته بخصوص احضار تلك اللوازم، وقد اوعدته بالعقاب ان لم بجيء بما املته عليه[3].

بالاضافة الى ذلك فهناك مظهر اخر من مظاهر هذا العيد ايضا هو تبادل الهدايا، فهذا الزير ابن عمار قد اهدى الى المعتمد بن عباد صوف بحرى بيوم بيروز وكتب معه:

لما رأيت الناس يحتشدون في

اتحاف يومك جئته من بابه

فبعثت نحو الشمس شبه اياتها

وكسوت متن البحر بعض ثيابه[4]

ومما تقدم تتضح مشاركة بعض المسلمين في هذا العيد اذ يتبادلون الهدايا فيه.

1- الونشريسي، المعيار، 6/ 70.

2- ديوان، ص464.

3- ينظر: الزجالي، امثال، 1/ 238.

4- ابن الابار، الحلة، 2/ 162.

3ـ عيد المهرجان

ويعرف عند العامة بالعنصره[1]، وموعده في السادس والعشرين من تشرين الاول وبينه وبين النيروز مائة وسبعة وستون يوما[2]، وهو "...موسم للنصارى مشهور ببلاد الاندلس" [3].

ومن مراسيم هذا العيد ان توقد النار فيأخذ الناس بالقفز عليها، ذلك ما اشار اليه المثل العامي الذي جاء فيه "الكبش المصوف مايكفز العنصره" و"وكفزها بحل عنصر" .

ولابي عبيد بن حسان بن مالك، الذي استوزه المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام ايام الفتنة، شعر يصف فيه حال الطبيعة وقد تحلى الناس وهم يتبادلون الهدايا فيما بينهم بقوله:

ارى المهرجان قد استبشرا ... غداة بكى المزن واستعبرا

وسربلت الارض افوافها ... وجللت السندس الاخضرا

وهز الرياح صنابيرها ... فضوعت المسك والعنبرا

تهادى به الناس الطافه ... وسام المقل به المكثرا [4]

واخيرا فلا بد من ان نسجل الموقف الفقهي في مسألة مشاركة بعض من المسلمين اهل الذمة في اعيادهم تلك وربما اعياد اخرى لم تمدنا المصادر عي الكيفية التي جرت بها احتفالاتهم، فقد قال الطرطوشي انه من "البدع اجتماع الناس بارض اندلس... على اقامة ينير بابتياع الفواكه كالعجم واقامة العنصرة وخميس ابريل بشراء

1- الزجالي، امثال، 1/ 240.

2- ينظر: القلقشندي، صبح، 2/ 240؛ في حين يصادف هذا العيد عند الفرس في 6 آمهرمها، (شباط). ينظر: المسعودى، مروج، 2/ 186؛ القلقشندي، صبح، 2/ 420.

3- ابن عمار، شذرات، م2 ج3/ 172.

4- ابن خاقان، قلائد، 1/ 27.

المعجنات والاسفنج[1] وهي من الاطعمة المبتدعة" [2]. هذا وجاء في المعيار بان سئل "...عن ليلة التي يسمونها الناس الميلاد، ويجتهدون لها في الاستعداد، ويجعلونها كأحد الاعياد، ويتهادون بينهم صنوف الاطعمة وانواع التحف، ويترك الرجال والنساء اعمالهم... اترى ذلك... بدعة محرمة لايحل لمسلم ان يفعل ذلك... ام هو مكروه" [3].

ويبدو ان هذه الظاهرة ليست جديدة على المجتمع الاندلسي، اذ كانوا يحتفلون منذ زمن مبكر، بدليل ان الفقيه يحيى بن يحيى الليثي افتى بعدم جواز تبادل الهدايا في هذا العيد وانه يوم كسائر الايام ولايجوز للرجال والنساء ترك اعمالهم[4]، مستندا الى الحديث النبوى الشريف الذي يقول: "... ومن تشبه بقوم فهو منهم" [5].

1- الاسفنج، وهذا شبيه بالازلابيه في الشرق، الزجالي، امثال، 1/ 236؛ وانظر المثل رقم 824، 1/ 145.

2- الحوادث، ص140.

3- الونشريسي، 1/ 150.

4- الونشريسي، المعيار، 11/ 150 - 151.

5- احمد بن حنبل، مسند، 2/ 50.

ثانيا - الاحتفالات:

جرت العادة عند الاندلسيين ان يحتفلوا بمناسبات عدة، حيث يعم الفرح والسرور فيقضون اوقاتا مسلية، ومن هذه الاحتفالات:

أ - الاحتفال بيوم العصير

وموعده يكون عندما ينضح محصول العنب، فيذهب الفلاحون الى حقولهم لجنيه، وعند ذاك يبدأون بعصره، وقد يشاركهم أهل المدينة بهذا العمل حيث ينتقلون، مع اولادهم، الى تلك الحقول التي بها ذلك المحصول، كما يجرى ذلك في مدينة غرناطة[1]، أما مدينة بجايه فهي الاخرى قد اشتهرت بقيام مثل هذه الاحتفالات، حيث يقصدها الناس لغرض التنزه[2].

ومن مظاهر الاحتفال هو قيام بعض الحضور بالغناء والطرب وقد يذهب اخرون الى السباحة في الانهار القريبة من الحقول للتمتع، ذلك ما اشار اليه ابن قزمان بزجله الذي جاء فيه:

في عصير عمول مفكر انـــا	الـرقـاع ثـم والـشـاز والغنا
عهد بـالـقـرى اذ كنا نظاف	كـل يـوم نـراه وفـرح جديد
اى دويـل لـو ان تـدوم	من مليح تجلس واخـرى تقوم
ورشـيـد تغطس ومـهـج تعوم	قبل كيجين هـارون الرشيد[3]

1- ينظر: ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 138.

2- ينظر: الضبي، بغية، ص59 - 60.

3- ديوان، ص334 - 336؛ الاهواني، الزجل، ص99.

ب ـ الاحتفال بالاعذار (الختان)

أكدت المصادر التي بين ايدينا على الاعذار الذنوني، وسمي بذلك نسبه الى المأمون بن ذنون صاحب طليطله، على ان شهرته تكمن في ان المختون هو القادر الذي ينتمي الى الاسرة الحاكمة ولكثرة من حضر هذا الحفل من فئات شتى ومنهم الشعراء الذين يذاع ويشتهر بهم اي عمل، ولكون الختان لم يقتصر على القادر بل على عدد من الاطفال.

وقد وصف ابن بسام هذا الحفل وما تم فيه من رسوم الخدمة وتوسيع المشارب والمأكل، ومن حضره من الامراء والوزراء والقواد وافواج من عامة الناس، ومما لاريب فيه ان هؤلاء العامة كانوا يحضرون من تلقاء انفسهم، حيث سمح لهم بالدخول بقصد تناول الطعام بعد الانتهاء من دخول الخواص الذين قد ذهبوا الى قصر الامارة، فكان دخولهم كل حسب مرتبته، وكان من جملة الحضور ايضا عدد من الفقهاء والقضاة والعدول.

هذا وقد وصف ابن بسام عملية انتقال الحضور من مجلس لاخر، ووصف مفروشات كل مجلس، فمن المجلس الكبير الى الدار الكبرى التي يجلس فيها الامير وحفيده، فانكب الحضور كل على مرتبته يهنئونه، ومن بعد ذلك عدل به الى مكان الاطعمة على شكل مجموعات الواحدة تلوا الاخرى، ومنه الى مجلس خاص بالاغتسال فترى الخدم وهم يصبون الماء على الايادى، وبعد الاغتسال يعطون مناديلا لتجفيف اياديهم، ومن ثم يذهب بهم الى مجلس الطيب فيضعون العطور، وبعدها يدخلون على المأمون كي يسلموا عليه ويدعوا له وهو انذاك قد استقبلهم احسن استقبال رادا عليهم اجمل رد[1].

1- ينظر: الذخيرة، ق4 م1/ 126 - 135.

ج- الاحتفال بالانتصار

من الاحتفالات الرائعة وذات الطعم الخاص، هي تلك التي تقام بعد ان يتحقق النصر على عدو بغيض ولئيم، فقد احتفل الاندلسيون بعدما انتصروا في معركة الزلاقة عام (479هـ/ 1086م)، فحملت بشرى النصر وقرأت على الناس في المساجد ومن ثم تليت ايات القران الكريم، واخذ الشعراء ينشدون قصائدهم ابتهاجا بهذا النصر[1]، كما حدث هذا عندما انتصر الموحدون على النصارى في مدينة المهدية عام (555هـ/ 1160م)[2] فقد جرت الاحتفالات في اشبيلية لانها عاصمة الموحدين انذاك حيث قرأت كتب الانتصار على الطلبة بهذه المدينة ومن على المنابر فعلم بذلك الحاضر والبادي وبثت المسرات بين الرعايا وضربت الطبول وعمل الطعام للناس كافة وللاجناد المتواجدين في اشبيلية واستمر الحال هكذا لمدة ثلاثين يوما مع انشاد الشعراء قصائد التهنئة بهذا النصر[3].

ومن مظاهر الاحتفال كما اشرنا النقر على الطبول، ذلك مانلاحظه عام (555هـ/ 1160م) حيث استطاع الموحدون فتح حصن البطروش وما يليه من الحصون التي كانت بيد النصارى، فحينما وصل نبأ هذا الانتصار لصاحب اشبيلية "... امر بضرب الطبول... سرورا بذلك ودخل اهل اشبيلية مهنئين فتكلم احد اشياخ اشبيلية... وقال له لم تجر بضرب الطبول بأشبيلية على فتوح قرطبة"[4]. الامر الذي يدلل على ان هذا الاسلوب صار شائعا في مدن الاندلس لان الفرحة تعم كل المدن التي يصل اليها الخبر.

كما ضربت طبول الفرح في عام (568هـ/ 1172م) عندما قتل القومس المعروف بالاحدب مع عدد من النصارى في قلعة رباح حيث حملت رؤوسهم الى اشبيلية[5].

1- ينظر: ابن عذاري، البيان، 4/ 140.

2- ينظر: ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص114 - 115.

3- ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص119.

4- ابن عذاري، البيا، (القسم الخاص بالموحدين)، ص31.

5- ابن عذاري، البيا، (القسم الخاص بالموحدين)، ص98 - 99.

ثالثا ـ المراسيم

أ ـ الاستعراضات العسكرية

لغرض تبيان القدرات العسكرية من جهة ولرفع معنويات المستعرضين والمشاهدين من جهة اخرى، قام بعض اولي الأمر باستعراض القوات البرية والبحرية، فقد "...امر...المنذر بن يحيى التجيبي صاحب سرقسطة بعرض بعض الجند في بعض الايام" [1]. وقبل معركة الزلاقة "...قام يوسف بن تاشفين باستعراض جنده على حصن الرقة فرأى منهم مايسره" [2].

وفي عهد الموحدين وبعد انتصار المسلمين في معركة الارك التي دارت رحاها عام (591هـ/ 1194م) [3]، "امر امير المؤمنين بعرض الجند... في السلاح، فلما انتشروا بين يديه واعجبه مارأى من حسن هيأتهم قام فصلى ركعتين شكرا لله عز وجل" [4]. اما الاستعراضات البحرية فقد اورد لنا وصفها ابن اللبانة بقوله:

بشرى بيوم المهرجان فانه

يوم عليه من احتفالك رونق

1- المقري، نفح، 3/ 265.

2- المراكشي، المعجب، ص193؛ الهرفي، دولة، ص262.

3- المراكشي، المعجب، ص358.

4- المراكشي، المعجب، ص374 - 375.

طــارت بـنـات الــمــاء فـيـه وريشها
ريــش الــغــراب وغـيـر ذلــك شــوذق
وعــلــى الـخـلـيـج كتيبة جـــــرارة
مـثـل الـخـلـيـج كـلاهـمـا يـتـدفـق
مــلأ الـكـمـاة ظـهـورهـا وبطونهـا
فـأتـت كما يـأتـي السحاب المفدق
فـاضـت غـديـر الـمـاء سابـحـة بـه
فـكـأنـمـا هـــي ســـراب أنـــيـــق[1]

ب ـ مراسيم الاستقبال

سيقتصر بحثنا هنا على المشاركة الشعبية في هذه المراسيم دون ذكر الاسباب الموجبه لاستقبال الوفد أو الشخصية، لان فخامة الاستقبال والكيفية التي تتم بها ومشاركة ابناء المجتمع فيه يبين لنا اهمية الوفد أو الشخصية ومكانته الاجتماعية.

فعندما ارسل ابن عمار من قبل المعتمد بن عباد الى مرسية، نرى ابن عمار وقد خرج من احد احياء اشبيلية حيث "...رفع الويته وقرع طبوله، وصار لايمر ببلد من اعمال بن عباد الا استخرج منه كل ذخيرة حتى وصل الى مرسيه...وابن رشيق... قد برز له، وخرج يزفه الى القصر، وجلس في اليوم الثاني مجلس للتهنئة للخواص والعوام، فسجعت الشعراء بامداحه، وقد تزيى بزى في حمل الطويله على رأسه" [2]، وقد تبعته "مواكب الكتائب والجنود" [3].

1- شعر، ص72.
2- ابن الابار، الحلة، 2/ 140 - 141.
3- ابن خلكان، وفيات، 4/ 425.

ولما عبر يوسف بن تاشفين للمرة الاولى، نزل أول امره بالجزيرة الخضراء التي بها استقبله المعتمد مع وجوه اهل دولته، فأظهر من بره واكرامه فوق ماكان يظن يوسف هذا[1]، كما خرج "اليه اهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات" [2] فرحا وسرورا بمقدمه.

وفي عام (500هـ/ 1106م) نرى ان قضاة الاندلس وفقهاءها وزعماءها ورؤساءها وادباءها قد بادروا الى استقبال امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، فقام حينها الشعراء بامتداحه، فأجزل لهم العطاء وقضى كل ذى حاجة حاجته[3].

وعن عام (531هـ/ 1136م) يحدثنا ابن قطان عندما دخل امير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف لقرطبة حيث كان هنالك "... بروز عظيم... وسرور كثير"[4]، وكذا الحال عندما وصل كل من ابي يعقوب واخيه ابي سعيد، وهما ولدا عبد المؤمن بن علي، الى قرطبة في عام (554هـ/ 1159م)[5].

ونلاحظ ايضا ان الخليفة عبد المؤمن بن علي قد استقبل من قبل ولده ابي يعقوب يصحبه جمع من اعيان الموحدين المتمثلين بالقضاة والشيوخ وسائر اهل النباهة وطلبة مدينة اشبيليه مع عدد من اناسها، وكذا اهل قرطبة وسائر المدن الاندلسية التي هي تحت طاعة الموحدين، فقد وصل كل هؤلاء الى جبل طارق، الذي تم فيه بناء مدينة الفتح والتي تسمى ايضا بمدينة جبل طارق، وعندها دخلوا الى مجلس الخليفة للسلام عليه مقبلين يده كل حسب مرتبته مقدمين له الطاعه، اما الخطباء فقد اخذوا

1- المراكشي، المعجب، ص191.
2- الناصرى، الاستقصا، 2/ 36.
3- ابن عذاري، البيان، 4/ 48.
4- نظم، 6/ 228.
5- ينظر: ابن عذاري، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص53.

يخطبون الواحد تلو الاخر، كما واذن للشعراء بالقاء اشعارهم مهنئين ومادحين الخليفة بهذه المناسبة، وكان ذلك في عام (555هـ/ 1160م)[1].

وفي عام (560هـ/ 1164م) استقبل ابو سعيد اخاه الخليفة علي بن عبد المؤمن مع جمع، ابهر الحاضرين وسر الناظرين حيث حملت الرايات من قبله، ومن ثم توالت وفود اهل الاندلس المكونة من اشياخ وشعراء اشبيلية وقرطبة وغرناطة حيث اقيمت المسرات بمدينة جبل طارق مدة خمسة عشر يوما[2]، وهذا ماحدث ايضا في عام (566هـ/ 1170م) لما توجه ابو يعقوب بن عبد المؤمن قاصدا الاندلس[3]، فعندما وصل، خرج "اليه اهل مرسيه بالتبرك به... والطبول تضرب، والرايات بالسعود تخفق وتطرب... وجميع اهل مرسيه من خاصتهم وعامتهم وكبيرهم وصغيرهم يتكلمون... ويقولون بأعلى اصواتهم: (الحمد لله الذي جمع بيننا وبينكم على احسن حال واي حال، ورفع عنا الظلم والكفر) ونساؤهم يبدين اصواتهن بالفرح وينطقن بالسنتهن بكل لفظ منشرح" [4].

ولم تقتصر مراسيم الاستقبال على الشخصيات السياسية في الدولة بل نراها تتم في استقبال بعض القضاة، فهذا القاضي عياض عندما ورد قاضيا لغرناطة في عام (530 أو531هـ/ 1135 أو1136م) نجد الناس قد خرجوا لاستقباله وكأنه الامير حيث كان بينهم مئتا راكب من اعيان البلد[5]، الامر الذي يدلل على علو مكانته عند العامة.

1- ينظر: ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص139 ومابعدها.

2- ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص253 ومابعدها؛ ابن عذاري، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص60 - 61.

3- ابن عذاري، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص92.

4- ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص552 - 253.

5- ينظر: المقري، ازهار، 3/ 10 - 12.

رابعا ـ العادات والتقاليد

أ ـ الصداقة وتبادل الزيارات

قال المثل "رب اخ لم تلده امك" [1] هذا مانلاحظه مع ابن خفاجه الذي كان له "صديق قد نشأ معه، فكانا بحيث لايريان ينفصلان، كأنها الدهر فرقدان" [2]، حتى ان جماعة من اصدقاء ابن خفاجه وبسبب حبهم له ومكانته عندهم نراهم يلحون عليه في كتابة أشعاره التي قالها، فما كان منه الا ان يستجيب امام شدة الحاحهم في ذلك[3]، وهنا تكمن قوة العلاقة في ابقاء ذكراه بعد وفاته.

ولكي تقوى اواصر هذه العلاقة نجد ان الاصدقاء يتبادلون الزيارات مع بعضهم البعض، وقد يبيت الزائر عند صديقه، وهذا ماصوره لنا ابو عبد الله محمد بن خطاب الهنتاتي وقد عزم على زيارة صديق له فقال:

ياسيدى حثنى اشتياقي	وطار بي نحوكم نزاعي
فانقدت طوعا وقد حداني	شوق سما غير مستطاعي
لبيته عندما دعاني	منه لذاك الجلال راعي
وعز متى ان يرى مبيتي	عند اخ حقه اراعي
فلتنعموا بالمقام حينا	يرى محالا للاجتماع [4]

1- مجهول، التحفة، ص8.

2- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 565.

3- ينظر: ابن خفاجة، ديوان، ص6.

4- ابن سعيد، اختصار، ص261.

وعندما تتم الزيارة نجد ان الصديق المضيف يقدم شكره للصديق الزائر ذاكرا له فضله على ذلك[1].

واخيرا نود ان نذكر ان من علامات قوة الصداقة وصحتها وديمومتها هي كتمان السر، ذلك ماطمأن به احمد بن عبد الرحمن بن ابي الكناني البلنسي (ت574هـ/ 1178م)، صديقا له، بان سره لايمكن ان يباح بقوله:

ومستودع عندي حديثا يخاف من
اذاعته في الناس ان ينفد العمر
فقلت له: لاتخشى مني فضيحة
لسر غدا ميتا وصدرى له قبر
على ان مافي القبر يرجى نشوره
وسرك لايرجى له ابدا نشر[2]

ب- التقبيل

اختلفت مواضع التقبيل ولكل منها دلائل، كتقبيل اليد أو الرأس أو الجبهة أو تقبيل الارض أو القدم، ومن تلك الدلائل هي: -

1 - الطاعة والاحترام

من اوجهها هي تلك التي يقدمها الادنى تجاه الاعلى، فعندما بويع المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام عام (444هـ/ 1023م) استدعى "...سليمان بن المرتضى وجيء به مبهوتا فقبل يده وهنأه... ثم وافى محمد بن العراقي ايضا فقبل يده

1- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 1/ 364.
2- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر 1 ق1/ 200 - 201.

وبايعه"[1]، هذا وقبلت الأرض بين يدى شبيه الخليفة هشام المؤيد من قبل القاضي ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد هو ومن معه، وذلك في فترة الفوضى السياسية التي مهدت لقيام عهد الطوائف ونراهم قد قبلوا قدميه ايضا[2]، وعندما عبر الخليفة عبد المؤمن بن علي الى جبل طارق عام (555هـ/ 1160م)[3] وفد اليه ولاة الاندلس الذين اخذوا يقبلون يده وذلك اقرارا منهم لطاعته[4].

2 ـ الاعجاب

يكون الاعجاب لاسباب مختلفة منها عندما يقوم الصغير بعمل أو تصرف غير متوقع ان يصدر منه، الامر الذي يجلب انتباه واعجاب الاخرين وبالذات كبار السن أو المنصب فهذا اسماعيل بن النغريله اليهودى حينما لاحظ على ابنته قسمونه القابلية على قول الشعر عندها ضمها الى صدره وصار يقبل رأسها[5]. اما المعتمد بن عباد فقد كان يروم قتل عمه، عندها سأل الحاضرين في مجلسه، عمن فعل ذلك، فأجابه ابو رافع الفضل بن ابي محمد بن حزم قائلا "...مانعرف... الا من عفا عن عمه... وهو ابراهيم بن المهدى عم المأمون من بني العباس، فقبله المعتمد بين عينيه وشكره" [6].

أما محمد بن ابي الفضل بن شرف (ت534هـ/ 1139م)[7] حينما قال موشحا اعجب محمد بن سعيد (ت592هـ/ 1196م) قام هذا واخذ يقبل رأس محمد[8].

1- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 50.
2- ينظر: ابن عذاري، البيان، 3/ 199 - 200.
3- ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص138.
4- ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص213.
5- ينظر: المقري، نفح، 3/ 530.
6- ابن خلكان، وفيات، 3/ 329.
7- ينظر: الضبي، بغية، ص239؛ ابن خاقان، قلائد، 4/ 791 - 808؛ ابن سعيد، المغرب، 2/ 320 - 232.
8- ابن سعيد، المقتطف، ص258.

3ـ التذلل

عندما يروم شخص ما ان يمرر أو يحقق هدفا خبيثا فانه قد يتبع سبلا كثيره، منها اذلال نفسه امام الشخص الذي يستهدفه، كالذي فعله اسماعيل بن النغريلة اليهودى، اذ اخذ يقبل الارض بين يدى بلقين بن باديس بن حبوس كي يستدعيه الى منزله فكان له ذلك[1].

4ـ الاعتذار

ذلك مالوحظ في موقف الشاعر ابن عمار نحو المعتمد بن عباد الذي عزم على قتله، فما كان من الوزير الا ان يطلب العفو بتقبيل الارض بين يدى المعتمد[2]، ويذكر ان الفقيه عبد المجيد بن عبد الله الفهرى (ت525هـ/ 1133م)[3] اراد الدخول على ابي بكر محمد بن زهر، الا انه ابا بكر قد تأخر في استقباله لعدم تبليغه بقدوم الفقيه، حينها اخذ ابو بكر يقبل رأس الفقيه ويديه ويقول له: يامولاى فوالله ماعلمت بقدومك الا الساعة[4]، اما اللغوى ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده فقد قال شعرا يطلب فيه العفو من اقبال الدولة ابن ابي الجيش مجاهد بعدما هرب ابن سيده خائفا قال فيه:

الا هـل الـى تقبيل راحـتـك اليمنى

سبيل فـان الامـن في ذلـك واليمنا[5]

1- ينظر، ابن عذاري، البيان، 3/ 265؛ ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 434.

2- ابن خاقان، قلائد، 1/ 288.

3- ابن خاقان، قلائد، 2/ 417 ومابعدها.

4- ينظر: المراكشي، المعجب، ص142 - 144.

5- ياقوت الحموى، معجم الادباء، 12/ 234 - 235؛ المقري، نفح، 4/ 27؛ الصفدى، نكت الهيمان في نكة العميان، المطبعة الجمالية، (مصر: 1911م)، ص205.

ج ـ العتاب والاعتذار

قال ابن حزم "حالتان يحسن فيهما مايقبح في غيرهما، وهما المعاتبة والاعتذار"[1]، فالعتاب يجلو القلوب ويذهب الشحناء فمن لم يعاتب اخاه فقد عاداه[2]، اذن فهو "... كالسبك للسبيكة فاما تصفو واما تطير" [3]، ومن الطبيعي ان يرافق العتاب طلب العفو والعتذار كي تصفوا الاجواء وتعود الى ماكانت عليه، فهذا ابن شهيد يقول معاتبا صديقا له بقوله:

وانــي على مـاهـاج صــدرى وغاظني
ليأمنني مـن كــان عـنـدى لـه سـر[4]

اما ابن زيدون فقد كتب الى ابن جهور يستعطفه من معتقله، شعرا ونثرا، جاء فيه "... والعتب محمود عواقبه... والنكبة سحابة صيف... ما الذنب الذي اذنبت ولم يسعه العفو، ولا اخلو من ان اكون بريئا فأين الحلول، او مسيئا فأين الفضل"[5]، وعندما ساءت الاحوال بين المعتمد وابن عمار بعد ضياع بلنسيه[6]، اذ اراد الاخير اصلاح الموقف مع المعتمد بن عباد، فارسل اليه قصيدة يعترف فيها بجرمه ويرجو الصفح عنه، فرق المعتمد واشفق عليه، عندها عفا عنه[7]، ولابن عمار قصيده موجهة للمعتمد يطلب فيها الاعتذار[8].

1- ابن نباته، سرح، ص2؛ الصفدى، تمام، ص16 – 17.
2- الجزار السرقسطي، روضة، ص135.
3- ابن حزم، الاخلاق، ص37.
4- ديوان، ص60.
5- ابن سعيد، المقتطف، ص89.
6- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 1/ 269؛ ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 405.
7- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 1/ 270 – 271.
8- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 1/ 286 – 287؛ الصفدى، شرح، ص92 – 93.

د ـ الطيرة (التشاؤم)

اشار القران الكريم الى ان اقوام كانوا يتطيرون، اذ قال تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ﴾ [1] وقوله تعالى ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾[2]، وقوله ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]، من خلال تلك الايات الكريمات يتضح ان الطيرة في الشر، وما كان جواب الله عز وجل الى اولئك الاقوام الا ان قال ﴿ طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾[4]، اى ان شؤمكم مصاحب لكم وهو عدم ايمانكم وعنادكم على الكفر وعلوكم على الله جل جلاله.

وعلى الرغم من ان القران الكريم وقف هذا الموقف الرافض للتطير، وايضا ما جاء على لسان رسولنا الكريم محمد ﷺ حيث قال "العيافة [5] والطيرة والطرق [6] من الجبت[7] " [8] وقوله ﷺ "الطيرة شرك" [9]. اذن فالشريعة الاسلامية اوضحت هذا الموقف الذي لا لبس فيه ولاغموض. ولكن مع هذا فما يزال بعض المسلمين في الاندلس يتطيرون الامر الذي يدلل على ضعف ايمان اولئك وانسياقهم وراء الاوهام، فقد ينحس الشخص من شيء ما، فيصير ذلك الشيء وكأنه قاعدة ثابتة للنحس، وهذا ما سنبحثه.

1- سورة الأعراف، آية (131).

2- سورة النمل، آية (47).

3- سورة يس، آية (18).

4- سورة يس، آية (19).

5- العيافة، زجر الطير، ابن منظور، لسان، مادة (عيف).

6- الطرق: الضرب بالحصى وهو ضرب من التكهن، ابن منظور، لسان، مادة (طرق).

7- الجبت: كل ماعبد من دون الله وقيل هي كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحرة، ابن منظور، لسان، مادة (جبت).

8- ابو داود، سنن، 4/ 22.

9- ابو داود، سنن، 4/ 22؛ ابن العربي، عارضة الاحوزى بشرح صحيح الترمذى، دار الكتب العلمية، ج7، (بيروت: د – ت)، ص116.

فالطيرة كما يقول فيها ابن رشيق بانها " تكسر النيه، وتصد عن الوجهة، وتثنى العزيمة" [1]، فهنالك من يتشاءم من الغراب وذلك "... للغربة اذ كان اسمه مشتقا منها"[2]، لذا قالوا "احذر من غراب"[3]، فهو بذلك "... اعظم ما يتطيرون به"[4]، واخرون قد تطيروا من طير الصرد والذي يسمونه ايضا بالاخيل والواق والاخطب[5]، فهذا محمد بن الحسن ابو عبد المعروف بالكناني الذي توفي قريبا من العشرين واربعمائة[6] يقول وقد تطير من غراب وصرد:

اذا رأيــت وجــوه الـطـيـر قـلـت لها

لابــارك الله فــي الغربان والصرد[7]

وحكي عن المعتضد بن عباد انه قد تشاءم من مغن استدعاه، فأخذ هذا ينشد قائلا :

تـطـوي الليالى علما ان ستطوينا

فشعشعيها بـمـاء الـمـزن واسقينا

فتطير المعتضد من ذلك، وشاءت الظروف الا يعيش بعد هذا الشعر سوى خمسة ايام[8]، اما الرشيد بن المعتمد وكان ذات يوم في مجلسه حيث غنى المغني:

يــــادار امـيــة بـالـعـلـيـاء فالسند

اقــوت وطــال عليها سـالـف الابـد

1- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط3، مطبعة السعادة، ج7، (مصر: 1382هـ/ 1964م)، ص259.

2- ابن عبد ربه، العقد الفريد، 2/ 46.

3- مجهول، تحفه، ص5.

4- القيرواني، العمده، 2/ 260.

5- القيرواني، العمدة، 2/ 261.

6- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر6/ 160؛ في حين قال الحميدى انه وفاته بعد الاربعمائة بمدة، ينظر: جذوة، ص45 – 47.

7- الحميدى، جذوة، ص46.

8- ابن الاثير، الكامل،8/ 154 – 155؛ ابن الابار، الحلة، 2/ 53 – 54؛ المقري، نفح، 4/ 96.

فاستحالت مسرته ثم امر بالغناء بغيره فغنى

ان شئت ان لاترى صبرا لمصطبر

فانظر الى اى حال اصبح الطلل

فتأكد تطيره وكان ابن خفاجه احد الحضور في المجلس حيث قال بان النقير سيعقب هذا التطير[1].

على ان التطير من شيء ما قد لايكون كذلك عند اخر، وهذا يمكن تفسيره بحسب ما يقع للشخص، فان كان خيرا صار ذلك الشيء فألا له وان كان العكس صار شؤما عليه، ففي الحملة التي قادها عز الدولة ابو مروان عبيد الله بن المعتصم على طليطلة عام (504هـ/ 1110م)[2] اذ سقط احد الالوية من يد حامله فانكسر، وعلى اثر ذلك تطير قوم وتفاءل اخرون، حينها قال عز الدولة:

لم ينكسر عود اللواء لطيرة

يخشى عليك بها وان تتأولا

لكن تحقق انه يندق في

نحر العدو لدى الوغى متعجلا[3]

هـ ـ الفأل

قال ابن سيده التفاءل بالشيء هو التبرك به، وبه الخير[4]، كما بالفأل تقوى العزيمة والعمل بالنية[5]، ولذا كان الرسول الاعظم محمد ﷺ "...يتفاءل ولا يتطير"[6].

1- ابن الاثير، الكامل، 8/ 152 – 155؛ المقري، نفح، 4/ 94 – 96.
2- ابن الابار، الحلة، 2/ 90.
3- ابن الابار، الحلة، 2/ 91.
4- المخصص، م4 سفر13/ 24.
5- ينظر: القيرواني، العمدة، 2/ 259.
6- احمد بن حنبل، مسند، 1/ 257 و304 و319.

على ان حالات التفاؤل هي الاخرى قد اختلفت، فهذا المعتمد قد تفاءل بابيات شعر يرددها وذلك عندما خرج مع يوسف بن تاشفين لخوض معركة الزلاقة، الا وهي:

لابد من فرج قريب ... يأتيك بالمعجب العجيب
غزو عليك مبارك ... سيعود بالفتح القريب
لله سعدك انه ... نكس على دين الصليب
لا بد من يوم يكون ... له اخا يوم القليب [1]

لكن ليس كل شيء تتفاءل به يكون كذلك على حد قول المعتضد بن عباد الذي جاء فيه:

ينأى المزار والدار دانية
ياحبذا الفأل لو صحت زواجره [2]

على ان هنالك اناسا لا يؤمنون بالفال او الطيره، حيث قال احدهم شعرا موضحا ذلك:

ما للعطاس (ولا) للفأل من اثر
فثق فدينك بالرحمن فاصطبر
وسلم الامر فالاحكام قاضية
تجري على السن المربوط بالقدر [3]

ويبدو لنا ان هذا القول هو الصواب فقوله تعالى ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [4].

1- ابن عذاري، البيان، 4/ 135؛ الناصرى، الاستقصا، 2/ 40.
2- ديوان، ص112.
3- ابن الخطيب، الاحاطة، 2/ 172.
4- سورة الانعام، آية (17).

و ـ تبادل الهدايا

ولتبادل الهدايا اغراض منها سياسية، وينحو معظم الذي بين ايدينا هذا النحو، واخرى اجتماعية، وكلاهما يهدفان الى تقوية العلاقات بين المهدي والمهدى اليه، على ان الهدايا المقدمة قد تباينت انواعها، فمنها الورود:

اهــدى الـيـك تحية مــن عنــــده

زمــن الـربـيـع الطلق بــاكـر ورده[1]

وقد اهديت للمتوكل ابو محمد بن المظفر ورود من قبل الوزير ابو محمد بن عبدون (ت525هـ/ 1131م)[2]، ومن الهدايا التي تقدم الفواكه كالتفاح والعنب[3]، ولربما يكون هذا النوع جار بين اناس ذوى مستوى اقتصادي محدود قادرين على شراء مثل هذه الفواكه.

ونوع اخر من الهدايا هي بعض الطيور كالبازى الذي اهداه ابو بكر عبد العزيز بن سعيد القبطرنه الى المتوكل حينما كان ابو بكر كاتبه[4]، هذا واهدى الاى المعتمد كلبة صيد من قبل ابن المزعزي الاشبيلي[5]، ومن الهدايا التي تلقاها المعتمد ايضا شمعة على صفة مدينة[6]، وارسل المعتمد الى فرناندو الاول سنة (455هـ/ 1063م) بطانه صنعت من الستارة الحريرية[7]، اما يوسف بن تاشفين فقد تلقى منه بعد عبوره الاول هدايا قد اشتملت على تحف وذخائر ملوكيه، مالم يظنه يوسف عند غيره[8].

1- الكتاني، التشبيهات، ص51.

2- ينظر: عماد الدين، فريده، 3/ 359.

3- ينظر: ابن زيدون، ديوان، ص91 و 152؛ ابن اللبانه، شعر، ص69.

4- ابن سعيد، رايات، ص59.

5- ابن سعيد، المغرب، 1/ 269.

6- ابن سعيد، المغرب، 1/ 266.

7- مورينو، مانويل جوميت، الفن الاسلامي في اسبانيا، تعريب: لطفي عبد البديع ومحمود عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية للكتاب، (د – م: 1977م)، ص417.

8- ينظر: المراكشي، المعجب، ص191؛ الناصرى، الاستقصا، 2/ 38.

في عام (496هـ/ 1103م) وجه المقتدر بن هود هدية سنيه الى يوسف بن تاشفين[1]، اما يحيى بن عبد الملك بن هذيل صاحب شنتمريه فقد اهدى الى الفنش هدية جليلة تتكون من الحلي والخيل والبغال وتحف الملوك مايعجز عنها الوصف، فأعجب الغنش بهذه الهدية وقام بدوره فأهدى الى يحيى قرد كان يفتخر به وذلك من ضعف عقله[2]، كما ان هذا الحدث يدلل على مدى الاستهزاء والاستهتار الذي كان عليه هذا النصراني، فليس من اللياقة ان يقابل تلك الهدية المتنوعة والغالية بهديه رخيصة لا ترقى بصفات حاكم.

وبحلول سنة (570هـ/ 1174م) وجه الخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الى ابن اذفونشى هدية مقابل حماية مدينة بطليوس وانقاذها من يد ابن الرنك[3]، وقد تضمنت الهدية هذه على[4] "...منت منظوم بالجواهر...فقبل الهدية... وأبهته ماعاينه فيها مما يعهده... وبعث.... بهدية وشهود عليه باستمرار الصلح"[5].

اما العشاق والمحبون فكانوا يتبادلون الهدايا ايضا تعبيرا عما يكنه الواحد تجاه الاخر من حب وموده، فهذا ابن حزم يحدثنا فيقول "وما رأيت قط متعاشقين يتهاديان خصل الشعر مبخرة بالعنبر مرشوشة بماء الورد، وقد جمعت في احلها بالمصطلي وبالشمع الابيض المصفى ولفت في تطاريف الوشى والخز وما اشبه ذلك لتكون تذكرة عند البين"[6] ومن المتعارف عليه فان المهدى اليه ومن باب الرضا والقبول، نجده يقدم الشكر والتقدير للذى اهداه داعبا بدوام الود والمحبة[7].

1- ينظر: هذا الفصل، هامش رقم (1)، ص183.
2- ابن الكردبوس، الاكتفا، ص88؛ ابن ابي دينار، المؤنس، ص101.
3- ابن الرنك ويعرف ايضا بابن الرنق وصاحب قلمورية أي صاحب البرتغال لوقوع هذه المدينة فيها واسمه هو الفونسو هنري كيز، ينظر: المراكشي، المعجب، ص320؛ ابن الخطيب، اعلام، ص251.
4- ابن عذاري، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص103.
5- ابن عذاري، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص104.
6- طوق، ص96.
7- ينظر: ابن سعيد، اختصار، ص172.

ز ـ تبادل التهاني

اعتاد الناس وبمناسبات معينة ان يتبادلوا التهاني وبالذات ما بين اناس تربطهم علاقة اجتماعية ما، ففي مناسبة ولادة طفل نرى ان الزوج يهنىء زوجته بسلامتها وبوضعها مولودا له، فيقول:

اهنئك بل نفسي اهنىء، فانني
بلغت الذي كان اقتراحي على الدهر
خلاصك من ايدي المنون وغرة
بدت للمعلى مثل دائرة البدر
فقرت به عيني وعينك في العلا
ولا زال اسمر في المحل من الغفر[1]

على ان في الشهر العربي الاندلسي من هذا القبيل الشيء الكثير[2].

وعندما يحقق المسلمون انتصارا على اعدائهم، نرى ان القادة يهنئون بعضهم البعض الاخر، فبعد النصر الذي حققوه في معركة الزلاقة، نجد ان ابن عباد قد اقبل على يوسف بن تاشفين مصافحا ومهنئا اياه[3]، وعند جواز يوسف هذا للمرة الثالثة عام (483هـ/ 1090م)[4] حيث كان "المعتمد... والمتوكل بن الافطس قد قدما عليه بغرناطة يهنئانه بما تهيئا له من ملك غرناطة ومالقه" [5] كما قدمت التهاني بعد انتصار المسلمين في معركة الاراك عام (591هـ/ 1195م) للخليفة المنصور الموحدي من قبل الشعراء الذين انهالوا عليه من كل حدب وصوب حتى صار الواحد منهم ينشد

1- ابن الابار، الحلة، 2/ 69.

2- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1 م2/ 727؛ ابن ابي الصلت، ديوان، ص82؛ ابن دحيه، المطرب، ص76 و179.

3- ابن عذاري، البيان، 4/ 138؛ الناصرى، الاستقصا، 2/ 44.

4- مجهول، الحلل، ص57.

5- مجهول، الحلل، ص58.

البيتين أو الثلاثة لكثرتهم[1]، ولضيق الوقت، فليس من المعقول ان يجلس الخليفة زمنا طويلا ليستمع الى هؤلاء الشعراء وقد حمل كل واحد منهم بجعبته ماحمل من الشعر.

كما تقدم التهاني عندما يتولى الشخص منصبا معينا، فقد هنىء ابن زيدون عندما اصبح وزيرا بقول احدهم "أسعد الله بوزارة سيدى الدنيا والدين، واجرى له الطير الميامين، ووصل بها التايد والتمكين، والحمد لله على امل بلغه" [2]، ولابن خفاجه شعرا يهنىء به ابي اميه لعودته الى خطة القضاء[3].

وفي مناسبة الزواج تقدم التهاني للعروسين وتكون هذه المناسبة فرصة لاظهار محاسنها كالذي اظهره ابن قزمان في هذه المناسبة بقوله:

صرفت اليك وجوهها الافراح
وتكنفتك سعادة ونجاح
فأقضى المأرب في زمان صالح
لاسد عنك من الزمان صلاح
ان كان كالشمس المنيرة حسنها
فالبدر أنت وماعليك جناح
لافرق بينكما لرأى فاستوى
زي النساء ووشاح
هل يوقد المصباح عندكما مهجا
وكلاكما ببهائه مصباح[4]

1- ينظر: المقري، نفح، 4/ 172.

2- ابن خاقان، قلائد، 3/ 619.

3- ينظر: ديوان، ص116.

4- ابن الخطيب، الاحاطة، 2/ 496.

كما كان يهنى الشخص عندما يقصد له كقول ابن زيدون الى المعتضد الذي جاء فيه:

ليهتك ان احمدت عاقبة القصد

فلله منا اجمل الشكر والحمد[1]

وتقدم التهاني ايضا لشخص شفي من مرض اصابه بعد تناوله الدواء[2]، وكذا عند قدوم شهر رمضان[3]، وفي الاعياد[4].

ح-التبرك

عاد اعتقد بها بعض الاندلسيين وغايتهم منها - كما نعتقد - التماس الخير ماديا كان ام معنويا، وقد اختلفت الحالات التي يتبركون بها، فأحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد (ت449هـ/ 1057م) كان "... متبركا بالصالحين راغبا في لقائهم"[5].

واخر نجده يتبرك بزيارة مسجد ما، فهذا القاضي ابو محمد عبد الحق بن عطية عندما اراد "...الارتحال من قرطبة، قصد الجامع متبركا ومودعا" [6]، واخرون قد تبركوا برجل صالح، فعندما توفي الفقيه علي بن محمد بن هذيل البلنسي عام (564هـ/ 1169م)[7]،

1- ديوان، ص78.
2- ينظر: ابن زيدون، ديوان، ص77؛ التجيبي المرسي، زاد، ص149 - 150.
3- عماد الدين، خريدة، ق4 ج2/ 85.
4- ينظر: المراكشي، الذيل والتكملة، سفر1 ق1/ 163 - 164؛ ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص490.
5- ابن بشكوال، الصلة، 1/ 59.
6- الرعيني، برنامج، ص74.
7- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر5 ق1/ 371.

تزاحم الناس عليه وكانوا يتعلقون بالنطق[1] وبالسقف ليدركوا النعش بايديهم ثم يمسحون بها وجوههم" [2].

كما نلاحظ ان خلفاء الدولة الموحدية كانوا يتبركون بحمل مصحف عثمان بن عفان ﵁، وهو في احسن زينه محمولا على جمل كلما ارادوا الحركة لغرض الجهاد، كما حدث في عام (566هـ/ 1171م) عندما خرج امير المؤمنين ابو يعقوب عبد المؤمن متجها الى العدوة الاندلسية[3]، وكذا في عام (579هـ/ 1183م)[4]، "ولم يزل الموحدون يعتنون بهذا المصحف الكريم في اسفارهم متبركين به" [5].

ط ـ الجلوس في الطرقات

نهى الرسول الكريم محمد ﷺ الجلوس في هذه الاماكن، لما لها من مضار على الناس بقوله الشريف "اياكم والجلوس في الطرقات...فاما اذا ابيتم فاعطوا الطريق حقه قالوا ماحقه... قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والني عن المنكر"[6].

الا ان بعض الاندلسيين اعتادوا على اتخاذ باحة باب الدار الخارجية مكانا للجلوس، كوسيلة من وسائل الترويح وتمضية بعض الوقت، حيث يجتمع عدد من الاصدقاء امام دار احدهم، الامر الذي دفع بابن عبدون ذكر وجوب منع "جلوس الشبان ايام الاعيد على الطرق لاعتراض النساء" [7]، في نفس الوقت نهيت "النساء من

1- النطق: هو ((كل مايتعلق به الوسط...)). ابن منظور، لسان، مادة (نطق)؛ الزبيدي، تاج، مادة (نطق).
2- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر5 ق1/ 371.
3- ينظر: ابن عذاري، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص92.
4- ابن عذاري، البيان، (القسم الخاص بالموحدين)، ص129 – 130.
5- ابن عذاري، البيا، 3/ 188.
6- احمد بن حنبل، مسند، 3/ 36 و47.
7- رسالة، ص27.

الوقوف على ابواب الدار لما فيه من الكشف وعدم الاستتار" [1]، وفي حالة عدم الخضوع لهذا الامر فان المخالف يعرض نفسه الى العقوبة" [2]، وربما كان هذا السبب هو الذي دفع بالبعض الى الامتناع عن الجلوس في وقت النهار بل عندما يختلط الظلام بعد اداء صلاة المغرب[3].

فهذه ولادة بنت المستكفي، وقد مرت بالوزير ابي عامر بن عبدوس وكان جالسا امام باب داره حيث تجمعت القذارة والمياه على اثر سقوط المطر، فقالت له:

انــــت الــخــصــيــب وهـــــذه مصر

فــتــدفــقــا فــكــلاكــمــا بـــحــــر[4]

ي۔التجمع عند الاحتضار

اعتاد الناس، ومايزالون، حينما يدنو اجل شخص قريب، نجد انه قد يجتمع ذووه من حوله لانه قد يوصي بوصية ما امامهم، وعندما يلاحظ الحضور، ان قريبهم هذا على وشك الموت يقوم احدهم بمحاولة مطالبته بان يستغفر الله[5].

ومن اغراض هذا المشهد ايضا ابراء الذمة من كلا الطرفين، فهذا عبد الله بن الوارث من اهل قرطبة "لما احتضر... احاط به اهله وبنوه يبكون وكان له ابن يسمى محمد، اكبر بنيه، وكان عاقا له، فأدمن النظر اليه وهو يتنفس الصعداء وانشد"

لا اعــرفــك - بعد الــمــوت- تندبني

وفـــي حــيــاتــي مـــازودتـــنـــي زادي[6]

1- ابن عبد الرؤوف، رسالة، ص13.

2- ينظر: ابن عبد الرؤوف، في رسالة، ص110؛ الونشريسي، المعيار، 2/ 299.

3- ينظر: الضبي، بغية، ص190.

4- المقري، نفح، 4/ 208؛ ابن نباته، سرح، ص7.

5- ينظر: المقري، نفح، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، ج4، (بيروت: د – ت)، ص206.

6- ابن الابار، التكملة، 2/ 790.

الامر الذي يوضح ان علاقة الابن بالاب سيئة جدا، لان الاول على مايبدو لم يكترث حتى لموت ابيه.

ك ـ النواح على الميت

نهى الفقهاء النوح على الميت وعن ضرب الخدود[1]، لقول الرسول الكريم محمدﷺ "اربع في امتي من امر الجاهلية لن يدعهن الناس: النباحة..." [2] فعلا فاننا لمسنا والى يومنا هذا ان هناك من يقوم بهذه الفعله، فقد لوحظ انه عندما توفى المعتمد في عام (461هـ/ 1069م) فقد "...علا النواح في قصره بحينه" [3]، وعند وفاة الشاعر ابن شهيد (ت426هـ/ 1035م) يقول ابن سعيد انه لم "يشهد على قبر احد ماشهد على قبره من البكاء والعويل" [4].

ل ـ تشييع الجنائز

قال رسول الله محمد ﷺ "من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل وما القيراطان قال مثل الجبلين العظيمين" [5]، اذن فهي حالة فيها ثواب واجر على اننا نلاحظ بان عدد المشيعين راجع الى منزلة المتوفي، فان كان من ذوى الشأن خرجت خلفه الخاصة والعامة، فعندما توفي الفقيه سعيد بن عباس عام (413هـ/ 1022م) "...حضر جنازته المعتلي بالله يحيى بن علي بن حمود"[6]، اما ابو الحزم جهور بن محمد (ت435هـ/ 1034م) فقد ذكر انه ".. يشهد

1- ينظر: ابن عبد الرؤوف، رسالة، ص77.
2- احمد بن حنبل، مسند، 2/ 526؛ الترمذى، سنن، 3/ 316.
3- ابن الابار، الحلة، 2/ 53.
4- المغرب، 1/ 85.
5- النيسابورى، صحيح مسلم، 2/ 609 – 610.
6- ابن بشكوال، الصلة، 1/ 211.

الجنائز... جاريا في طريقة الصالحين" [1]، كما كان حاكم قرطبة ابو الوليد محمد بن جهور يحضر مثل تلك الجنائز حيث شهد جنازة ابي علي حسن بن محمد بن ذكوان سنة (451هـ/ 1059م)[2] وكذا المعتمد بن عباد الذي سار في جنازة الفقيه احمد بن محمد المعروف بابن الحذاء وذلك عام (467هـ/ 1074م)[3].

وفي عام (528هـ/ 1134م) توفى المقرى والنحوى علي بن خلف من اهل غرناطة حيث شهد جنازته "...جمع عظيم وما وصل الى قبره الا مع الاصيل لازدحام الناس عليه حتى كسروا النعش وانصرفوا من وقته بين العشائين وجمع به الخاص والعام" [4]، والامثلة من هذا القبيل كثيرة [5].

على ان بعض المتوفين كان لهم أثر في الحياة العامة حيث خدموا الناس ورعوا مصالحهم، لدرجة ان عددا ممن يسيرون في موكب التشييع يأسفون على موت ذلك الشخص وهذا ماحدث عندما توفي الفقيه احمد بن علي القيسي، وهو من اهل غرناطة، عام (598هـ/ 1202م)[6]، ومما لاريب فيه فان عائلة المتوفي كانوا ممن يشهدون جنازة ذويهم، بل قد يتقدم احد هؤلاء لاداء صلاة الميت، فهذا ابو مروان عبد الملك بن زيادة عندما توفي عام (457هـ/ 1065م) يلاحظ ان ابنه قد مشي في جنازته وصلى عليه[7]، وكان ذوو المتوفي يتلقون التعازى من الحضور، كالذي جرى مع ابن زيدون عندما توفيت ابنته وكان ذلك بعد الانقضاء من دفنها[8].

1- الحميدى، جذوة، ص28؛ الضبي، بغية، ص24؛ ابن الاثير، الكامل، 7/ 291.

2- ابن سعيد، المغرب، 1/ 161.

3- ابن بشكوال، الصلة، 1/ 66.

4- ابن الابار، المعجم، ص275.

5- ينظر: عياض، ترتيب، 4/ 754 – 755؛ ابن الابار، التكملة، 1/ 228 – 229؛ المعجم، ص135؛ المراكشي، الذيل والتكملة، سفر1 ق1/ 201؛ ابن الفرات، تاريخ، م4 ج1/ 246؛ بابا التنبكتي، نيل، ص199.

6- ينظر: المراكشي، الذيل والتكملة، سفر1 ق1/ 305.

7- ابن سهل، احكام، ورقة 387.

8- ينظر: المقري، نفح، 3/ 565.

ومن ظواهر التشييع خروج بعض من النساء الامر الذي دفع بالفقهاء ان يقولوا انه ينبغي "للامام ان يمنع النساء في الخروج في الجنائز وان كن غير نوائح" [1]، أما القاضي ابن عياض فكان "من شدته منع النساء الخروج من باب طليطلة، خلف الجنائز..."[2] بالاضافة الى ما احدثه الناس "في المشي امام الجنازة بالاستغفار والتكبير، فانه مكروه... وجاءت الاثار بكراهيته الانذار في السوق والطرق ولا بأس على ابواب المساجد وعلى خاصة اخوان الميت... وينهى عن اتباع الجنائز بالنار وبالنياحة"[3].

م ـ البناء على القبور

عمل بعض الاندلسيين على اظهار قبورهم فبنوا عليها القباب[4]، وهذا الفعل يخالف الشرع الاسلامي "لأن ائمة المسلمين لم يفتوا بالجواز ولا اوصوا بفعل ذلك بقبورهم بل نجد اكثرهم يفتي بالمنع" [5] وذكر انه من "البدع البناء على القور وتجصيصها" [6]، لهذا منع قاضي مدينة سرقسطة ان يوضع شيء على قبرى التابعين حنش الضعاني ورباح اللخمي[7].

"اما البناء... المباح في الشرع هو تسنيه بالبناء والحائط القصير في غير تسقيف"[8] فيكون "...حاجزا بين القبور... مايميز به الرجل قبر قريبه" [9].

1- ابن عبد الرؤوف، رسالة، ص77.
2- عياض، ترتيب، 4/ 755.
3- ابن عبد الرؤوف، رسالة، ص76.
4- ينظر: ابن خفاجة، ديوان، ص19؛ ابن خاقان، قلائد، 4/ 750.
5- الونشريسي، المعيار، 1/ 318.
6- الونشريسي، المعيار، 2/ 333.
7- ينظر: الدلائي، ترصيع، ص22 – 23.
8- الونشريسي، المعيار، 2/ 317.
9- الونشريسي، المعيار، 1/ 318.

هـ- نقش شاهد القبر

من المعتاد ان يضع اهل المتوفي شاهدا رخاميا أو غير ذلك للدلالة عليه، حيث يكتب اسم المتوفى وتأريخ الوفاة وقد يحتوى على بعض من الايات القرانية او ابيات شعرية ذات اغراض مختلفة واحيانا قد يكتب سبب الوفاة.

فهذا محمد عبد الله عنان يذكر انه رأى شاهد قبر في متحف بطليوس كتب عليه بالخط الكوفي "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا قبر الشهيد المقتول ظلما رحمه الله عبيد الله بن محمد... قتلوه الملثمين...عام تسعة وثلاثين وخمسمائة" [1]، وهنالم من يعهد لشخص بوصية ان يكتب على شاهد قبره قوله تعالى ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾[2] ذلك ماكتب على قبر سعيد بن يحيى النجيبي (ت472هـ/ 1079م) بسبب ما لاقاه في سجنه[3]، وهو بهذه الآية اراد ان ينبه الذي سجنه بان الدنيا سجال فالذي اصبت به قد يصيبك.

واخر كتب بعد البسمله ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [4] ذلك ماكان على قبر الفقيه ابي القاسم خلف بن حسن البكرى الذي استشهد بشرقي جامع بطليوس حينما غار العدو عليها في عام (556هـ/ 1161م)[5].

وغيره قد كتب ابيات شعر يدعو فيها المار على قبره ان يقف ليتمعن مذكرا اياه بان الدنيا ليس فيها مايفيد ولن يخلد بها احد، داعيا الى مخافة الله وتقواه، ذلك ماكتب على قبر احمد بن ايوب (ت465هـ/ 1072م) جاء فيها:

1- الاثار، ص377.

2- سورة آل عمران، آية (140).

3- ابن بشكوال، الصلة، 1/ 218.

4- سورة الرحمن، الايتان (26 و27).

5- عنان، الاثار، ص378.

بنيت فلم اسكن وحضيت جاهدا

فلم اتى المقدر صبرته قبرى

ولم يك حظي غير ما انت مبصر

بعينك مابين الذراع الى الشبر

فيا زائرا قبرى اوصيك جاهدا

عليك بتقوى الله في السر والجهر

ولاتحسنن بالدهر ظنا فانما

من الحزم ان لايستنام الى الدهر[1]

اما محمد بن مالك الطغري (ت480هـ/ 1087م) فقد امر ان يكتب ماقوله:

ياخليلي عرج الى قبرى تجد

من الله التراب بين جنبي ضريح

خافت الصوت نطقت ولكن

اي نطق ان اعتبرت فصيح[2]

في حين اوصى المعتمد بن عباد ان تكتب ابيات اراد بها رثاء نفسه، فبعدما كان عزيزا في ملكه صار اسيرا باغمات غريبا فيها، ذاكرا ان ذلك هو قدر السماء[3]، ونجد اخر يعظ بان الموت هو نهاية البداية وبداية النهاية، متأملا رحمة الله رغم ماجنى من ذنوب، ذلك مايشاهد على قبر ابي بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاروتي (ت587هـ/ 1191م) بقوله:

ايها الواقف اعتبارا بقبري

اسمع انه قول عظيم رحيم

1- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر1 ق1/ 74 – 75؛ ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 435.

2- ابن الخطيب، الاحاطة، 2/ 284.

3- ينظر: المعتمد، ديوان، ص29 و96 و136.

اودعــــوا فـي بطن الـضـريـح وخـافـوا
مـــن ذنــــوب كــلــومــهــا بــاديــمــي
قـلـت لاتـجـزعـوا عـلـي فانـــي
حـسـن الـظـن بـالـرؤوف الـرحـيـم
ودعـــونـــي بـمـا اكـتـسـبت رهـيـنـا
غـلـق الـرهـن عـنـد مـولـى كـريـم[1]

وعلى شاهد قبر ابن شهيد كتبت اسطر من النثر وختمت باية قرانية موضحا فيها ان مصير الانسان اما الجنة او النار بعد ان يبعث الله مافي القبور، كما احتوى شاهده على ابيات شعر ذكر فيها ماكان عليه من اللهو وما آل اليه من مصير محتوم طالبا العفو من الله سبحانه وتعالى[2] وهناك الكثير من الاشعار التي جعل منها شواهد قبور تعظ الواقف عليها[3].

ص ـ زيارة القبور

قال رسولنا الكريم محمد ﷺ "قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد اذن لمحمد في زيارة قبر امه، فزوروها فأنها تذكر الآخرة" [4]، لذا فالغرض الاول والمهم هو الوعظ بان الموت بداية الخلود أما في الجنة أو النار، وان مصيرنا المحتوم هو القبر، وفي هذا الاتجاه جاء قول ابو اسحاق الالبيري:

واذا اتـيـت قـبـورهـم فاسئلهـم
عـمـا لـقـوا فـيـهـا مـن الاهــوال

1- التجيبي المرسي، زاد، ص81 - 82؛ ابن الابار، المقتضب، ص16.
2- ينظر: ابن شهيد، ديوان، ص46 - 47؛ ابن خاقان، قلائد، 2/ 440 - 441.
3- ينظر:ابن خفاجة، ديوان، ص363؛ ابن ابي الصلت، ديوان، ص87؛ ابن خلكان، وفيات، 1/ 222 و4/ 436؛ ابن الابار، المقتضب، ص15؛ الرعيني، برنامج، ص15 - 16؛ ابن ابي اصيبعة، عيون، ص503؛ ابن عماد، شذرات، م2 ج4/ 83 - 84؛ المقري، نفح، 2/ 108.
4- الترمذى، سنن، 3/ 361.

فسيخبرونك ان فهمت بحالهم
بـعـبـارة كـالـوحـي لابمقـال[1]

وقوله:

مـا اوعـظ الـقـبـر لـو قبلنـا
مـوعـظـة الـنـاطـق الـصـمـوت[2]

ولابن خفاجة شعر وقد مر يوما بالمقابر، فأطال الوقوف بها بين اعتبار واستعبار[3] وحينما يذهب الناس الى قبر ذويهم أو احد معارفهم، فانهم ياخذون بالترحم عليه، وربما يتذكرون شيئا من منجزاته، ذلك ماحدث عندما قام جمع من صحابه ابي عبد الله محمد بن الخصال (ت463هـ/ 1071م) حينما زاروا قبره وقد استصحبوا معهم احد التلاميذ وقد كتب قصيده وسمها بمعراج المناقب والمناهج، قرأها عند قبر ابو عبد الله هذا، وبعد اتمام القراءة اخذ الحضور يترحمون على ابي عبد الله ويسلمون عليه[4].

اما عندما توفى القاضي محمد بن امجد بن هرثمه بن ذكوان عام (435هـ/ 1043م) فقد زار قبره جمع من اخوانه وجماعته ممن هم في ميدان عمله، مسلمين عليه واقفين عند قبره متألمين[5]، على ان الامثلة والاشعار التي تذكر مناقب المتوفي وتترحم عليه كثيره[6].

ومن اغراض الزيارة ايضا التبرك بصاحبها، لما له من صفات حميدة واعمال خيره جعلته في مكانته رفيعه عند الناس، فهذا الفقيه الواعظ احمد بن ايوب بن ابي

1- ديوان، ص82.
2- الالبيرى، ديوان، ص109.
3- ينظر: ديوان، ص309.
4- ابن الابار، المعجم، ص146.
5- ابن خاقان، قلائد، 1/ 219.
6- ينظر: ابن زيدون، ديوان، ص75 - 76؛ ابن حمديس، ديوان، ص37؛ ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 841 - 842؛ ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 449؛ المراكشي، الذيل والتكملة، سفر1 ق1/ 231 - 232.

الربيع (ت432هـ/ 1040م) عندما توفى حزن "الناس لفقده حزنا شديدا، وواظبوا قبره اياما تباعا يلوذون به ويتبركون" [1].

ومما يلفت النظر والى يومنا هذا ان زيارة القبور من قبل الناس، ومنهم الاندلسيين، تزداد او تترافق بشكل خاص في مناسبة الاعياد، بدليل ما اوضحه ابن قزمان باحد ازجاله الذي جاء فيه:

كـــــل وجـــــه مـــزيـــن	لـــيـــلـــة الـــعـــيـــد بـــرا
والـــبـــكـــا بـــالـــمـــقـــابـــر	عـــلـــى الاحـــبـــاب ذمـــرا
احـــتـــفـــال الـــفـــجـــايـــع	فـــاحـــتـــفـــلـــل الـــمـــسـر
ودمـــــــوع الـــتـــرحـــم	فـــي ثـــيـــاب الـــشـــطـــار [2]

وقد زار بحر بن صفوان بن عبد الصمد قبر المعتمد بن عباد في يوم عيد[3] وكان على القبر بعض الزائرين يقرأون ايات من الذكر الحكيم، على ان يهدى ثوابها الى الميت لان ذلك فيه نفع له[4].

واخيرا لابد من الاشارة الى ان علماء المسلمين عموما قد كرهوا خروج النساء الى المقابر لزيارتها وذلك لقلة صبرهن وكثرة جزعهن[5]، ولذا كره ابن عبد الرؤوف اجتماعهن للبكاء على الميت والنياح عليه[6]، اما الجرسيفي فقد قال "ويمنع النساء من اتباع الجنائز وزيارة القبور ...الا مع زوج أو ذى محرم" [7] وذلك لمنعهن أو تصبيرهن في حالة قيامهن بالنواح أو البكاء.

1- ابن بشكوال، الصلة، 1/ 53.

2- ديوان، ص324؛ الاهواني، الزجل، ص81.

3- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 1/ 107؛ ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 58.

4- ينظر: الونشريسي، المعيار، 1/ 331 و333.

5- الترمذى، سنن، 3/ 363.

6- رسالة، ص77.

7- رسالة، ص121.

الفصل السادس

الملابس والزينة

أولا – الملابس

أ / ملابس رجال الحكم والاغنياء

ب / ملابس الفقهاء

ج / ملابس العامة

د / لباس اهل الذمة

هـ / لباس المرأة

و / لباس الحداد

ثانيا – لباس القدم

أ / النعل

ب / الخف

ثالثا – الزينة

أ / حلي المرأة

ب / الخضاب

ج / الكحل

د / العطور

الملابس والزينة

ان البحث فيما كان يرتديه الاندلسيون ومايتحلون به، يعد من الامور الصعبة شأنه في ذلك شأن أغلب جوانب الحياة الاجتماعية، وذلك لقلة المصادر التي تتناول هذا الجانب ولاجل ذلك فقد رجعنا الى المصادر الادبية، وبالذات دواوين لشعراء عاصروا فترة بحثنا، لاعطاء صور عن هذا الموضوع الى جانب ماتيسر من احداث وادلة تاريخية امدتنا بها مصادر التأريخ، كما اننا قد استندنا الى بعض معاجم اللغة العربية لتعريف مايمكن تعريفه.

أولا: الملابس

اشتهرت مدن اندلسية عديدة بصناعة المنسوجات، بل انفردت بعضها بنوع معين ففي المرية تصنع الحلل الموشية النفيسة[1]، وينتج فيها الحرير[2] الذي يصنع منه الموشى والديباج على اختلاف انواعه، كما يصنع الخز وغير ذلك مالم يعرف مثله في المشرق ولا في الممالك النصرانية[3] وكذلك مايعرف بالسقلاطوني والبغدادي[4]

1- الشقندي، فضائل، (ضمن فضائل الاندلس واهلها)، ص58.

2- ابن الخطيب، (مجموعة رسائل)، تح: احمد مختار العبادني، نشرت تحت عنوان (مشاهدات ابن الخطيب في المغرب والاندلس)، مطبعة جامعة الاسكندرية، (د- م: 1958م)، ص88.

3- ابن سعيد، المغرب، 2/ 193 - 194.

4- الغرناطي، فرحة، ص14.

والاصبهاني، والجرجاني، والستور المكللة والعتابي حتى ذكر ان فيها (800) طراز من الحرير[1]، فصارت مركز استقطاب التجار لشراء حريرها[2]، اما في مدينة مرسية ومالقة فكانت تصنع الحلل الموشية[3].

ومن غرناطة انتج الكتان والحرير[4]، اما بسطة فقد عرفت بطراز الوطاء الذي يصنع من الديباج[5]، وفي هاتين المدينتين صنعت "ثياب اللباس المحورة الصنف الذي يعرف بالمبلد المختوم ذو الالوان العجيبة" [6]، اما قرطبة فقد صنع فيها السمور الذي يجلب من سرقسطة[7] فسميت بالسرقسطيه[8]، ومن فحص البيره ينتج الحرير الذي انتشر في البلاد وعم الافاق، اما كتانه فهو يضاهي كتان مصر من حيث الجودة[9]، ويوجد الكتان أيضا في لارذة[10]، وفي جنوب وادي آش[11]، وغيرها من المدن الاندلسية التي اشتهرت أو عرف بها بلا ريب نوع معين من المنسوجات، على ان البحث في هذا المجال يتطلب دراسة واسعة تغطي كافة المدن الاندلسية التي تنتج منها محصول القطن أو الحرير أو الكتان...الخ واخريات تصنع هذا المنتوج وتحوله الى قماش ومنه الى ملابس، وسوف نتناول ماترتديه كل فئة من فئات المجتمع الاندلسي، مستعينين بذلك على اخذ نماذج مما يرتديه افراد كل فئة والتي امدتنا بها المصادر.

1- ابن عيسى، كتاب البلدان، ص41؛ الحميدي، روض، ص538.
2- الدمشقي، نخبة، ص243.
3- المقري، نفح، 1/ 201.
4- ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 109.
5- الحميري، الروض، ص113؛ابن الخطيب، مشاهدات، ص31.
6- المقري، نفح، 1/ 201.
7- المقري، نفح، 1/ 197.
8- ابن الدلائي، ترصيع، ص22.
9- ينظر: الحميري، الروض، ص46.
10- الحميري، الروض، ص507.
11- الحميري، الروض، ص604.

أ ـ ملابس رجال الحكم والاغنياء

ان معظم هؤلاء كانوا يرتدون الملابس الغالية الثمن كالحرير الموشاة بالذهب ذات الصنعة المغربية، كتلك التي تصنع في مدن المريه ومرسية ومالقة[1]، ومن الثياب التي ارتدوها مايعرف بالثوب الازوردي المطرز بالذهب[2]، وفيه قال الشاعر ابن شهيد:

لما بدأ في الازوردي	**الحرير وقد بهر**
كبرت من فرط الجمال	**وقلت ماهذا بشر**
فاجابني لاتنكرن	**ثوب السماء على القمر[3]**

وقد ذكر ان اهل اشبيلية انهم قد شاهدوا "معاذ بن ابي قرة يوم دخول يوسف بن تاشفين اشبيلية اول النهار وعليه ثوب ديباج مخرطم بالذهب" [4].

كما لبس افراد من هذه الشريحة ثوبا يعرف بالطيلسان[5]، الذي تدخل في معانيه كل من العباءة والرداء[6]، فقد لبسه محمد بن ابي بكر بن ابي حفص احد وزراء امير المؤمنين يعقوب بن يوسف، حينما ذهب الى احدى نواحي مدينة اشبيلية[7]، وان

1- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: 1970م)، ص140.

2- ينظر: ابن دحيه، المطرب، ص126؛ ابن سعيد، رايات، ص71.

3- الحميدي، جذوة، ص108.

4- النويري، نهاية، 33/ 450.

5- الطيلسان: ضرب من الثياب يوضع فوق الكتف أو الرأس ويتدلى على الجبين فيغطي نصف الوجه وانه يطوى طيا على الكتفين، ينظر: ابن منظور، لسان، مادة (طلس)، القلقشندى، صحيح، 5/ 271؛ صالحية، محمد عيسى، (من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية)، حوليات كلية الاداب، الجامعة الكويتية، الرصافة 26، الحولية6، (د - م: 1405هـ/ 1985م)، ص23؛ دوزي، رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، تح: اكرم فاضل، دار الحرية للطباعة والنشر (بغداد: 1971م)؛ ص230.

6- المزى، محمد، (نور القبس بين طبريه والاندلس)، بحوث عن الاندلس في تونس، جمعها: سليمان مصطفى واخرون، المعهد القومي للاثار والفنون، مركز الدراسات الاسبانية، (تونس: 1983م)، ص24.

7- ينظر: المراكشي، المعجب، ص337 - 338.

السواد هو احد الوانه[1]، اما الاردية ذات اللون الاخضر[2] والتي تخاط بخيوط الذهب[3] فقد لبسها المعتمد بن عباد[4].

على ان الوزراء، كما يبدو، ارتدوا حلة ربما كانت مصنوعة من الحرير[5]، او من قماش الوشي، خاصة بهم، ذلك ما اشار اليه الاعمى التطيلي بقوله:

والبست من وشي الوزارة حلة

تقوم لها تلك المآثر بالرقم[6]

وكان الاحمر من الوانها[7].

اما البرنس[8]، فقد لبسه الخليفة محمد بن معن الملقب بالمعتصم بالله[9]، واميرالمؤمنين ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[10]، ويذكر ان الغفارة[11] هي "... من لبوس اهل الرفاهية" [12]، حيث لبسها الوزير والشاعر ابن عمار[13]، وكان الاخضر احد الوانه[14].

1- ينظر: ابن شهيد، ديوان، ص183؛ الثعالبي، يتيمة، م1: ج2/ 43.

2- ينظر: ابن خفاجة، ديوان، ص69.

3- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 637.

4- ابن سعيد، رايات، 38.

5- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 850.

6- ديوان، ص177.

7- ينظر: ابن سعيد، رايات، ص50.

8- البرنس: ((كل ثوب راسه منه ملتزق به ذراعه)). ابن منظور، لسان، مادة (برنس).

9- ابن الابار، الحلة، 2/ 87.

10- المراكشي، المعجب، ص328.

11- الغفارة: ((...كساء يخاط ويلبس كالرداء))، الزيدي، ابو بكر محمد بن الحسن، لحن العامة، تح: عبد العزيز مطر، (الكويت: 1968م)، ص278؛ ابن منظور، لسان، مادة (تحضر).

12- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 850.

13- ابن الابار، الحلة، 2/ 120.

14- ينظر: ابن قزمان، ديوان، ص180؛ ابن خاقان، قلائد، 4/ 690.

على ان الغفاير كانت تصنع من اشكال مختلفة، ذلك ما اشار اليه ابن قزمان بقوله:

وغفاير ملاح على اجناس
وعمايم دبيق تسوى مال[1]

وقد لبس افراد هذه الشريحة تحت هذه الملابس التي اشرنا اليها لباسا داخليا[2] يعرف بالقميص[3] ويسمى ايضا بالغلالة[4]. فهذا الخليفة المستظهر بالله حينما قتل في عام (416هـ/ 1025م) يذكر انه جرد "من ثيابه حتى بقى في قميصه" [5] وعندما دخل المرابطون على المعتمد بن عياد لاسره، لم يكن عليه سوى "...قميص يشف بدنه"[6] وعنه قال المراكشي "...وغلالته تزف على جسده" [7]، وهو القائل اى المعتمد:

وبرزت ليس سوى القميص
على الحشى شيء دفوع[8]

وكان ذلك في عام (484هـ/ 1091م)[9].

على ان نوعيته قد اختلفت كما اختلفت الوانه، فابو الفضل بن الاعلم قال واصفا لنا قميصا، يبدو انه من النوع الذي يرتديه الميسورون، يذكر انه "... كافوري الاديم

1- ديوان، ص560.
2- ينظر: ابن سعيد، المغرب، 1/ 251.
3- القميص: لباس بفتحه عنق دائرية وبدون فتحة امامية، واكمامه تتراوح بين الاتساع والضيق. ينظر: ابن منظور، لسان، مادة(قميص)؛ صالحية، من وثائق، ص21 و101.
4- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2 م2/ 810؛ ابن ظافر، بدائع، ص113.
5- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 54.
6- ابن الخطيب، الاحاطة، 2/ 111.
7- المعجب، ص201.
8- ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 53؛ ابن خاقان، قلائد، 1/ 88؛ ابن الخطيب، الاحاطة، 2/ 112؛ اعمال، ص163.
9- ابن الابار، الحلة، 2/ 55.

بابلي الرسوم، تباشر منه الجسوم، ما يباشر الروض من النسيم" [1]، وجاء ابن سعيد ليؤكد ماذهبنا اليه بأن بعض الغلالة تميزت بالتطريز[2]، اما من حيث نوعية القماش فكانت هنالك غلالة سندسية[3] يرتديها اولئك الاغنياء.

على ان بعضا من هؤلاء قد وضعوا على رؤوسهم العمامة، التي تميزت بكونها ذات منزلة رفيعة عند المسلمين لانها "تيجان العرب وبهاء الاسلام" [4] وتتمثل هذه المنزلة بقول الشاعر:

ولا غــرو مــن تلك الـقـلانـس جانبا

اذا عرفت حقي هنالك العمائم[5]

وقوله

نــرمــي قــلانــسـنـا لـــه ونـجـر مــن عــذب العمائم[6]

اذن فهي بالمقام الاول بين البستة الرأس عند الاندلسيين، وماحدث في عهد الخليفة محمد ابن هشام بن عبد الجبار، لهو دليل على اعتزاز العرب بارتدائها وعلو منزلتها، فقد اعلن الخليفة هذا الامان للقبائل المغربية عندما تولى الأمر، فأمرهم بارتداء القلانس[7] والارديه وخلع العمائم التي كانوا يرتدونها، فما كان منهم الا ان قالوا لرسول الخليفة، لو لم تكن كذلك لقتلناك[8].

1- ابن خاقان، قلائد، 4/ 848.
2- ينظر: المغرب، 1/ 90.
3- ينظر: ابن الابار، المقتضب، ص5.
4- الونشريسي، المعيار، 2/ 255.
5- ابن شهيد، ديوان، ص339.
6- ابن شهيد، ديوان، ص152.
7- القلنسوة: لباس معروف من لباس الراس، ينظر: ابن منظور، لسان، مادة (قلس) ويبدو ان دوزي توهم حينما قال انها الطاقيه التي توضع تحت العمامة، ينظر، المعجم، ص296.
8- ينظر: ابن عذارى، البيان، 3/ 82.

وكان الخواص من الموحدين يلبسون العمائم، حيث يذكر انه في عام (566هـ/ 1170م) ذهب ابو محمد سيد راى بن وزير رسول فرنانده البيوج بن اذفونش السليطن[1] حيث سرقت عمامته، وعند عودته لاحظه السيد ابي سعيد، وكان ابو محمد حاسر الرأس، فلما علم بما جرى له قام سعيد ورفع بعمامته اليه[2]. هذا ويذكر ان صلات الخليفة ابي يعقوب للوافدين عليه في مراكش من الموحدين والعرب، كانت قد احتوت على العمائم والقلانس، الامر الذي يدلل على شيوع لبسها من قبل الخواص والوافدين.

ووضع البعض الاخر على رأسه، القلنسوة والتي تسمى أيضا بالقبالة[3]، وبالكثمة[4]، وبالطرطور[5]، وعرفت ايضا بالطويله، فيذكر ان ابن عمار حينما دخل مرسية، جلس في اليوم الثاني لتلقي التهاني[6] حينها "... تزين بزى ابن عباد في حمل الطويلة على رأسه" [7]. اذن فهي ليست الطاقية التي توضع تحت العمامة، كما اعتقد دوزى[8]. وقد تميزت قلنسوه هؤلاء بانها غالية الثمن ذات صنعه جميله، فقد وصف لنا مورينو هذا النوع حينما رأها في كاتدرائية رودا (Roda) بقوله: "... ملاة بخيوط من ذهب فوق ارضيه من (التافتاه) المنقطة بين خيوط حرير غرزها طويلة، واسلوبها

1- فرنانده البيوج، هو الولد الاكبر للفونسو السابع صاحب طليطلة، ومعنى البيوج الكثير اللعاب، واسمه فرنانده، وقد ورث حكم مملكة ليون عن ابيه ومملكة قشتالة عن والدته برنقالة، ينظر: المراكشي، المعجب، ص320؛ ابن الخطيب، اعمال،ص331 - 332؛ اشباخ، تاريخ، ص350.

2- ينظر: ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص425 - 427.

3- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 559.

4- ينظر: ابن الابار، المقتضب، ص267؛ ونجدها عند ابن سيده (الكلمه)، ينظر: المخصص، م1 سفر4/ 82؛ دوزي، المعجم، ص313.

5- ينظر: ابن منظور، لسان، مادة (طرر)، دوزي، المعجم، ص223.

6- ابن الابار، الحلة، 2/ 140.

7- ابن الابار، الحلة، 2/ 141.

8- المعجم، ص296.

اندلسي بحت وتزدان بطواويس وكتابه كوفيه نصها (القوة لله) وتوحي رشاقتها وهيئة توريقها بانها من اول القرن 12م" [1]، فقد البست لشبيه الخليفة هشام المؤيد خلف الحصرى خلال فترة الفتنة من قبل القاضي ابي القاسم محمد بن عباد، بعدما جردوا خلف هذا من ملابسه والبسوه الكسوة الخلافيه وبضمنها القلنسوه[2].

ويلاحظ ان سليمان ابن الحكم (المستعين بالله) عندما وقف امام المهدى الذي كان جالسا على مقعد الخلافه تراه "قد لبس ثوب خز وعليه طاق خز ملون واخروق[3]، وشي، وقد رمى بثيابه على عاتقه" [4].

هذا وقد تميز رجل الحكم من المرابطين والمقربين منهم يلبس اللثام، الذي كان يوضع على الوجه، بأن يشد عليه، فلا تبدو من خلاله الا العينان[5] على ان ابن رشد قد استحب لهم اللثام ودعاهم الى الالتزام به وتوارثه[6]، وما يدلل على خصوصيته ماقاله ابن عبدون "...يجب ان لايلثم الاصهاجي أو لمتوني...وان عبيد المرابطين ان تلثموا فتكون علامة يعرفون بها...وكذلك الحشم والاتباع" [7].

ويبدو ان هنالك سبب اخر دفع بابن عبدون الى هذه الدعوة، يكمن في ان بعضا من عبيد المرابطين وحشمهم قد استغلوا هذا النوع من القناع كي يتخفوا عن الانظار دون ان يعرفوا في حالة ارتكابهم جريمة أو خطأ مما يعلق بالتالي على اشراف المرابطين ورجال حكمهم.

1- الفن الاسلامي، ص415.
2- ينظر: ابن عذارى، البيان، 3/ 200؛ ابن الخطيب، اعمال، ص154.
3- الاخروق، لاوجود لهذه الكلمة في القاموس، غير ان دوزي يقول انه يخيل الي انها تعني ضرب من ضروب التيجان التي تعمل من الذهب المرصعة بالاحجار الكريمة، ينظر: المعجم، ص30، ويبدو ان هذا الرأي صحيح بدليل النص لان لابسها من الخلفاء.
4- ابن الابار، الحلة، 2/ 10.
5- ينظر: ابن خفاجة، ديوان، ص102.
6- ينظر: فتاوى، 2/ 963 - 965؛ توازل/ ص17؛ الونشريسي، المعيار، 1/ 225؛ القلقشندى، صبح، 5/ 188.
7- رسالة، ص28.

وهناك من الشعر مايدلل على علو منزلة اللثام وتخصصه كما ذكرت عند المرابطين بقول الشاعر:

قـــوم لـهـم شــرف الـعـلا فــي حميد
واذا انــتــمــوا لـمـتـونـة فــهــم هم
لـمـا حـــووا احـــراز كـل فضيلـة
غـلـب الـحـيـاء عليهم فتمثلوا[1]

وهناك اشعار اخرى ذهبت في المعنى نفسه[2].

ولبس بعض اولي الامر كالمعتمد بن عباد التاج[3]، وفيه يقول الطيب ابو محمد المصرى وقد حضر مجلسا للمعتمد حيث جاء فيه:

اشــرب هنيئا عليك الـتـاج مرتفعا
بـشـاذ مـهـر ودع غـمـدان لليمـن
فـأنـت اولـى بـتـاج الملك تلبسـه
مـن هـوذة بـن علي وابـن ذى يـزن[4]

ب ـ ملابس الفقهاء

لقـد كان الاشـياخ المعظمـون ممـن يرتـدون الطيلسـان حيـث يجعلونـه على الـراس[5] هـم دون غيرهـم، فقـد عرفـه الاندلسـيون عمومـا وشـاع اسـتعماله

1- ابن عذارى، البيان، 4/ 129؛ ابن العماد، شذرات، م2 ج3/ 413.
2- ينظر: ابن خفاجة، ديوان، ص100؛ الضبي، بغية، ص374؛ النويرى، نهاية، 24/ 265.
3- التاج: هو ((مايصاغ للملوك من الذهب والجوهر)). ابن منظور، لسان، مادة (توج) وهو بلا شك صنع من جواهر مختلفة الاشكال فقد ذكر ان عبد العزيز بن موسى حينما تزوج من ارملة لذريق عملت له تاجا من مجوهراتها، فكيف والحال في فترة دول الطوائف حيث الوضع الاقتصادى الجيد لها، ينظر: ابن الاثير، الكامل، 4/ 144؛ ابن عذارى، البيان، 2/ 23.
4- ابن خاقان، قلائد، 1/ 59.
5- ينظر: المقري، نفح، 1/ 223.

بينهم[1]، لكنه في حقيقة الأمر، كما يبدو، لباس خاص بشيوخ الفقه لدرجة ان بعض لابسيه عرف باسمه كمقرئ اشبيليه احمد بن ابي عبد بن محمد المعروف بابي جعفر الطيلساني، الذي كان يرتدى في كل جلسة للقراء طيلسانا غير الذي كان عليه في سابقها وعلى أثر ذلك لقبه طلبته بالطيلساني[2]، كما لبسه الفقيه عبد العزيز بن علي المالكي[3] الامر الذي يدفعنا الى القول بان دوزى لم يكن دقيقا في قوله الانف الذكر، وفيه قال الشاعر:

طيلساني طائر من نفسي … هو فوقي غبش في غلس
والذي آلفه ألفه … من هواء فارغ أو نفس[4]

كما واننا نلاحظ ان بعض شيوخ قرطبة قد لبسوا الرداء[5]، فقد ذكر ان احدهم قد ستر به المأمون بن المعتمد حينما قتلوه، حيث كان عاريا، لذا اخذ والده يسأل عن ذلك الشيخ المجهول لقوله:

ولم ادر من القى عليه رداءه
ولكنه قد سئل عن ماجد محض[6]

ويمكن القول بأنه الألوان التي يميل الى لبسها الفقهاء، اللون الاخضر، وانه الغالب على الوان ملابسهم، فقد قال الضبي عن الفقيه محمد بن بازو ابو عبد الله (ت587هـ/ 1191م) وقد انشدني:

1- دوزي، المعجم، ص230؛ الشكعه، الادب، ص84.
2- المراكشي، الذيل والتكملة، سفر 1 ق1/ 382.
3- عياض، ترتيب، 4/ 761.
4- الكتاني، التشبيهات، ص264.
5- الرداء: هو ضرب من اللباس الخارجي وهو مأخوذ من الملحفه، والملحفه هي ((كل ما التحف به من ثوب أو رداء أو كساء في حال قيام أو قعود أو اضطجاع)). الزبيدى، لحن، الثاني، دار الرشيد للنشر، (العراق: 1980م)، ص261.
6- ابن خاقان، قلائد، 1/ 68.

وكم قايل لم يدر وجدى ولوعتي
اری لك في خضر الملابس مذهبا
فقلت له بل فاض دمعي صبابة
فعادت ثيابي من بكائي طحلبا[1]

وقد اعتم الشيوخ والقضاة والعلماء[2]، فقد ذكر المقرى بان الغالب في زى اهل الاندلس هو ترك العمائم، لاسيما في شرقها، اما اهل غربها فقد اقتصرت على القضاء والفقهاء[3]، اما ابن الخطيب فقد قال وهو يتحدث عن غرناطة بان العمائم "تقل في زى اهل هذه الحضره، الام اشاذ في شيوخهم وقضاتهم" [4]، على ان هذين المؤرخين لم يوضحا لنا الاسباب الموجبة على الرغم مما تتمتع به العمامة من منزلة رفيعه[5]، فارتداءها يضفي على صاحبها جمالا، ذلك ما اشار اليه ابن خفاجة عندما رأى الفقيه ابا عمران وهو جالس على ساقية ماء وكان معتما حيث قال:

يامن يمر ولا تمر	به القلوب من الحرق
بعمامة من خده	أو خده منها استرق
فكأنه وكأنها	قمر تعمم بالشفق[6]

ج ـ ملابس العامة

سبق وان ذكرنا بأن هذه الشريحة تتكون من فئات اجتماعية عده، يكاد ان يكون مستواها المعاشي متقاربا وهذا يدفع بالشخص الى ان يرتدى

1- بغية، ص54.
2- ينظر: ابن الخطيب، اللحمة، ص39.
3- ينظر: نفح، 1/ 222؛ المزى، نور القبس، ص24.
4- الاحاطة، 1/ 136.
5- ينظر: هذا الفصل، هامش (3)، ص223؛ و(4 و5 و6)، ص224.
6- ديوان، ص357 - 358.

ماتسمح به الحالة الاقتصادية، فليس لهذه الشريحة أو لفئاتها زى خاص يميزهم عن غيرهم.

فهذا الاديب ابو الوليد النحلي كان يرتدى ثوبا اسودا، وربما كان الثوب الوحيد عنده، اذ كتب الى الخليفة المعتصم بالله قائلا:

ايا من لايضاف اليه شان
ومن ورث العلا بابا فيابا
ايجمل ان تكون سواد عيني
وابصر دون ان ابغي حجابا
ويمشي الناس كلهم حماما
وامشي بينهم وحدى غرابا[1]

الامر الذي يدلل على ان الاندلسيين قد لبسوا ثيابا ملونه، فقد كان هناك اللون الاصفر[2] والازرق[3]، ومن الادباء من وضع القلنسوة على رأسه، فقد اهدى للشاعر ابي عبد الله البراذعي قلنسوة من قبل الفقيه ابي عبد الله بن مجاهد عندما زاره الشاعر في احدى الايام[4]. وقد لبس اخرون ممن يتصفون بالتهريج على رأسهم ما يسمى بالطرطور[5]، ذلم ما اشار اليه ابن بسام، وهو يصف احدهم وقد امتثل بين يدي المعتمد حيث "... لبس طاقا احمر على بياض وفي رأسه طرطورا اخضر، وقد عمم عليه عمة لازوردية وهو ينشد" :

وانت سليمان في ملكه وبين يديك انا الهدهد[6]

1- ابن دحيه، المطرب، ص37.
2- ينظر: ابن الابار، المقتضب، ص104 و106.
3- ينظر: الكتاني، التشبيهات، ص134.
4- الرعيني، برنامج، ص93 - 94.
5- الطرطور، طاقية عالية وتعد ايضا من لباس الفرسان، ينظر: دوزي، المعجم، ص217 و228.
6- الذخيرة، ق4 م1/ 368.

ويتضح لنا من النص ان هذا الصنف من الادباء قد اعتموا بعمامة رديئة الصفة واللون والنوع، ولكن هذا لاينفي ان يعتم بعضهم بعمامة من النوع الجيد مثل الاديب ابي محمد عبد المجيد بن عبدون[1].

في حين نجد ان الفقراء وبعضا ممن تزهدوا قد اتخذوا من الصوف لباسا[2] لهم، او اى لباس يتصف بالخشونة[3]، اما الكتان فهو الاخر يعد من لباس هؤلاء الناس، نرى ذلك في موقف عبدوس بن محمد الطليطلي (ت450هـ/ 1058م) من احد تلامذته الذي اراد ان يلبس الخز فقال له عبدوس هذا "ان كنت تحب ان تختلف الى بثياب من الكتان، والا فلا تاتيني" [4]، يتضح لنا ان الخز نوع من الثياب الغالية ومن لباس الميسورين، وما منعه الاستاذ الا من باب منع التمييز بين طلابه كي لايثير احساسهم بوجود فارق فيما بينهم، وهذا امر حسن، نجده قد اثر في نفسيتهم، لذا نلاحظ ان احد طلاب قاضي اشبيلية ابي بكر محمد بن العربي دخل عليه وهو في زى الفقراء، ويبدو انه من المقتدرين، فانشد القاضي قائلا:

لبس الصوف لكي تنكره	واتانا شاحبا قد عبسا
قلت ايه قد عرفناك وذا	جل سوء لا يعيب الفرسا
كل شيء انت فيه حسن	لا يبالي حسن مالبسا[5]

ولبس بعض من العامة الحله ذات اللون الاحمر[6] واخرى ذات لون ازوردى، يقول ابو جعفر احمد بن محمد:

1- ينظر: المراكشي، المعجب، ص143 - 144.

2- ينظر: الضبي، بغية، ص26؛ المراكشي، المعجب، ص115؛ ابن ابي دينار، المؤنس، ص107.

3- ينظر: ابن الابار، التكملة، 1/ 101.

4- ابن بشكوال، الصلة، 2/ 336؛ العكش، التربية، ص137.

5- ابن سعيد، رايات، ص44.

6- ينظر: ابن سعيد، رايات، ص50.

اقبل في ثوب الازورد قد افرغ النبر من عليه

كأنه البدر في سماء قد طرز البرق جانبيه (1)

ولبست البردة[2] من قبل فقراء الناس، فقد قال احد الشعراء على لسان فقير اخلقت بردته:

مولاي هذه بردتي اخلقت وليش شيء دونها املك

وصرت من بأس ومن فاقة ابكي اذا ابصرتها تضحك (3)

وارتدى اخرون الجبة[4]، فقد اورد لنا الضبي نصا جاء فيه "...وليس جبه من جباب اهل البادية" [5]، الامر الذي يؤكد بان جباب هؤلاء تختلف عن تلك التي يلبسها اهل المدينة، والاختلاف هنا على مانعتقد هو في نوعية القماش الذي تصنع منه فأهل البادية يعتمدون على ماينتجونه من وبر ابلهم وصوف ماشيتهم، لذا فقد اتصفت هذه الجباب بالخشونه، اما اهل المدينة ففيهم من يشتريها وقد صنعت من قماش اكثر نعومة، كما وان الاختلاف قد يكون في طبيعة صنعها من حيث الشكل وحتى اللون.

1- ابن سعيد، رايات، ص70 – 71.

2- البردة: ((كساء يلتف به، وقيل: اذا جعل الصوف شقة وله هدب فهو بردة)). ابن منظور، لسان، مادة (برد)؛ وينظر: دوزي، المعجم، ص55؛ العبيدى، الملابس، ص232.

3- المقري، نفح، 4/ 186.

4- الجبة: لباس خارجي من القماش الطويل مفتوح من الامام، وواسع الاكمام قد يكون مكفوفه الحواشي أو محشوه مبطنه، ينظر: ابن منظور، لسان، مادة (جبة)؛ صالحية، من وثائق، ص23؛ دوزي، المعجم، ص94 و97؛ العبيدى، الملابس، ص241.

5- بغية، ص190.

على ان التبان[1] والسروال[2] كانا في لباس بعض اهل المهن مثل الحكاكين العاملين في الحمامات العامة وايضا الحجامين[3]، اما العازفون على الالات الموسيقية الذين يحضرون بعض الاعراس التي تقام في الشارع، فقد وصف الضبي لباسهم بقوله: "فلعهدى بعرس في بعض الشوارع بقرطبة والنكوري الزامر قاعد وسط الحفل وفي رأسه قلنسوة وشيء وعليه ثوب خز عبيدى وفرسه بالحليه المحلاة وغلامه يمسكه" [4]، من هذا يتضح لنا دون اى شك بأن هذا النوع من العزافين ومايرتدونه ليسوا مثل اولئك الذين يحضرون مجالس الامراء والوزراء لاقامة حفلاتهم الخاصة، لان على العازفين والوضع هذا ان يرتدوا ملابسا تليق وحال ذلك المجلس ومقامه.

ولابد من الاشارة الى ان الوضع الاقتصادي للفرد، أو ماتتعرض له البلاد من ازمات اقتصادية لسبب أو لاخر، كان له الاثر في تردى لباس العامه بالدرجة الاولى لأنهم الاكثر تأثرا من الشريحة الغنية، فقد لبس أهل مدينتي بلنسيه وشاطبة، من العامة، الجلود، والصران، لسوء سياسة مظفر ومبارك العامريين[5]، هذا ولبس بعض من الزهاد نوعا من الغلاله التي صنعت من الكتان[6] او من الصوف[7] كلباس داخلي.

1- التبان: سروال صغير بمقدار الشبر يستر العورة. ابن منظور، لسان، مادة(تبن)؛ العبيدى، ملابس، ص189.
2- السروال: كلمة فارسيه معربة ويكون طويل بحيث يستطيع لابسه ان يطويه كيفما يريد، ينظر: ابن سيده، المخصص، م1 سفر4/ 83؛ ابن منظور، لسان، مادة (سرل)؛ دوزي، المعجم، ص169 - 170؛ العبيدى، الملابس، ص196.
3- ينظر: ابن عبدون، رسالة، ص48.
4- بغية، ص190.
5- ينظر: ابن عذارى، البيان، 3/ 162.
6- ينظر: الطرطوشي، سراج، ص156.
7- ينظر: ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، ص61.

د ـ لباس اهل الذمة

من لباس اليهود الغفاره ذات اللون الاصفر، فقد دارت مساجلات بين الشاعرة نزهون بنت القليعي والشاعر ابن قزمان الذي كان حينها يرتدي هذا النوع من اللباس، وخلال المساجلات تلك اثيرت الشاعرة نزهون التي قالت لابن قزمان: يا استاذ اصبحت كبقرة بني اسرائيل ولكن لاتسر الناظرين[1]، الامر الذي يدلل على ماذهبنا اليه.

كما ان النصارى كانوا قد وضعوا على ملابسهم حزاما يسمى بالزنار[2] من قبل المرأة والرجل[3]، حيث يشد في وسط الجسم[4]، وقد شاهد الشاعر ابن شهيد قسا متوشحا به عندما بات ذات ليله في احدى كنائس قرطبه[5].

هـ ـ لباس المرأة

ارتدت المرأة الاندلسية التي تنتمي الى عائلة حاكمه أو ميسوره نوعا من الثياب المطرزة، كولادة بنت الخليفة المستكفي التي كتبت بالذهب على عاتق ثوبها الايمن:

انا والله اصلح للمعالي وامشي مشيتي واتيه تيها

وعلى الايسر:

وامكن عاشقي من صحن خدي

واعطي قبلتي من يشتهيها[6]

1- ينظر: المراكشي، الذيل والتكمله، سفر8 ق2/ 493؛ ابن الخطيب، الاحاطة، 2/ 504؛ المقري، نفح، 4/ 296؛ عباس، تاريخ، ص267.

2- الزنار، حزام يصنع من الحرير أو القطن ويكون بعرض الاصبع. ينظر: الونشرشي، المعيار، 2/ 257.

3- دوزي، المعجم، ص162.

4- ينظر: ابن حمديس، ديوان، ص94.

5- ينظر: المقري، نفح، 1/ 525؛ الركابي، جودت، في الادب الاندلسي، ط3، دار المعارف بمصر، (مصر: 1960م)، ص50.

6- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 429 – 430؛ ابن دحيه، المطرب، ص8؛ ابن نباته، شرح، ص7؛ الصفدى، تمام، ص11.

اما الوان الثياب فكان هنالك البنفسجي[1] والاحمر والاصفر[2] وغيرها، ولبسن نساء الاندلس البرنس ذات اللون الاسود، ذلك ما كن عليه خلال مسيرهن مع جيش الخليفة عبد المؤمن بن علي عام (546هـ/ 1151م)[3].

وتميز لباس النساء الاندلسيات بانه كان فضفاضا بحيث يمكن الواحدة منهن ان ترتدي تحت الازار[4] ولهذا قال ابن بسام "...والإزار لهن اخلق وبهن أليق"[5] ولبست المرأة ايضا نوعا من القمصان يعرف بالدرع[6]، اذ جاء في قصيدة للمعتمد بن عباد يشير الى ذلك بقوله:

ان نشرت تلك الدروع حنادسا

ملأت لنا هذى الكؤوس ضياء[7]

وقد كان الابيض احد الوانه[8] وكذلك المعصفر[9].

وارتدت العروس ليلة زفافها الحبرة[10]، حيث قال الاديب ابو عبد الله الخياط (ت430هـ/ 1038م)[11] "ولقد زففتها اليك بنت ليلتها عذراء، وجلوتها عليك كريمة فكرها حسناء، تتلفع بحيرة" [12]، وهنالك من جمعت

1- ينظر: الكتاني، التشبيهات، ص142.

2- ينظر: ابن حزم، طوق، ص12؛ ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 532؛ ابن الابار، المقتضب، ص106؛ السلفي، تراجم، ص46 و115؛ المقري، نفح، 2/ 107.

3- ابن الاثير، الكامل، 9/ 30؛ ابن ابي زرع، الانيس، ص405.

4- دوزي، المعجم، ص34.

5- الذخيرة، ق3 م1/ 378.

6- الدرع ((لبوس حديد... ودرع المرأة قميصها)). ابن منظور، لسان، مادة (درع).

7- ابن خاقان، قلائد، 1/ 56.

8- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 1/ 57.

9- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 1/ 202.

10- الحبرة: ضرب من برود اليمن. ابن سيدة، المخصص، م1، سفر4/ 73.

11- الضبي، بغية، ص67 - 68.

12- ابن سعيد، المغرب، 1/ 122.

فـي لبسـها بيـن الوشـي والخـز والحيـرة[1]، ويلاحـظ ان العـروس كانـت تضـع علـى رأسـها التـاج[2] الـذي كان قـد رصـع بالجواهـر واللالـىء[3]، ولعـل ذلـك اقتصر على اللواتي ينتمين الى الشريحة الغنية.

اما الراقصات فقد كن يرتدين الملابس الطويلة ذات الطيات الكثيرة والالوان المختلفة، وقد تعطرن بأعبق عطر، كل ذلك صوره الشاعر بقوله:

ومـن راقـصـات سـاحـبـات ذيولها

شـواد بمسك فـي الـعـبـير تضمخ

كـمـا جـررت اذيـالـهـا فـي هديلها

صمائم ايـك أو طـواويـس تبذخ[4]

كما ويلاحظ ان القيان من الجواري قد لبسن الموشى[5].

على ان المرأة الاندلسية المسلمة كانت تلبس الحجاب عندما تروم الخروج من منزلها، كذهابها الى الاعراس[6]، ان كانت حرة أو جارية[7]، ويلاحظ التشديد في هذا الامر في دعوة ابن عبدون الى عدم خروج نساء دور الخراج وهن كاشفات الرؤوس خارج الفنادق[8]، ويبدو ان لبس اللثام قد شاع في الاندلس[9] ومن الدلائل التي تشير الى تحجب المرأة الاندلسية المسلمة ماقاله ابن قزمان:

1- ينظر: ابن خاقان، قلائد، 2/ 231.
2- ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 319.
3- ينظر: المقري، نفح، 3/ 399.
4- ابن حمديس، ديوان، ص112؛ علي، المرأة، ص139.
5- الحميدي، جذوة، ص370.
6- ينظر: الونشريسي، المعيار، 11/ 193.
7- ينظر: ابن الابار، المقتضب، ص47.
8- رسالة، ص50 - 51.
9- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 315.

أشعرت في عبراتي نجلا
اذ تجلت فتغطت بنقاب
كذكاء الوجن مهما هطلت
عبرة المزن توارت بالحجاب[1]

ومما تحجبت به المرأة الاندلسية البرقع[2]، ذلك ما اشار اليه ابن حمديس بقوله:

ربة البرقع التي تحمي
وردة الخد عقرب ذات لسب[3]

واخر قال:

تبرقعن من خوف العيون وانما
طلعن شموسا تحت غر السحائب[4]

وأخيرا نود ان نقول بان المرأة الغنية كانت تضع على خصرها وشاحا مرصعا بالاحجار الكريمة ومصنوعا من الجلد[5]، على ان عدم لبس الوشاح كان يلفت نظر الرجال اذ يثير التساؤل، وفي هذا يقول ابن قزمان:

اسائلها اين الوشاح وقد غدت
معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار نقلته
الى معصمي لما تقلقل في خضرى[6]

1- ديوان، ص87.
2- البرقع: غطاء خفيف مشدود بشريط فوق الأنف وقد لبسته نساء العوام. ينظر: ابن سيده المخصص، م1 سفر4/ 38؛ صالحية، (من وثائق)، ص25؛ دوزي، المعجم، ص60؛ العبيدى، الملابس، ص159.
3- ديوان، ص68.
4- ابن رحيه، المطرب، ص50.
5- ابن منظور، لسان، مادة (وشح)؛ دوزي، المعجم، ص346.
6- ديوان، ص55، 160.

على ان ذكر الوشاح جاء في اشعار كثيرة[1]

ومجمل القول فان المجتمع الاندلسي كان على جانب من الاناقة في لباسه، وفي هذا قال ابن الخطيب "...فتصبرهم في المساجد ايام الجمع، كأنهم الازهار المفتحة في البطائح الكريمة..." [2] ووصفهم الشاعر كأنهم الربيع حيث الالوان الجميلة بقوله:

انـظـر نسيم الـزهـر رق فوجهـــه
لـــك عـــن اســرتـــه الــســريــة يسفر

خضل بريعان الربيع وقـد غـــدا
للعين وهـــو مـــن الـــنـضــارة منظر

وكأنما تلك الرياض لبسن موشى الحلى
فلهن فـــي وشـــى الــلــبــاس تبختر[3]

و- لباس الحداد

تميز الاندلسيون عن اهل المشرق العربي في لون حدادهم، فقد عرف عن بني العباس انهم كانوا يرتدون السواد في احزانهم[4]. اما الاندلسيون فكان لون حدادهم هو الابيض وفي هذا يقول الشاعر:

الا يـــا اهـــل انـــدلــس فطنتم بلطفكم الـــى امـــر عجيب

1- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3 م1/ 378؛ الزبيدى، لحن، ص204؛ التجيبي المرسي، زاد، ص32؛ ابن خلكان، وفيات، 3/ 231.

2- الاحاطة، 1/ 140 – 141.

3- الحميدي، جذوة، ص394.

4- ينظر: ابن الجوزى، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن احمد بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، مطبعة المعارف العثمانية، ج8، (حيدر اباد: 1940م)، ص92 و295.

لبستم في مأتمكم بياضا فجئتم منه في زى غريب

صدقتم فالبياض لباس حزن ولاحزن اشد من المشيب[1]

وهنا نحن نتسأل مع الشاعر الذي قال:

قد كنت لا ادرى لاية علة

صار البياض لباس كل مصاب

ويجيب شاعر اخر على تساؤله، ونحن معه في هذا الرأي:

حتى كساني الدهر سحق ملاءة

بيضاء من شيبي لفقد شبابي

فلذا تبين لي اصابه من رأى

لبس البياض على نوى الاحبابي[2]

وقال شاعر اخر مايدل على ان البياض لون الحداد، الذي جاء فيه:

قالت وقد نظرت فروعها شيب على قودى منتشر

ما شأن تلك بيض قلت لها مات الشباب فبيض الشعر[3]

ومما تقدم يتضح بأن الشعر الاندلسي قد صور لنا هذه الحقيقة خير تصوير[4]

ولنا ان نتساءل اذا كان الاندلسيون قد ادركوا بعضا من امور الحياة وخصوصا مسألة تعقب الشيب بعد الشباب، فلابد وانهم ادركوا ايضا بان امواتهم، واموات المسلمين عموما يكفنون بالبياض، فلم لايكون لون الحداد هو البياض؟

1- المقري، نفح، 3/ 440 - 441؛ عماد الدين، فريد، ق4 ج2/ 51.

2- عماد الدين، خريدة، ق4 ج2/ 60.

3- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م2/ 913.

4- وللمزيد من الامثله ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 269؛ الثعالبي، يتيمه، م1 ج2/ 15.

غير ان ذلك في الوقت نفسه لا يعني باى شكل من الاشكال، ان الاندلسيين لم يرتدوا لباسا ابيضا في غير اوقات الحزن، فلربما نشاهدهم بالبياض ذلك ما اشار اليه الاديب ابو الوليد النحلي[1].

ثانيا ـ لباس القدم

ان الكتابة في هذا الموضوع لم يعد من الامور الهينة، اذ لم يعطالمؤرخون والكتاب اهمية لهذه الامور كونها جزءا من الحياة العامة، حسب رأيهم، اضف الى ذلك الاسباب التي سبق وان ذكرتها، ولاجل ذلك فان البحث سوف يقتصر على الاتي: -

أ ـ النعل

وهو "ماوقيت به القدم من الارض والجمع نعال وانتعل لبس النعال" [2]، ولقد ذكره بقوله تعالى ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾[3]. اما الرسول الكريم محمد ﷺ فقد حث على لبسه فكان عليه الصلاة والسلام يقول لجماعة من الانصار وقد خرجوا معه "ان اهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون...فتخففوا وانتعلوا وخالفوا اهل الكتاب" [4]، اذن فلابد من ان هذا النوع كان شائعا بين الناي، الا ان

1- ينظر: هذا الفصل، هامش (1) ص205.
2- ابن سيده، المخصص، سفر13/ 111؛ ابن منظور، لسان، مادة (نعل)؛ الصفار، ابتسام مرهون وفهد، بدرى محمد، صور من الحضارة العربية (الاحذية والنعال)، مطبعة النعمان، (النجف الاشرف: 1973م)، ص7.
3- سورة طه، آية (12).
4- احمد بن حنبل، مسند، 5/ 264.

الشواهد التاريخية – وكما قلت – نادرة جدا، فقد ذكر ان عبد العزيز بن علي المقرى المالكي كان يلبس نعالا[1] شراكه اسود[2].

ب ـ الخف

قال ابن منظور "والخف في الارض اغلظ من النعل...والجمع... اخفاف وخفاف" [3]، ويلاحظ ان الذي يرتديه هم اولئك الذين يتمون الى الاسر الغنية، فقد قال ابن شهيد وقد حضر مجلسا مع هؤلاء، حيث تجمعت الخفاف عند حاشية فراش المجلس:

كـــأن اخــفــافــنــا عــلــيـــــه
مـــــراكـــــب مــالـــهـــا دلـــيـــل
ظـــلـــت فـــلـــم تـــداريـــــن تـــجـــرى
فـــهـــي عـــلـــى شـــطـــه تـــقـــيـــل[4]

ولربما صنعت بعض الاخفاف من الجلود، كالذي كان يرتديه محمد بن عبد الله البكرى، حيث كان مصنوعا من جلود ميورقه[5].

ويمكننا القول بأن الخف هو مالا يظهر شيء من القدم على العكس من النعل. أما غلاظته فلربما جاءت من ان الخف قد يبطن بشيء ما خلاف النعل.

1- الشيراك: هو سير النعل، ابن سيدة، المخصص، م4 سفر13/ 114؛ ابن منظور، لسان، مادة (شرك).
2- عياض، ترتيب، 4/ 761.
3- لسان، مادة (خفف)؛ ينظر: ابن سيده، المخصص، م1 سفر4/ 114؛ الصفار وفهد، صوره ص47.
4- ابن ظافر، بدائع، ص303 – 304.
5- عياض، ترتيب، 4/ 751؛ ابن بشكوال، الصلة، 2/ 527.

ثالثا ـ الزينة

أ ـ الحلي

كان لاحتواء الاندلس على عدد من المعادن والاحجار الكريمة التي تدخل في صناعة الحلي، عاملا مهما في تنوعها وانتاجها محليا الى جانب ماكان يستورد من خارج الاندلس. فمعدن الذهب يوجد في نهر لارده[1]، وسواحل اشبونه[2] وفي شتت ياقور[3] اما في مدينة غرناطه التي عرف احد انهارها بأسم نهر الذهب[4]، ولايستبعد ان تكون هذه التسمية قد جاءت من وجود الذهب فيه.

في حين وجدت الفضه في قرطبه[5]، وباقليم كريش[6]، وفي كورة تدمير وجبال جمة ببجاية[7] وظهر هذا المعدن بكميات كبيرة في مرسية[8]، ويعد الذهب والفضه من اهم المعادن التي تدخل في صناعة الحلي، كما نجد الى جانبها الاحجار الكريمة التي تدخل هي الاخرى في هذه الصناعة حيث تزيد الشيء جمالا وثمنا، فنرى الياقوت الاحمر يتواجد بناحيه حصن منت ميورقه في اعمال مالقة[9]، اما اللؤلؤ فنجده في

1- البكرى، المسالك، ص129.
2- ابن عيسى، كتاب البلدان، ص38؛ المقري، نفح، 1/ 143.
3- المقري، نفح، 1/ 200.
4- ابن سعيد، الجغرافيا، ص167.
5- مجهول، وصف، ص164.
6- البكرى، (جغرافيه الاندلس من كتاب المسالك)، ص129.
7- المقري، نفح، 2/ 222.
8- الحميري، الروض، ص539.
9- البكرى، المسالك، ص128.

سواحل مدينة برشلونه[1]، وفي غرناطه حيث تكثر فيها الاحجار النفيسة من ياقوت وزبرجد وزمرد وغيرها من الجواهر[2].

على ان بحثنا في هذا المجال، وبسبب قلة الشواهد التاريخية، كان معتمدا على ماجاء في كتب الادب من اسماء الحلي، كما ان البحث، ولنفس السبب، سيتركز على ماتحلت به المرأة الاندلسية، لكن ذلك لايعني ان الرجال لم يتزينوا ببعض الحلي.

أ ـ حلي المرأة

نظرت المرأة الاندلسية الى الحلي باهتمام شديد، لذا كرهت ان تبدو من دون حليه تتزين[3] بها، لدرجة ان بعضهن قد بالغن في ارتداء انواع من الحلي، هذه المبالغة التي اوضحها ابن حزم بقوله:

ولـم ترضى بالجوزاء عقدا ودملجا

ولا قنعت بالنجم شنفا ولاقرطا[4]

وفي الوقت نفسه فان جمع الحلي يعد من اوجه الادخار الذي يعين المرء في وقت الازمات، ذلك مالمسناه من قبل بعضهن في فترة دول الطوائف[5].

فقد حلت المرأة اذنيها بالاقراط التي صنعت من اللؤلؤ ورصعت بالمرجان[6]، وموضعها في شحمة الاذن[7]، كما تحلي المرأة اذنيها بالشنوف[8] الذي

1- البكرى، المسالك، ص129؛ المقري، نفح، 1/ 138.
2- ابن الخطيب، الاحاطة، 1/ 139.
3- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 175.
4- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م1/ 187.
5- ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص88؛ ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 187.
6- ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 111.
7- ابن منظور، لسان، مادتي (قرط وشنف).
8- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 149 - 150.

يوضع في اعلاها[1]، فتكون المرأة عندئذ اكثر جمالا، ولذا تمنى الشاعر ان تلبسه محبوبته[2].

أما عنق المرأة فقد حلي بالعقد، وفيه يقول ابن بسام "وفي عنق الحسناء يستحسن العقد"[3]، من هذا يلاحظ ان النساء كن يفضلن على غيره، وذلك لان العقد وهو القلادة[4] يصاغ من قطع عده[5]، ويبدو انه لجماله عندهن شبه بالشمس وعرف اسمها[6]، كما طوقت المرأة الاندلسية عنقها بالمخانق[7]، ويلاحظ ان المخنق على ما ارى يتكون من قطعة واحدة ومن اسميه نظن انه يختلف عن العقد، فالاخير يتدلى على الصدر بعض الشيء على الصدر في حين يكون المخنق مطوقا تماما للرقبة، كما جملت بعض الاندلسيات انوفهن بالخال[8].

ووضعت المرأة في ساقها الخلخال والذي عرف بالبرى[9]، والبرى في اللغة هي الحلقة[10] اما الحجل فكان يصاغ على شكل هلال وفيه قال يحيى بن هذيل واصفا اياه:

يحكى عن الحاجب المفرون شقرته

فانظر فما اخطأ ولا كادا

1- ابن منظور، لسان، مادتي (شنف وقرط).
2- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 175.
3- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م1/ 396.
4- ابن منظور، لسان، مادة (عقد).
5- ينظر: ابن حزم، طوق، ص77؛ ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 180.
6- ينظر: ابن حمديس، ديوان، ص282؛ ابن منظور، لسان مادة (شمس).
7- ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 180.
8- ينظر: ابن سعيد، رايات، ص119 – 120؛ المغرب، 2/ 338.
9- ينظر: ابن زيدون، ديوان، ص6؛ ابن بسام، الذخيرة، ق2 م1/ 150؛ ابن سعيد، المغرب،12/ 290.
10- ابن منظور، لسان، مادة (برى).

لـو التقى لحكى حجلا ولـو قطعـوا

مـن دارة الحجل مـا اربــى وزادا[1]

اذا فالفرق بين الخلخال والحجل يكون في الشكل فالاول حينما تضعه المرأة في ساقها بشكل حلقة متواصلة، اما الحجل فيه فتحه بمعنى انه حلقه منقطعة ومفتوحه بعض الشيء بحيث تبدو عند لبسها وكأنها الهلال.

واخيرا فقد تختم كل من المرأة والرجل يوضع الخاتم في اطراف اليد[2]، وقد يصنع من الذهب ويحلى بفص من الياقوت[3] بالوان منها السماوى حيث يتفنن الصائغ بصياغته[4] كأن يكون على شكل نجمه او هلال[5]، كما صنع من الفضة وباشكال مختلفة ايضا[6].

علـى ان خواتـم كهـذه كان يتزيـن بهـا مـن ينتمـون الـى الشـريحة الاولـى من المجتمـع الاندلسـي، حيـث الوضـع الاقتصـادي الجيـد والقـدرة علـى الشـراء، فقـد ذكـر ان الشـاعر والوزيـر ابـن عمـار لمـا دخـل مدينـة مرسـية، جلـس فـي اليـوم الثانـي مـن دخولـه لاسـتقبال الخـواص والعـوام لتقديـم التهانـي[7] لـه، كان قد "... تختم في كلتا يديه" [8].

ولانستبعد ان افرادا من فئات وشرائح اخرى قد لبست الخاتم الفضه أو الخاتم المصنوع من معادن اخرى رخيصة الثمن ووضع الفرد الاقتصادي.

1- الكتاني، التشبيهات، ص20.
2- ينظر: ابن حمديس، ديوان، ص236.
3- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 826.
4- ينظر: ابن خفاجه، ديوان، ص149؛ ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 627.
5- ينظر: ابن خفاجه، ديوان، ص148.
6- ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3 م2/ 879.
7- ابن الابار، الحلة، 2/ 140.
8- ابن الابار، الحلة، 2/ 141.

ب ـ الخضاب

والخضاب هو كل "مايخضب به من حناء وكتم[1] ونحوه" [2]، فقد لجأ بعض الرجال والنساء الى تخضيب شعورهم عندما يظهر فيه الشيب، ولكن ما يلفت النظر ان الرجال هم الاكثر استعمالا للخضاب ويكمن السبب بالدرجة الاولى الى اتباع السنة النبوية، المطهرة، فقد كان الرسول الكريم محمد ﷺ يخضب بالحناء والكتم[3]، كما وخضب السلف الطاهر من الصحابة (رضى الله عنه)، فعن أنس بن مالك ﷺ انه قال "...وخضب ابو بكر بالحناء والكتم وخضب عمر بالحناء" [4] وذلك سيرا على خطى الرسول الكريم محمد ﷺ الذي دعاهم الى مخالفة اهل الذمة بقوله الشريف "ان اليهود والنصارى لايصبغون فخالفوهم" [5].

وعلى اثر ذلك فقد رد ابن سيده كل من اعابه في استخدامه للخضاب بانه قال: ان "رسول الله ﷺ روي عنه الخضاب، واما صحابته الاكرمون، وعترته الطيبون فكلهم خضب شيبته" [6].

ولعلنا نصيب عندما نقول بان السبب الاخر يكمن في موقف المرأة السلبي عموما من الرجل الاشيب حيث تقل رغبتها فيه، مستندين في ذلك الى قول ابي اسحق الالبيرى الذي جاء فيه:

والــدهــر ادال شــرخ شـبـابـي
بمشيبي عـنـد الـحـسـان مـذمـم[7]

1- الكتم: ((...نبات يخلط مع الوسمه للخضاب الاسود...فيه حمره))، ابن منظور، لسان، مادة (كتم).
2- ابن منظور، لسان، مادة (خضب).
3- ينظر: النيسابورى، صحيح مسلم، 4/ 163.
4- احمد بن حنبل، مسند، 3/ 100.
5- النيسابورى، صحيح مسلم، 4/ 813.
6- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م1/ 389.
7- ديوان، ص94.

وايضا قول الاعمى التطيلي:

بكت هند من صبحك المشيب بمفرقي

امــا علمت ان الـشـبـاب خضاب[1]

على ان تخضيب بعض الرجال لشيبتهم معناه في الوقت نفسه اضفاء روح الشباب على تصرفاتهم وبالتالي فانهم سوف لايلامون على تلك التصرفات التي لاتتناسب وعمرهم الحقيقي[2]، لدرجة ان بعضهم كان يكثر من استعمال الخضاب حتى لقب به، كأحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الهادى الهوارى (ت542هـ/ 1147م)[3].

ومــن الدلائــل مــا اســلفنا مــن قــول، هــو اننــا نلاحــظ بــان الرجــال كانــوا اكثــر اســتعمالا لــه، ذلــك ماقالــه احــد الادبــاء وقــد حضــر مجلســا للمعتمــد بــن عباد، فجاء فيه:

خــضـــاب لــعــمــرك لا لــلــنــســاء

ولــكــن لــفــحــول الـــرجـــال[4]

اما الالوان المستخدمة لهذا الغرض فهو اللون الاسود الذي خضب به الشاعر ابن زيدون[5]، ويبدو ان هذا النوع هو مايعرف بالكتم، اما الحناء فقد شاع استعمالها عند اهل الاندلس الذين "... يتعهدون شعورهم بالتنظيف والحناء" [6]، الامر الذي يوضح لنا بان استخدام هذه المادة يكون بعد ان يغسل الشخص رأسه كي يكون اللون

1- ديوان، ص8.

2- ينظر: المراكشي، الذيل والتكملة، سفر1 ق1/ 300.

3- ابن الابار، المعجم، ص29.

4- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م1/ 252.

5- عياض، ترتيب، 4/ 723؛ الصفدى، تمام، ص21.

6- القلقشندى، صبح، 5/ 271.

اكثر جمالا وثبوتا لمدة زمنية اطول، ويبدو ان العجائز كن يكثرن من التخضيب بالحناء ويستدل على ذلك قول الشاعر:

ترى النسر على عود الحصا
وقد مزقت احشاءها والترائبا
مضرجة مما اكلن كأنها
عجائز بالحناء خضبن ذوائبها[1]

كما لجأت المرأة الاندلسية الى تخضيب يديها باللون الأحمر المتأتي في اغلب الاحيان من استخدام الحناء، وفي ذلك قول الشاعر:

خضبت يديها لون قاصما فما
نقص البياض ملاحة بل زادا[2]

اما الجنس الاخر، فقد اقتصر تخضيب الكف بالحناء على بعض الصبيان لقول ابن خفاجه في غلام خضب كفه:

ايجني على مهجتي طرفه
وتخضب من دمها كفه[3]

اما تخضيب الشفاه فلم نعثر على معلومات كافيه لمعرفة المواد المستخدمه والاوقات التي تخضب المرأة الاندلسيه شفاهها فيها، سوى معلومة واحده اوردها ابن بسام عند ابن شهيد الذي قال "...وقشور اصل الجوز لصبغ شفاه خراجيات[4] الخانات"[5]، وهذه المادة معروفة اليوم عندنا في العراق باسم (الديرم) الذي يستعمل من قبل النساء.

1- المقري، نفح، 3/ 416.
2- ابن بسام، الذخيرة، ق م1/ 269.
3- ديوان، ص99.
4- الخراجيات هو ((...كل مافاق جنسه ونظائره)) ابن منظور، لسان، مادة (خرج) والمراد بخراجيات الخانات هن النساء اللواتي يتصفن بالجمال والعاملات في الخانات. ينظر: الفصل الثاني، هامش (8)، ص74.
5- الذخيرة، ق1 م1/ 207.

ج- الكحل

قال ابن سيده الكحل ماوضع في العين ويشتفى به[1]، و"الكحل مايتكحل به"[2]، فقد ذكر عن الرسول الكريم محمد ﷺ، بأن "له مكحلة يكتحل بها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه" [3] وللكحل فوائد صحية تمثلت بقول رسولنا الاعظم محمد ﷺ الذي جاء فيه "عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر"[4].

وبسبب وجود هذه المادة محليا، كان لابد ان يكون وجودها هذا عاملا مهما في سعة استخدامه من قبل بعض افراد المجتمع الاندلسي، ومن المدن التي وجد فيها مدينتي بسطة[5] وطرطوشه[6] حيث الثمد[7]، فقد ذكر ان ابا محمد عبد الله بن سعيد بن رباح (ت436هـ/ 1044م)[8] "... كان يوالي الاكتحال بالاثمد" [9].

ومن النساء من اكتحلن بهذه المادة لقول الحصرى:

يامن تكحل طرفها بالسحر لا بالاثمد[10]

والغاية ايضا في استخدام الكحل اضفاء جمالية على العين، لقول ابن حمديس وهو يصف امرأة جملت عينيها به، جاء فيه:

1- ينظر: المخصص، م1 سفر4/ 57 - 58.

2- ابن منظور، لسان، مادة (كحل).

3- ابن العربي، عارضه، 7/ 259.

4- ابن العربي، عارضه، 7/ 260.

5- الدمشقي، نخبة، ص243.

6- الدمشقي، نخبة، ص245.

7- الثمد: ((حجر الكحل وقيل هو شيء يشبه الكحل وليس به)). ابن سيده، المخصص، م1 سفر4/ 58؛ ينظر: ابن منظور، لسان، مادة (ثمد).

8- عياض، ترتيب، 4/ 752؛ وجاء في الصلة على انه ابي محمد... بن لباح، ينظر: ابن بشكوال، الصلة، 1/ 263.

9- عياض، ترتيب، 4/ 753.

10- ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 259.

زادت على الكحل الجفون تكحلا

ويسم نصل السهم وهو مقتول[1]

يوضح لنا هذا البيت احدى طرق التجميل حيث تقوم المرأة بسحب طرف عينيها فيأخذ ذلك شكل السهم والغاية من هذا الاسلوب جعل العينين وكأنهما واسعتين.

كما عرفت مادة تسمى (بالصبهاني) تستخدم لهذا الغرض، الا انها على مايبدو من النوع غير الجيد، حيث تسيل على الوجه فتسوده، يقول الشاعر:

فيا لعوفي وكتبي وكحلي الاصبهاني

اذا تكحلت منه يوما فلست تراني[2]

على ان الاستخدام غير الصحيح من حيث نوعية المادة وكميتها والطريقة المتبعة قد تؤدى الى اصابة العينين بامراض، هذا ما أشار اليه الاعمى التطيلي بقوله:

ويا كحل اجفاني وان غلب الكرى

عليها، وقد تغذى الجفون من الكحل[3]

هذا وكانت المرأة الاندلسية حريصة على خلق انسجام في زينتها لعينيها مع لون شعرها بقول ابن حمديس:

وكأنما خاضت ذوائبها

من جفونها في صبغة الكحل[4]

الامر الذي يدفعنا الى القول، بان هنالك اكثر من لون يستخدم في تجميل العينين.

1- ديوان، ص282، ابن خلكان، وفيات، 3/ 214.

2- ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 555.

3- ديوان، ص123؛ علي، المرأة، ص199.

4- ديوان، ص372.

د ـ العطور

كان لاشتهار اماكن اندلسية عدد في انتاج انواع مختلفة من العطور، اثر في استخدامها من قبل الاندلسيين في اوقات ومناسبات مختلفة، اذ ان استخدامها من قبل كلا الجنسين يعد جانبا مكملا لزينة المرأة والرجل على حد سواء، فقد عرف في الاندلس العنبر الذي يتميز برائحته الطيبة الفواحه[1]، حيث اشار الشاعر ابو الاصبغ بن الرقم الى قوة هذا العطر وسرعة انبعاثه بقوله:

تـــأرج الـحـي اذا مـــرت بظعنهم

ليلى ونـــم عليه العنبر العبق[2]

اذن فهذا النوع من العطور كان على مايبدو خاصا بالمرأة، على ان هذا النوع كان يوجد في شذونه[3] حيث ذكر بأنه لايشبه الا العنبر الهندى[4] ومن انواع العنبر مايعرف بالاشنان ويوجد هو الاخر في الاندلس[5].

وعرفت الاندلس ايضا انواع من البخور وعيدانه المتعددة المنشأ، فقد كان المرء يتعطر بدخان الند خلال حرقه[6]، اما عود الانجوج فيوجد في اقليم البشرة حيث جلب منه الى خيران الصقلبي صاحب المريه[7]. وفي طليطلة يوجد الزعفران[8] الذي يفوق من حيث "جودته على كل زعفران" [9] ويوجد هذا النوع في كل من

1- الصفدى، تمام، ص17؛ ابن نباته، سرح، ص3 – 4.
2- ابن بسام، الذخيرة، ق3 م1/ 378.
3- الحميري، الروض، ص339.
4- الغرناطي، فرحة، (نص جديد)، ص22.
5- المقري، نفح، 1/ 200.
6- ابن بسام، الذخيرة، ق4 م1/ 95 – 96.
7- المقري، نفح، محمد، 1/ 137 وهامشها رقم (3).
8- الحميري، الروض، ص394.
9- الغرناطي، فرحة، (نص جديد)، ص19.

بسطة[1] وبياسه[2]، ووادي الحجارة[3]. ومن العطور التي استخدمت في الاندلس المسك[4] والقرنفل[5]، و "...الخولان،...، والبان، والعود الرطب وماشابه ذلك"[6]، ومن الجواري الاندلسيات من تعطرن بماء الورد[7] الى جانب ذلك عرف الاندلسيون ضربا من الطيب يعرف بالخالخ[8].

اما المرتك فقد استخدمه الاندلسيون لطرد الريح من الاماكن التي يكثر فيها العرق[9] وقد يخلط المسك مع الند لتعطير الفم[10]. على ان بعض الاندلسيين كانوا يحبون التطيب كما اسلفت في مختلف الاوقات والاماكن، ففي الحلقة الدراسية للمحدث ابو علي الصوفي المعروف بابن سكره، كان احد تلامذته ويعرف بيوسف يحب ان يتعطر عند حضوره هذه الحلقة[11].

كما ولاحظنا ان المعتمد بن عباد كان يتطيب قبل بدء المعركة حيث يدهن رأسه ويتعطر[12]، وتعطرت المرأة الاندلسية في ليلة زفافها[13]، ومما لاشك فيه فقد تعطرت ايضا في مناسبات اخرى.

1- ابن الخطيب، مشاهدات، ص31.

2- الحميري، الروض، ص121.

3- الحميري، الروض، ص606.

4- ينظر: ابن شهيد، ديوان، ص95؛ ابن بسام، الذخيرة، ق1 م1/ 264.

5- المقري، نفح، 2/ 684.

6- ابن عبد الرؤوف، رسالة، ص86.

7- المقري، نفح، 3/ 127.

8- ابن خاقان، قلائد، 2/ 340 وهامشها رقم (6).

9- المقري، نفح، ص3/ 127.

10- ينظر: المقري، ازهار، 1/ 177.

11- ينظر: المقري، نفح، 2/ 12؛ العكش، التربية، ص140.

12- الناصري، الاستقصا، 2/ 41.

13- ينظر: الفصل الثالث، هامش (5)، ص95.

الخاتمـــــة

ابرز هذا البحث جملة من النتائج التي لم تكن غامضة أو غير معروفة، غير انها في الوقت ذاته قد توضحت وباتت اكثر مما كانت عليه، وهي كالاتي: -

1 - تتكون بنية المجتمع الاندلسي من مجموعات بشرية تتباين في اصولها واديانها، وقد بلغت الصراعات السياسية فيما بينها حدا كبيرا تجاوز كل الحدود الدينية والاخلاقية، وذلك قبيل عهد الطوائف وخلاله، وهم يرمون من وراء ذلك الى تحقيق هدفهم، الا وهو الانفصال عن الحكومة المركزية، وادى ذلك بدوره الى تعميق العصبية القلبية، وبالتالي الى وجود بؤرات سكانية لكل مجموعة، يستطيع المتطلع على تاريخ الاندلس لهذه الفترة، ان يلمس تلك الظاهرة الاجتماعية غير انه في نفس الوقت لايعني ذلك عدم وجود تداخل بين المجموعات البشرية تلك، من عرب وقبائل مغربية وصقالبة ونصارى ويهود في السكن.

2 - كان لتولي امر الاندلس من قبل حكام المرابطين ومن بعدهم الموحدين، عاملا في ازدياد نسبة القبائل المغربية الوافدة الى الاندلس، اضافة الى الدعوة التي وجهت من قبل اولئك الذين سبق وان استوطنوا في الاندلس كذويهم، اذ وجدو طيب العيش فيها.

3 - ومما تجدر الاشارة اليه ان العرب مع كل ذلك ظلوا محافظين على شخصيتهم فاللغة العربية قد بقيت السيدة امام اللغات الاخرى، وذلك بفضل القران الكريم، ولهذا كان الابداع في شتى المجالات قد دون باللغة العربية، اضافة الى ذلك

فاننا نلمس تاثيرها على اللغة الاسبانية، اذ ان نسبة لابأس بها من اللغة الاسبانية ذات كلمات ومصطلحات عربية[1].

كما يلاحظ ان اعداد العرب هي الاخرى قد اخذت بالازدياد، وذلك بعد دخول اعداد كبيرة من القبائل الهلالية الى الاندلس بدافع الجهاد، حينما دعاهم اخوانهم الموحدين الى ذلك.

4 – تمتع اهل الذمة في ظل الحكم العربي الاسلامي بسياسة التسامح الديني، فنراهم يقيمون طقوسهم الدينية المعتادة ويحتفلون بمناسباتهم واعيادهم حتى ان بعض المسلمين كانوا يشاركونهم تلك الاعياد والاحتفالات، دون ان يتدخل رجال الحكم في اى من شؤون اهل الذمة، الا في حالات نادرة، كأن يكون الامر متعلقا بالمصلحة العامة والحفاظ على الامن والاستقرار في البلد.

فمن اوجه التسامح الديني، تولي بعض اهل الذمة مناصب مهمة في الدولة مثل الوزارة والكتابة اضافة الى مناصب اخرى، على نقيض مالاقاه العرب المسلمون الذين بقوا تحت ظل الحكم النصراني حينما استولى الاسبان على المدن الاندلسية، حيث اضطهدوا وطردوا[2].

5 – ان هذه السياسة العامة التي سار عليها العرب المسلمون في كل ارجاء المعموره التي حكموها، ومنها الاندلس، قد اثرت بشكل واضح للعيان ازدياد اعداد من اهل الذمة الذين اخذوا بلغة العرب وبعض عاداتهم نهلوا من معارف وعلوم العرب، فكان لهم على اثر ذلك دور مهم في نقل الحضارة العربية الاسلامية الى البلدان التي تمكنوا من الوصول اليها.

1- ينظر: ارتولد، تراث، ص37 و40 – 60.

2- ارتولد، تراث، ص38.

6 - غير ان الافراط، على مايبدو، في هذه السياسة التسامحية الى جانب ضعف السلطة المركزية وبالذات خلال عهد الطوائف، كانا عاملين مهمين في ايجاد الظروف الملائمه والتربة الخصبة لبروز الحركة الشعوبية بكل قوة وصلابة، والتي تصدى لها رجال الفكر والسياسة بنفس القوة والصلابة، فكشفوا اساليبها ودحضوا اهدافها بالحجج والبراهين العلمية الدامغة، وبذلك تمكنوا من ايقافها عند حدها.

7 - اوضح هذا البحث، بان المقاييس التي بموجبها يقسم المجتمع البشرى الى شرائح اجتماعية، متداخلة بعضها مع البعض الاخر، من الصعب جدا ان تتخذ مقياسا واحدا لهذا الغرض. وعلى اثر ذلك قسمنا المجتمع الاندلسي الى ثلاث شرائح لكل واحدة منها دلائلها التي تميزها عن الاخرى.

فأفراد شريحة رجال الحكم والاغنياء نجدهم قد شيدوا القصور الفخمة ذات النقوش والزخارف الفريدة الى جانب ما احتوته من فرش ونصب وتحف ثمينة. كما ان معظمهم قد اتخذ الخدم من غلمان وجوارى، وحرص اخرون على جمع الاموال واخارها، اما البعض الاخر، وهم الكثرة، فقد اتصفوا بالبذخ والاسرف، ولذا عمد بعض افراد هذه الشريحة الى اتباع اساليب غير مشروعة في جمع الاموال مثل المصادرات واخذ الرشوة...الخ، مما حال دون وجود تفاهم وانسجام بين قمة الهرم الاجتماعي وقاعدته.

ولكن وعلى الرغم مما افرزته حياة الترف تلك، فقد كان لها جانب ايجابي، اذ انتجت من الجهة الثانية مظاهر حضارية نذكر منها:

أ - بناء القصور الفخمة اضفى على الاندلس فنا معماريا تميزت به عن الفنون المعمارية الاخرى في العالم الاسلامي.

ب - ان ولعهم بالغناء وشغفهم به الى جانب ماكانوا يبذلونه من اموال على ذلك، كانا عاملين في رقي وتطور الموسيقى والغناء، اذ صار افراد هذه الشريحة محط

انظار الشعراء والملحنين والمغنيين الذين اخذوا يتوافدون على تلك القصور، فازدهر هذا الجانب.

ج – تطورت الصناعات النسيجية وتنوعت الاقمشة التي منها ماصنع خصيصا لهم. كما انتعشت صناعة الحلي، مما كان له الاثر الفعال على رواج وانتشار التجارة الداخلية والخارجية.

اما شريحة الفقهاء فقد تمتعت بمنزلة محترمة من لدن الخواص والعوام، الا اننا لمسنا ضعف دور معظمهم في الحياة العامة، وبالذات خلال عهد الطوائف باستثناء افراد قلائل دفعهم واجبهم الديني وحبهم للبلد الى دعوتهم لتوحيد الجهود والوقوف امام الزحف القشتالي، وذلك عن طريق وعظ اولي الامر او التنقل بينهم لجمع الكلمة، كما سلكوا طرقا اخرى لتحقيق هدفهم هذا.

اما الذين حالفوا السلطان من الفقهاء وتجمعوا حولهم فقد استغل الحكام وجودهم من اجل تحقيق اهداف دنيوية من خلال اضفاء الطابع الشرعي عليها، بحصولهم على فتوى من مثل هؤلاء الفقهاء والاستعانة بهم في تسيير مايمكن تسييره من امور وقرارات يصدرونها كي تنال قبولا من لدن الرعية (العامة) والتي تمثل الشريحة الثالثة للمجتمع الاندلسي التي تكن الاحترام للفقهاء دون تمييز، وقد تميزت هذه الشريحة بمستوى معاشي واطىء لذلك كانت اكثر تاثيرا بما يحل بالبلاد من ازمات اقتصادية أو سياسية.

8 – اوضحت الرسالة بان صلاح المجتمع يعود الى صلاح الاسرة التي تعد كجتمعا مصغرا، فكان النظام الابوي هو السائد، وان طرق التربية وطبيعة العلاقات الاجتماعية كلها قد استمدت من الدين الاسلامي الحنيف، والتي صارت محط اعجاب الاسر الاندلسية غير الاسلامية، اما عن طريق الاختلاط خلال الحياة اليومية او عن طريق الزواج من اسبانيا.

9 - هذا وعرف المجتمع الاندلسي عدة طرق للخطبة، غير ان التي سادت اكثر من غيرها، هي المخطوبة عن طريق الوساطة (الخاطبة)، اذ انها على مايبدو، كانت تحظى بقبول اكثر، لما تكتنفها من حشمة.

اما الصداق الذى يجب ان يقدمه الرجل والمستوى المعاشي الذى يوفره لبيت الزوجية فهو امر مرتبط بقدرة الزوج الاقتصادية، على ان المشرع الاندلسي قد وضع حدا ادنى للصداق لايجوز الانتقاص منه، ولكنه لم يتطرق الى الحد الاعلى، ويبدو انه ترك ذلك للمعنيين بالامر.

10 - كما ابرز البحث دور المرأة الاندلسية اذ وقفت الى جانب الرجل في الكثير من الامور الى جانب واجباتها الاسرية، فقد شاركته في بعض الاعمال لرفع مستوى الاسرة المعاشي، فان دل ذلك على شيء فانما يدل على حريتها ومكانتها التي حددها الدين الاسلامي في الاسرة والمجتمع.

كما عملت بعض النسوة في الدخول الى مضمار المعرفة، فنجدها قد عقدت المجالس الادبية واخذت تساجل الشعراء وتناظرهم، فكان ذلك دافعا في نشاط الحركة العلمية عموما والادبية خصوصا.

11 - كان المجتمع الاندلسي مثل سائر المجتمعات الاخرى في كب زمان يمارس جملة من العادات والتقاليد الموروثة والتي هذبها الاسلام وجعلها اكثر مسايرة لمبادئه العظيمة منها بناء القبور وزيارتها والبكاء على الميت، والجلوس في الطرقات...الخ، وعادات اخرى كان لها الاثر الفعال في توطيد العلاقات الاجتماعية كتبادل الزيارات والهدايا وتشييع الجنائز وحضور مأتم العزاء وغيرها.

12 - حرص اولو الامر على الاحتفال بعيدى الفطر والاضحى بحضورهم الى المسجد الجامع لاداء صلاة العيد وقد خرجوا بمواكب مهيبة اذ يستقبلونهم الرعية بكل مظاهر الفرح والسرور فيقدمون التهاني لهم كل حسب مرتبته، وبعد عودة اولي

الامر الى قصورهم حيث يجلسون، وقد هيأت مجالس خاصة وفخمة لهذا الغرض، اذ تدخل حاشيتهم عليهم لاداء السلام والتهاني بهذه المناسبة.

اما عامة الناس فيعمهم الفرح ويأخذون بوسائل اللهو ويتبادلون الزيارات فيما بينهم ويغضون الطرف عن خلافاتهم، ويتجلى ذلك بصورة خاصة بين الاقارب كما وجدنا ان الاندلسيين يعمهم الفرح في مناسبات اخرى كالانتهاء من تشييد بناء أو خروج المسلمين من معركة وهم منتصرون كما يحتفلون بمناسبة الزواج والاعذار (الختان) وبمواسم العصير وربما غيرها الكثير.

13 – سما فن الموسيقى والغناء وتطور بفعل عوامل عدة منها تنوع وتعدد الالات الموسيقية كما ان اهتمام العامة والخاصة في المجتمع الاندلسي بهذا الفن ساعد على نشوء مايمكن ان تطلق عليه المدارس الخاصة بهذا الفن الامر الذى ساعد على ولادة فن اندلسي جديد كان لطبيعة البيئة الاندلسية والحاجه المتأتية من تعدد عناصر المجتمع واختلاف لغاتهم ولهجاتهم عاملين في بروزه الا وهو فن الازجال ومن قبله كانت الموشحات. فكان الفرد الاندلسي اذا ما فرغ من عمله فانه يميل الى الغناء أو الاستماع اليه اذ ان المشرع الاندلسي اتخذ موقفا من هذه المسألة ومن مسائل اخرى مثل ممارسة بعض الالعاب كالشطرنج وسباق الخيل والنرد وغيرها، فنرى المشرع قد ادخل الموقف الاسلامي في تحديث الكثير من مفاصل الحياة الاجتماعية وذلك لاجل تنظيم تلك الحياة والحد من المشاكل الاجتماعية التي تنجم فيها.

14 – اوضح البحث انه بالامكان ان نجعل من الملابس مقياسا لتحديد الشريحة الاجتماعية اذ اننا نجد الميسورين ورجالات الدولة قد خصوا بالزى الغالي الثمن، ذى النوعية الجيدة التي تخاط بخيوط الذهب وتجمل بالتطريز عليها، في حين نجد ان لبس العمامة والطيلسان قد لازم شريحة الفقهاء مع وجود

قسم منهم مال الى التزهد فلبس الخشن، ومعنى ذلك بان هنالك زى يكاد يكون رسميا للشريحتين الاوليتين

اما العامة من الناس فقد لبست كل ماتتيحه ظروفهم المعاشية فليس هناك زى يميز لفئاتها بعضها عن البعض الاخر.

15 – ومما تجدر الاشارة اليه ان المأة الاندلسية حرة كانت ام جارية قد لبست الحجاب عند رغبتها بالخروج من منزلها الى اى مكان اخر وهذا دليل على التزامها بالشرع الاسلامي وبحدود الحرية التي منحها اياها.

16 – واخيرا ومما هو يلفت النظر فاننا لمسنا ان الرجل كان اكثر استعمالاً للخضاب من المرأة الاندلسية مستفيدا بذلك من السنة النبوية المطهرة التى اجازت ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

المخطوطات

التنوسي، احمد بن محمد

- احكام السماع في الغناء، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب، جامعة بغداد، رقم التصنيف (63).

ابن سهل، ابو الاصبغ عيسى بن سهل الاسدي الاندلسي (ت486هـ/ 1093م)

- الاحكام الكبرى، اوراق مصورة عن المرأة عن مخطوطة الاحكام الكبرى، مكتبة الاستاذ الدكتور خليل ابراهيم الكبيسي.

ابن ابي عذيبة

- كتاب انسان العيون في مشاهير سادس القرون، مخطوطة مصوره في مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب، جامعة بغداد، رقم التصنيف (248).

ابن عيسى، علي

- كتاب عجائب البلدان والجبال والاحجار وغير ذلك وفيه تاريخ مصر وذكر ملوكها، مخطوطه مصورة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب، جامعة بغداد، رقم التصنيف (14).

مجهول

- تراجم رجال الاندلس، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب، جامعة بغداد، رقم التصنيف (468).

المصادر

ابن الابار، ابو عبد الله محمد بن عبد القاضي الاندلسي (ت658هـ/ 1258م)

- اعتاب الكتاب، تح: صالح الاشتر، مطبع مجمع اللغة العربية، (دمشق: 1380هـ/ 1961م).
- التكملة لكتاب الصلة، نشر وتصحيح: عزت عطار الحسيني، مطبعة السعادة، (القاهرة: 1375هـ/ 1956م).
- الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: 1963م).
- المعجم في اصحاب القاضي، الامام ابي علي الصرفي، تح: ابراهيم الابياري، مطبعة روخس، (مجريط: 1885م).
- المقتضب من كتاب تحفة القادم: تح: ابراهيم الابياري، المطبعة الاميرية، (القاهرة: 1957م).

الابشهي، شهاب الدين محمد بن احمد (ت850هـ/ 1446م).

- المستظرف في كل فن مستظرف، (مصر: د - ت).

ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكريم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/ 1232م).

- الكامل في التأريخ، ادارة الطباعة المنيرية، (القاهرة: 1353هـ).

احمد بن حنبل، ابو عبد الله احمد بن محمد الشيباني (ت241هـ/ 855م).

- مسند احمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، دار الطباعة والنشر، (بيروت: د - ت).

ابن الازرق، ابو عبد الله (ت896هـ/ 1490م).

- بدائع السلك في طبائع العلك، تح: علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، (العراق: 1397هـ/ 1977م).

ابن ابي اصيبعه، موفق الدين ابي العباس احمد بن قاسم بن خليفة بن يونس السعدي، (ت677هـ/ 1278م).

- عيون الانباء في طبقات الاطباء، تح: نزار رضا، منشورات: دار مكتبة الحياة، (بيروت: 1965م).

الاعمى التطيلي، ابو جعفر احمد بن عبد الله بن ابي هريرة (ت525هـ/ 1130م)

- ديوان الاعمى التطيلي، تح: احسان عباس، مطبعة عيتاني الجديدة، (بيروت: 1963م).

الالبيري، ابو عبد الله محمد بن خلف (ت537هـ/ 1142م)

- ديوان ابي اسحق الالبيري، تح: اميلو غرسيا، (مدريد: 1944م).

بابا التنبكتي، ابو العباس سيدي احمد بن احمد بن احمد بن عمر بن محمد (ت1032هـ/ 1622م).

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط1، مطبعة السعادة، (القاهرة: 1329هـ).

ابن بسام، ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ/ 1147م)

- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تح: احسان عباس، ط1، دار الثقافة للطباعة والتوزيع، (بيروت: 1399هـ/ 1979م)

ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/ 1182م).

- الصلة، نشر: السيد عزت العطار الحسيني، (القاهرة: 1374هـ/ 1955م).

ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللوافي الطبخي (ت799هـ/ 1375م).

- تحفة النظار في غرائب وعجائب الاسفار، بقلم، فؤاد افرام البستاني، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت: 1927م).

البكري، ابو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد بن ايوب بن عمرو (ت487هـ/ 1094م)

- المسالك والممالك، قسم خاص بالاندلس واوربا، تح: عبد الرحمن علي الحجي، نشر تحت عنوان (جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك)، ط1، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: 1387هـ/ 1968م).

ابن بلقين، عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس (ت483هـ/ 1090م)

- التبيان، تح: أ.ليفي بروفنسال، نشر تحت عنوان (مذكرات الامير عبد الله)، دار المعارف بمصر، (باريس: 1955م).

البلوي، ابو الحجاج يوسف بن محمد (ت1207هـ/ 1792م)

- ألف باء، المطبعة الوهبية، (بولاق: 1287هـ/ 1870م)

البيذق، ابو بكر الصنهاجي (ت595هـ/ 1198م)

- اخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تح: أ.ليفي بروفنسال، الشركة النمساوية للطباعة، (انجي: 1928م).

التجيبي المرسي، ابو بحر بن صفوان بن ادريس (ت598هـ/ 1201م)

- زاد المسافر وغرة محيا الادب المسافر، اعداد وتعليق: عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، (بيروت: 1980م).

الترمذي، محمد بن عيسى بن سوه بن الطحال السلمي (ت279هـ/ 892م)

- سنن الترمذي، ط1، المطبعة المصرية للازهر، (مصر: 1350هـ/ 1931م).

ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت874هـ/ 1469م)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د – م: د – ت).

التيفاشي، احمد بن يوسف (651هـ/ 1253م)

- متعة الأسماع في علم السماع، نشر: محمد بن تاوية الطنجي، مجلة الابحاث اصدار الجامعة الامريكية، لسنة 21، (بيروت: 1968م).

الثعالبي النيسابوري، ابو منصور عبد الملك بن مهدي اسماعيل (ت429هـ/ 1037م)

- يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة الحجازي، (القاهرة: 1366هـ/ 1947م).

الجزار السرقسطي، ابو بكر بن محمد

- روضة المحاسن وعمدة المحاسن، تح: منجد مصطفي بهجت، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد: 1409هـ/ 1988م).

الجرسيفي، عمر بن عثمان بن عباس

- رسالة في الحسبة، (ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب)، تح: أ. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للاثار الشرقية، (القاهرة: 1955م).

ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن احمد بن علي (ت597هـ/ 1200م)

- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، مطبعة المعارف العثمانية، (حيدر اياد: 1940م)

ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر (ت852هـ/ 1448م)

- لسان الميزان، منشورات مؤسسة الاعلمي للطباعة، (بيروت: 139هـ/ 1971م)

ابن حزم، علي بن احمد بن سعيد (ت456هـ/ 1063م)

- الاخلاق والسير، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، (بيروت: 1961م).
- جمهرة انساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، (القاهرة: د – ت).
- الرد علي ابن النغريلة اليهودي ورسائل اخرى، تح: احسان عباس، مطبعة المدني، (مصر: 1380هـ/ 1960م).

- رسائل ابن حزم الاندلسي، تح: احسان رشيد عباس، مطبعة دار الهنا، (مصر: د – ت).
- طوق الحمامة في الالفة والالاف، تح: حسين كمال الصيرفي، تقديم: ابراهيم الابياري، مطبعة الاستقامة، (القاهرة: 1964م).
- شذرات من كتاب السياسة لابن حزم، بقلم: محمد ابراهيم الكتاني، نشر ضمن كتاب (بدائع السلك في طبائع الملك لابن الازرق)، دار الحرية للطباعة، (العراق: 1397هـ/ 1977م).
- فضائل الاندلس واهلها، (ضمن فضائل الاندلس واهلها) نشر وتقديم، صلاح الدين منجد، دار الكتاب الجديد، (بيروت: 1387هـ/ 1968م).
- المحلى، عنيت بنشره وتصحيحه: ادارة الطباعة المنيرية (مصر: 1341هـ).

الحلي، صفي الدين (ت750هـ/ 1349م).

- العاطل الحالي والمرخص الغالي، تح: حسين نصار، ط2، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد: 1990م).

ابن حمديس، عبد الجبار (ت527هـ/ 1132م).

- ديـوان ابن حمديس، تح: احسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، (بيروت: 1379هـ/ 1960م).

الحميدي، ابو عبد الله بن فتوح بن عبد الله (ت488هـ/ 1099م).

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس واسماء رواة الحديث واهل الفقه والاداب وذوي النباهه والشعر، تح: محمد بن تاويت الطنجي، مطبعة السعادة، (مصر: 1371هـ).

الحميري، ابو عبد الله بن عبد الله بن عبد المنعم (ت حوالي 710هـ/ 1310م)

- الـروض المعطار في اخبار الاقطار، تح: احسان عباس، ط1، شركة ناصر للثقافة (بيروت: 1975م).

ابن حوقل، ابو القاسم بن حوقل (ت367هـ/ 977م).

- صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت: د – ت).

ابن خاقان، ابو نصر بن خاقان بن محمد بن عبد الله القيسي (ت529هـ/ 1134م)

- قلائد العقيان ومحاسن الاعيان، تح: حسن يوسف خربوش، ط1، مكتبة المنار للطباعة والنشر والتوزيع، (الاردن: 1409هـ/ 1989م).

ابن الخطيب، لسان الدين ابو عبد الله محمد التلمساني (ت776هـ/ 1374م).

- الاحاطة في اخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط1، الشركة المصرية للطباعة والنشر، م1 (القاهرة: 1393هـ/ 1973م)، م2، (القاهرة: 1394هـ/ 1974م).
- اعمال الاعلام في من بويع قبل الختام من ملوك الاسلام، تح: أ.ليفي بروفنسال، نشر تحت عنوان (تاريخ اسبانيا الاسلامية)، ط2، دار المكشوف، (بيروت: 1956م).
- جيش التوشيح، تح: هلال ناجي زمحمد ماضور، مطبعة المنار، (تونس: 1967م).
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ط2، دار الافاق الجديدة، (بيروت: 1978م).
- (مجموعة رسائل)، تح: احمد مختار العبادي، نشرها تحت عنوان (مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في المغرب والاندلس)، مطبعة جامعة الاسكندرية (د – م: 1958م).

ابن خفاجة الاندلسي، ابو اسحتق ابراهيم (ت533هـ/ 1138م).

- ديوان ابن خفاجة، تح: سيد غازي، ط2، (الاسكندرية: 1386هـ/ 1969م).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1405م)

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، (بيروت: 1958م).
- المقدمة، مكتبة المثنى، (د – م: د – ت).

ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر (ت608هـ/ 1211م)

- وفيات الاعيان وانباء الزمان، تح: احسان عباس، مطبعة الغربية، ج2 (بيروت: 1969م)، ج3، (بيروت: 1970م) وج4و7، (بيروت: 1971م) وج5، (بيروت: د – ت)، وج1، تح: محمد محي الدين، ط1، مطبعة السعادة، (مصر: 1367هـ/ 1948م).

ابن خبير الاشبيلي، ابو بكر بن خبير بن عمر بن خليفه الاموي الاشبيلي (ت575هـ/ 1179م).

- فهرسة مارواه ابن خبير الاشبيلي عن شيوخه، تح: ابراهيم الابياري، ط1، دار الكتاب المصري واللبناني، (القاهرة وبيروت: 1410هـ/ 1989م).

ابو داود، سليمان بن الاشعت السجستاني (ت275هـ/ 985م)

- سنن ابي داود، مراجعة وضبط وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار احياء السنة النبوية (د – م: د – ت).

ابن دحيه، ابو الخطاب عمر بن حسن (ت633هـ/ 1235م)

- المطرب من اشعار اهل المغرب، تح: ابراهيم الابياري واخرون، مراجعة: طه حسين، المطبعة الاميرية، (القاهرة: 1954م).

ابن دراج القسطلي، احمد بن محمد العاصي بن احمد بن سليمان بن عيسى (ت421هـ/ 1030م)

- ديوان ابن دراج القسطلي، تح: محمود علي مكي، ط2، مطابع المكتب الاسلامي، (دمشق: 1961م).

ابن الدلائي، ابو العباس احمد بن عمر بن انس العذري (ت478هـ/ 1182م)

- قطعة من "ترصيع الاخبار وتنويع الاثار في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك"، تح: عبد العزيز الاهواني، نشر تحت عنوان (نصوص عن الاندلس، مطبعة الدراسات الاسلامية، (مدريد: 1965م).

الدمشقي، شمس الدين ابي عبد الله محمد ابن طالب الانصاري الصوفي (ت617هـ/ 1220م)

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية، (بطربورغ: 1281هـ/ 1965م).

ابن ابي دينار، ابو عبد الله محمد بن ابي الرعيتي القيرواني (ت1160هـ/ 1698م)

- المؤنس في اخبار افريقيا وتونس، تح: محمد شمام، ط3، مطبعة الرائد الرسمي، (تونس: 1387هـ/ 1967م).

الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين (ت748 هـ/ 1347م)

- تذكرة الحفاظ، ط1، دائرة المعارف العثمانية، ج3 و4، (حيدر اباد)، (1388هـ/ 1968م).
- سير اعلام النبلاء، (جزء خاص بترجمة ابن حزم)، نشر: سعيد الافغاني، مطبعة الترقي، (دمشق: 1360هـ/ 1941م).
- العبر في خبر من عبر، تح: فؤاد سيد، مطبعة حكومة الكويت، (الكويت: 1963م).

ابن رشد، ابو الوليد محمد بن احمد بن احمد بن رشد القرطبي المالكي (ت520هـ/ 1126م).

- فتاوى ابن رشد، تح: المختار بن طاهر التليلي، ط1، طباعة مؤسسة جواد، (بيروت: 1407هـ/ 1987م).
- نوازل ابن رشد، تح: احسان عباس، مجلة الابحاث الصادرة عن الجامعة الامريكية في بيروت، ج3 و4، السنة22، (بيروت: 1969م)

الرصافي البلنسي، ابو عبد الله محمد بن غالب (ت572هـ/ 1176م)
- ديوان الرصافي البلنسي، جمعه وقدم له/ احسان عباس، ط1، دار الثقافة، (بيروت: 1960م).

الرعيني، ابو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الاشبيلي (ت666هـ/ 1267م)
- برنامج شيوخ الرعيني، تح: ابراهيم شبوح، مطبعة مديرية احياء التراث القديم، (دمشق: 1381هـ/ 1962م).

ابن زبلة، ابو منصور الحسيني (ت440هـ/ 1048م).
- الكافي في الموسيقى، تح: زكريا يوسف دار القلم (القاهرة: 1964م).

الزبيدي، ابو بكر محمد بم الحسن (ت379هـ/ 989م)
- لحن العامة، تح: عبد العزيز مطر: نشر مكتبة الامل، (الكويت: 1968م)

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ/ 1790م).
- تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الله الغرباوي، مراجعة: ابراهيم السامرائي وعبد الستار احمد، اصدار، وزارة الارشاد الكويتية، (الكويت: 1967م).

ابن الزبير، ابو جعفر احمد (ت807هـ/ 1404م)
- صلة الصلة، تصحيح وتعليق: أ. ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، (الرباط: 1937م).
- صلة الصلة، (ملحق بكتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة)، تح: محمد بن شريفة، سفر8 ق2، (الرباط: 1984م).

الزجالي، ابو يحيى عبد الله بن احمد (ت694هـ/ 1294م).
- امثال العوام في الاندلس، دراسة: محمد بن شريفه، مطبعة محمد الخامس، ق1، (فاس: 1395هـ/ 1975م).

ابن ابي ذرع، ابو الحسن علي بن محمد الفارس (ت741هـ/ 1340م)
- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، (الرباط: 1973م).

ابن الزقاق البلنسي، علي بن ابراهيم بن عطيه (ت571هـ/ 1175م).
- ديوان ابن الزقاق البلنسي، تح: عفيفه محمود ديراني، مطبعة سيما، (بيروت: 1964م).

ابن زيدون، احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب (ت463هـ/ 1070م)
- ديوان ابن زيدون، شرح وضبط وتصنيف: كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفه، ط1، مطبعة مصطفى البابي، (مصر: 1351هـ/ 1932م).

ابن سعيد، علي بن موسى بن عبد الملك (ت685هـ/ 1286م)

- اختصار القدح المحلى في تاريخ المحلى، تح: ابراهيم الابياري، قراءة: حسين طه، الهيئة العامة لشؤوف المطابع الاميرية، (القاهرة: 1959م)
- تذييل ابن سعيد على جواب ابن حزم، (ضمن فضائل الاندلس واهلها)، نشر وتقديم صلاح الدين منجد، دار الكتاب الجديد، (بيروت: 1387هـ/ 1986م).
- كتاب الجغرافيا، تح: اسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، (بيروت: 1970م).
- رايات المبرزين وغايات المميزين، تح: النعمان عبد المتعال القاضي، مطبعة الاهرام التجارية،(القاهرة: 1393هـ/ 1973م).
- عنوان المرقصات والمطربات، تح: محداد عبد القادر، مطبعة كاربونيل (الجزائر: 1949م).
- المقتطف من ازهار الطرف، تح: سيد حنفي حسنين، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د – م: 1984م).

ابن سعيد، علي بن موسى واسرته

- المغرب في حلي المغرب، تح: شوقي ضيف، ط2، مطبعة دار المعارف بمصر، ج1 و2، (القاهرة: 1964م).

ابن سناء الملك، ابو القاسم هية الله (ت308هـ/ 1211م)

- دار الطراز في عمل الموشحات، تح: جودت الركابي، مطابع المطبعة الكاثوليكية، (بيروت: 1368هـ/ 1949م)

ابن سيدة، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت458هـ/ 1065م)

- المخصص، المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر، (بيروت: د – ت).

السقطي، ابو عبيد الله محمد بن ابي محمد

- رسالة في اداب الحسبة، (ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب)، تح: أ.ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للاثار الشرقية، (القاهرة: 1955م).

السلقي/ احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم (ت576هـ/ 1180م)

- اخبار وتراجم اندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلقي، اعداد وتقديم: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت: 1963م).

ابن سينا، ابو علي الحسين بن عبد الله (ت428هـ/ 1036م)

- رسالة في الموسيقى، تح: هنري جورج فارمر، ملحق بكتاب (تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي)، تعريب: جرجيس فتح الله المحامي، دار مكتبة الحياة، (بيروت: 1972م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/ 1505م)

- نزهة الجلساء في اشعار النساء، تح: صلاح الدين منجد، ط1، دار المكشوف، (بيروت: 1958م).

ابن سهل، ابو الاصبغ عيسى بن سهل الاسدي الاندلسي (ت486هـ/ 1093م)

- (وثيقة في اغتصاب ابن السقاقيم دولة ابن جهود لاموال بيت مال المسلمين في قرطبة)، مستخرجة من مخطوطة الاحكام الكبرى، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، مجلة أوراق، ع 5 – 6، (د – م: 1982 – 1983م).
- (تسع وثائق في شؤون الحسبة على المساجد في الاندلس)، مستخرجه من مخطوطة الاحكام الكبرى، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، حوليات كلية الاداب، جامعة الكويت، الحولية 5، الرسالة 22، (الكويت: 1404هـ/ 1984م).

الشقندي، اسماعيل بن احمد (ت685هـ/ 1286م)

- رسالة اسماعيل بن محمد الشقندي في فضائل الاندلس، (ضمن فضائل الاندلس واهلها)، نشر وتقديم: صلاح الدين منجد، دار الكتاب الجديد، (بيروت: 1387هـ/ 1968م).

الشرواني، احمد بن محمد بن علي بن ابراهيم الانصاري (كان حيا بعد 1282هـ/ 1865م)

- حديقة الافراح لازاحة الاتراح، مطابع الميمنية، (مصر: 1320هـ).

ابن شهيد، احمد بن عبد الملك (ت426هـ/ 1034م)

- ديوان ابن شهيد، جمعه: شارل بيلان، ط1، دار المكشوف، (بيروت/ 1963م).

ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن احمد بن ابراهيم (ت578هـ/ 1182م).

- تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين، تح: عبد الهادي التازي، دار الحرية للطباعة، (بغداد: 1399هـ/ 1979م).

ابن صاعد الاندلسي، ابو القاسم صاعد بن احمد (ت462هـ/ 1069م)

- طبقات الامم، نشر: الاب لويس شيخو اليوسعي، المطبعة الكاثوليكية للادباء اليسوعيين (بيروت: 1912م).

الصفاني، الحسن بن محمد بن الحسن (ت650هـ/ 1252م)
- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تح: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: عبد الحميد حسن، دار الكتب، (القاهرة: 1971م).

الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت764هـ/ 1362م)
- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة المدني (د – م: 1389هـ/ 1969م)
- توشيع التوشيح، تح: البير مطلق، دار الثقافة، (بيروت: 1966م).
- الهميان في نكت العصيان، المطبعة الجمالية، (مصر: 1911م).

ابن ابي الصلت، اميه بن عبد العزيز الداني (ت529هـ/ 1134م)
- ديوان الحكيم ابي الصلت، تح: محمد المرزوقي، مطبعة الاتحاد التونسي للشغل، (تونس 1374هـ/ 1973م).

الضبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عمير (ت599هـ/ 1202م).
- بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، مطابع روخس، (مجريط: 1884م).

الطرطوشي، ابو بكر محمد بن الوليد (ت520هـ/ 1126م).
- الحوادث والبدع، تح: محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، (تونس: 1959م).
- سراج الملوك، ط1، المطبعة الازهرية، (مصر: 1319هـ).

ابن ظافر، علي(ت613هـ/ 1216م).
- بدائع البدائة، تح: ابو الفضل ابراهيم، طبع مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة 1390هـ/ 1970م).

ابن عبد البر القرطبي، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت463هـ/ 1070م).
- بهجة المجالس وانس المجالس وشحن الذهن والهاجس، تح: محمد مرسي الخولي، مراجعة: عبد القادر القط، دار الجليل للطباعة (د – م: د – ت).

ابن عبدون، محمد بن احمد.
- رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، (ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب) تح: أ.ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية، (القاهرة: 1955م).

ابن عبد ربه، شهاب الدين احمد (ت328هـ/ 1939م).

- العقد الفريد، تقديم: خليل شرف الدين، ط1، دار مكتبة الهلال، (بيروت: 1986م)

ابن عبد الرؤوف، احمد بن عبد الله

- رسالة في اداب الحسبة والمحتسب، (ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب) تح: أ. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للاثار الشرقية، (القاهرة: 1955م).

ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي (ت بعد 712هـ/ 1312م)

- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تح: أ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ج3، (بيروت: د -ت) وج4، تح: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت: 4967)، والقسم الخاص بالموحدين، نشر: اميروس هويسي موانده واخرون، دار كريماديس للطباعة (تطوان: 1966م)، (ونص جديد يتعلق بتأريخ الموحدين)، تح: عبد القادر زمامة، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، م20، (مدريد: 1979-1980م).

ابن العربي، ابو بكر محمد بن عبد الله (ت542هـ/ 1050م).

- احكام القران، تح: علي محمد البجاوي، ط2، دار احياء الكتب العربية، (د - م: 1977م).
- عارضة الاحوزي بشر صحيح الترمذي، دار الكتب العلمية (بيروت، د - ت).

ابن العباد الحنبلي، ابو فلاح عبد الحي (ت1089هـ/ 1987م)

- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: د - ت).

عماد الدين الاصفهاني، محمد بن محمد صفي الدين (ت1021هـ/ 1786م)

- فريدة القصر وجريدة العصر، (قسم شعراء المغرب والاندلس) تح: اذرتاشي آذرنوشي، تنقيح: محمد المرزوقي واخرون، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، (تونس: 1972م).

العمري، ابن فضل الله شهاب الدين احمد بن يحيى (ت749هـ/ 1348م)

- مسالك الابصار في ممالك الاعصار، اصدار: فؤاد سزكين واخرون، مطبعة شتراوس (المانيا الاتحادية: 1408هـ/ 1988م).

ابن عياض، ابو عبد الله محمد بن عياض بن موسى بن عياض (ت575هـ/ 1179م)

- التعريف بالقاضي عياض، تح: محمد بن شريفه، ط2، مطبعة فضالة المحمدية، (المغرب: 1982م).

عياض، ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون (ت544هـ/ 1149م)

- ترتيب الممالك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تح: احمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، (بيروت: 1967م).
- الغنية، (فهرست شيوع القاضي عياض)، تح: محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، (تونس: 1398هـ/ 1978م).

الغرناطي، محمد بن ايوب بن غالب (من علماء القرن 6هـ/ 12م)

- فرحة الانفس في تاريخ الاندلس، (نص اندلسي جديد)، تح: لطفي عبد البد مطبعة مصر، (د – م: 1956م).

الغزالي، ابو ماجد محمد بن محمد (ت505هـ/ 111م).

- احياء علوم الدين، تح: بدوي طبانه، دار احياء الكتاب العربي، (مصر: 1377هـ/ 1957م)

الفارابي، ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان (ت339هـ/ 950م)

- كتاب الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبه، مراجعة: محمود الحنفي دار احياء الكتاب العربي للطباعة والنشر (القاهرة: د – ت).

ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل (ت732هـ/ 1331م)

- المختصر في اخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية، (مصر: د – ت)

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد العظم (ت807هـ/ 1404م)

- تاريخ ابن الفرات، تحرير ونشر، حسن محمود الشماع، مطبعة حداد، (بصرة: 1386هـ / 1967م)

ابن فرحون، برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المدني المالكي (ت799هـ/ 1396م)

- الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، ط1، مطبعة السعادة، (القاهرة: 1329هـ)

ابن قزمان، ابو بكر بن عبد الملك (ت555هـ/ 1160م)

- ديوان ابن قزمان، المعهد الاسباني العربي للثقافة، (مدريد: 1980م).

ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي (من علماء القرن 7ه/ 13م)

- نظم الجمان، تح: محمود علي مكي، مطبعة المهدية، (المغرب: د – ت)

القلقشندي، احمد بن عبد الله (ت821هـ/ 1418م)

- صبح الاعشى في صناعة الانشا، نسخة مصورة عن المطبعة الاميرية، مطابع كوستا شوماس وشركاءه، (القاهرة: د – ت).

• مآثر الانافة في معالم الخلافه، تح: عبد الستار احمد فراج، (الكويت: 1964م).

القيرواني، ابن ابي زيد عبد الله بن عبد الرحمن (ت456هـ/ 1063م)

• رسالة القيرواني، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة: 1949م)

• العمده في محاسن الشعر وادابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط3، مطبعة السعادة، (مصر: 1383هـ/ 1964م)

الكتاني، ابو عبد الله محمد (ت420هـ/ 1029م)

• التشبيهات من اشعار اهل الاندلس، تح: احسان عباس، مطبعة سيما، (بيروت: 1966م).

• العقد المنظم للحكام فيما يجري بين ايديهم من العقود والاحكام، والموشح بكتاب تبصيره الحكام في اصول الاقضيه ومناهج الاحكام، المطبعة البهية، (القاهرة: 1302ه/ 1884م).

الكتبي، محمد بن شاكر (ت764هـ/ 1362م)

• فوات الوفيات، تح: احسان عباس، دار صادر، (بيروت: 1973 – 1974م).

ابن الكرديس، ابو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري (ت بعد 573هـ/ 1177م)

• الاكتفا في اخبار الخلفا، تح: احمد مختار العبادي، نشر تحت عنوان (تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط: نصان جديدان)، مطبعة معهد الدراسات الاسلاميه، (مدريد: 1971م).

ابن اللبانه، ابو بكر محمد بن عيسى اللخمي الداني (ت507هـ/ 1113م)

• شعر ابن اللبانه، تح: محمد مجيد السعيد، مطابع مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، (الموصل: 1397هـ/ 1977م).

ابن ماجه، ابو عبد الله بن زيد القزويني (ت273هـ/ 886م)

• سنن ابن ماجه، نشر: محمد مصطفى الاعظمي، ط2، شركة الطباعة العربية السعودية، (د – م: 1404هـ/ 1984م).

مجهول

• اخبار دول الطوائف بجزيرة الاندلس، (ذيل مشتمل على أوراق مبتورة ملحق بكتاب البيان لابن عذاري)، ج3، (بيروت: د – ت).

• التحفة البهية والطرفة الشهية، مطبعة الجوائب، (قسطنطينية: 1302هـ/ 1884م)

• الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، نشر وتصحيح: ي. سي. علوش، المطبعة الاقتصادية، (د – م: 1936م).

- مفاخر البربر، نشر وتصحيح، أ. ليفي بروفنسال، المطبعة الجديدة (رباط الفتح: 1352هـ/ 1934م).
- وصف جديد لقرطبة الاسلامية، تقديم: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، م13، (مدريد: 1965م).

المسعودي، ابو الحسن بن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/ 957)

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الاندلس للطباعة والنشر، (بيروت: 1966م).

المعتضد بن عباد، ابو عمرو عباد بن ابي القاسم (ت461هـ/ 1068م)

- ديوان المعتضد بن عباد، تح: محمد مجيد سعيد، مجلة الورد، دار الحرية للطباعة، م5 ع2، (بغداد: 1396هـ/ 1976م)

المعتمد بن عباد، ابو القاسم محمد بن عباد بن اسماعيل بن عباد (ت488هـ/ 1095م)

- ديوان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية، تح: احمد احمد بدوي وحامد عبد المجيد، اشراف ومراجعة: طه حسين، المطبعة الاميرية، (القاهرة: 1370هـ/ 1951م).

المراكشي، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي (ت703هـ/ 1303م).

- الذيل والتكملة للكتابي الموصول والصلة، تح: احسان عباس، دار الثقافة، سفر4 و5، (بيروت: 1965م)، و تح: محمد بن شريفه ، مطبعة دار الكتاب، سفر1، (بيروت د – ت).

المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي (ت647هـ/ 1249م)

- المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تح: محمد سعيد العربان، اشراف: محمد توفيق عويضه، مطبعة شركة الاعلانات الشرقية، (القاهرة: 1383هـ/ 1963م).

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ/ 1311م)

- لسان العرب، مطابع كوستانتسوماس وشركاءه، (القاهرة: د – ت)

المقدسي، محمد بن احمد (ت 380هـ/ 990م)

- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط2، (ابريل: 1909م).

المقري، شهاب الدين احمد بن محمد (ت1041هـ/ 1631م)

- أزهار الرياض في اخبار عياض، تح: مصطفى السقا واخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: 1358هـ/ 1939م)

- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، (بيروت: 1968م)، وطبعة اخرى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، (مصر: 1367هـ/ 1949م).

الناصري، ابو العباس احمد بن خالد (ت1315هـ/ 1897م)
- الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء: 1954م).

ابن نباته، المصري (ت768هـ/ 1366م)
- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون الهزلية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، (مصر: 1377هـ/ 1957م).

النباهي، ابو الحسن بن عبد الله بن الحسين المقالي الاندلسي (ت بعد 793هـ/ 1390م)
- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: د – ت).

النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/ 1332م)
- نهاية الارب في فنون الادب: تح: احمد كمال زكي، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، مطابع الهيئة المصرية العامة، ج23، (د – م: 1980م)، اما ج24، تح: حسين نصار، مراجعة: عبد العزيز الاهواني، (القاهرة: 1403هـ/ 1983م).

النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم (ت261هـ/ 874م)
- صحيح مسلم، تح: عبد الله احمد ابو زينة، (القاهرة: د – ت).

ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/ 1348م)
- تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية الجديدة، (النجف: 1389هـ/ 1969م).

الونشريسي، احمد بن يحيى (ت914هـ/ 1508م)
- اسنى المتاجر في بيان احكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجروها يترب عليه من العقوبات والزواجر، تح: حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، م5، ع1 – 2، (مدريد: 1377هـ/ 1957م)
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب، اخرجه: جماعة من الفقهاء، باشراف: محمد حجي، دار المغرب الاسلامي، (بيروت: 1401هـ/ 1981م).

الهمذاني، ابو بكر بن محمد (ت330هـ/ 941م)

- مختصر كتاب البلدان، (لبدن: 1885م).

ياقوت الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ/ 1225م)

- معجم الادباء، دار المأمون، (مصر: 1357هـ/ 1938م)

يحيى بن عمر، الاندلسي (ت289هـ/ 901م)

- (احكام السوق)، تح: محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية، م4، ع 1 – 2، (مدريد: 1956م).

المراجع

احمد، محمد شهاب

- الشعر السياسي الاندلسي في عصر ملوك الطوائف، رسالة ماجستير مكتوبة على الالة الطابعة قدمت لكلية الاداب، الجامعة المستنصرية (العراق: 1409هـ/ 1988م).

احمد، مظهر

- الاسلام ونهضة الاندلس، ط2، مطبعة الترقي، (دمشق 1383هـ/ 1963م)

ارنولد، سيرتوماس

- تراث الاسلام، تعريب: جرجيس فتح الله، ط2، دار الطليعة، (بيروت: 1972).

اشباخ، يوسف

- تاريخ الاندلس في عهد المرابطين الموحدين، تعريب: محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: 1360هـ/ 1940م)

ال طعمه، عدنان محمد

- موشحات ابن بقي الطليطلي وخصائصها الفنية، دار الحرية للطباعة (بغداد: 1399هـ/ 1979م).

الاوسي، حكمت

- (اللغة الاسبانية وقضايا القومية)، مستله من مجلة كلية الاداب، عدد/ 13، مطبعة المعرف (بغداد: 1970م)

الاهواني، احمد فؤاد

- (الفلسفة في الاندلس)، مجلة كلية الاداب، جامعة فؤاد الاول، م15، ج1، (الجيزة: 1953م).

الاهواني، عبد العزيز

- ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، دار الجبل للطباعة، (القاهرة: 1962م).
- الزجل في الاندلس، (القاهرة: 1957).

بشير، صحراوي

- العلاقات الثقافية والادبية بين المغرب والاندلس في عصر الموحدين، رسالة ماجستير كتبت على الاله الطابعة، قدمت لكلية الاداب: جامعة بغداد، (العراق: 1403هـ/ 1983م).

بالنثيا، انخل جنثالت

- تاريخ الفكر الاسلامي، تعريب: حسين مؤنس، مكتبة النهضة، القاهرة: 1955م).

بروفنسال، أ. ليفي

- مجموعة رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المومنيه، مطبوعات معهد العلوم العليا، (الرباط: 1941م).

بروكلمان، كارل

- تاريخ الشعوب الاسلامية، تعريب نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط4، دار الملايين،(بيروت: 1965م)

البستاني، بطرس

- محيط المحيط، مطابع مؤسسة جواد للطباعة،(بيروت: 1977م)

بو ملحم، علي

- المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ط1، دار الطليعة، (بيروت: 1980م)

بهجت، منجد مصطفى

- (الاعلام النساء مستلة من كتاب التكملة لاب الابار) مجلة المورد، م19، ع1، (بغداد: 1990م).
- (التعليم في الاندلس في القرن الخامس الهجري) مجلة كلية الاداب، جامعة الموصل، ع10، (العراق: 1979م).

حافظ، محمد محمود سامي

- تأريخ الموسيقى والغناء العربي، المطبعة الفنية الحديثة، (د – م: 1971م)

الحجي، عبد الرحمن علي

- التأريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، ط1، دار القلم، (بيروت: 1396هـ/ 1976م).
- تاريخ الموسيقى الاندلسية اصولها، تطورها، اثرها على الموسيقى الاوربية، ط1، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: 1389هـ/ 1969م).

الحجي، عبد الرحمن علي

- (القضاء ودراسته في الاندلس)، مجلة كلية الامام الاعظم، عدد/ 1 (بغداد 1392هـ/ 1972م).

حركات، ابراهيم

- (حياة المعتمد بن عباد في الاندلس كشاعر)، مجلة دعوة الحق، عدد/ 28، لسنة 8 (د – م: 1385هـ/ 1965م).

الحسن، احسان محمد والعطية، فوزية

- الطبقية الاجتماعية، مطابع جامعة الموصل، (العراق: 1988م)

حسن، حسن علي

- الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس – عصر المرابطين والموحدين، ط1، منشورات مكتبة الخانجي بمصر، (القاهرة: 1980م).

حسين، كريم عجيلي

- الحياة العلمية في مدينة بلنسية، ط1، مؤسسة الرسالة، (بيروت: 1396هـ/ 1976م).

حمادة، محمد باهر

- المكتبات في الاسلام، ط3، مؤسسة الرسالة، (بيروت: 1981م)

حمودة، علي محمد

- تاريخ الاندس السياسي والعمراني والاجتماعي، ط1، مطابع دار الكتب العربي، (مصر: 1976هـ/ 1946م).

خالص، صلاح

- اشبيليه في القرن الخامس الهجري، دراسة ادبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد في اشبيلية وتطور الحياة الادبية فيها (414 – 461هـ)، مطبعة سيما، (بيروت: 1965م)

خضر، حازم عبد الله

- وصف الحيوان في الشعر الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشؤون الثقافية العامة)، (بغداد: 1987م).

خلاف، محمد عبد الوهاب

- قرطبة الاسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي – الخامس الهجري، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية للنشر، (القاهرة: 1978م).

الدغلي، محمد سعيد

- الحياة الاجتماعية في الاندلس واثرها في الادب العربي وفي الادب الاندلسي، جامعة الكويت (د – م: د – ت).

الدقاق، عمر

- ملامح الشعر الاندلسي، دار الشرق (بيروت: د – ت)

دوزي – رينهارت

- المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب، تح: اكرم فاضل، دار الحرية للطباعة والنشر (بغداد: 1971م).

الدوري، تقي الدين عارف

- التاريخ الاندلسي عند ابن الاثير وابن خلكان دراسة ونصوص، مطبعة الرشاد، (بغداد:1410هـ/ 1990م).

الراشد، عبد الجليل عبد الرضا

- علاقات دول الطوائف في الاندلس بالمرابطين، رسالة دكتوراه كتبت على الالة الطابعة، قدمت لكلية الاداب، جامعة عين شمس (مصر: 1972م).

الركابي، جودت

- في الادب الاندلسي، ط3، دار المعارف بمصر، (مصر: 1960م)

ريبيرا، خوليان

- (المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية) تعريب: جمال محمد، مجلة معهد المخطوطات العربية، ق1 م5، ج1، (القاهرة: 1959م).

الربسوني، محمد المنتصر

- (الادب النسوي في الاندلس)، مجلة دعوة الحق، عدد ـ6، (د – م: 1387هـ/ 1967م).

ابو رملة، هشام

- علاقات الموحدين بالممالك النصرانية، الدول الاسلامية بالاندلس، ط1، مطابع الجمعية التعاونية، (الاردن: 1404هـ/ 1984م).

زاهد، عبد الهادي

- صلة الموشحات والازجال بشعر التروبادور، ط1، (مصر: 1977م).

زيدان، عبد الكريم

- احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام، ط2، (العراق: 1396هـ/ 1976م)

ابو زهرة، محمد

- ابن حزم حياته وعصره – اراؤه الفقهية، ط2، مطبعة احمد علي، (د – م: 1393هـ/ 1954م).

سالم، عبد العزيز

- تاريخ مدينة المرية قاعدة الاسطول الاندلسي، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت: 1969م).
- (تحقيق اسماء قصور بني عباد باشبيلية الواردة في شعر ابن زيدون)، مجلة اوراق، عدد 2 (مدريد: 1979م).
- (صور من المجتمع الاندلسي)، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، م19، (مدريد: 1976 – 1978م).
- قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ج2، (بيروت: 1972م).
- المساجد والقصور في الاندلس، مطبعة المعارف بمصر، (القاهرة: 1958م).

السامرائي، خليل ابراهيم

- علاقة المرابطين بالممالك الاسبانية بالاندلس وبالدول الاسلامية، وزارة الثقافة والاعلام، (العراق: 1985م).

السامرائي، خليل ابراهيم واخرون

- تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل: 1986م).

السعيد، محمد مجيد

- الشعر في عهد المربطين والموحدين بالاندلس، دا الرشيد للنشر، (العراق: 1985م).

شعيره، محمد عبد الهادي

- المرابطون تاريخهم السياسي (430هـ/ 539) ط1، دار الاتحاد العربي للطباعة، (القاهرة: 1969م).

الشكعة، مصطفى

- الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه، ط3، دار العلم للملايين، (بيروت: 1975م).

صالحية، محمد عيسى

- (من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكة)، حوليات كلية الاداب، جامعة الكويت، الرسالة 26، الحولية 6، (د – م: 1405هـ/ 1985م).

الصفار، ابتسام مرهون وفهد ، بدري محمد

- صور من الحضارة العربية (الاحذية والنعال) مطبعة النعمان، (النجف الاشرف: 1973م).

الصوفي، خالد

- تاريخ العرب في اسبانيا، ط1، دار الشرق، (حلب: د – ت)

طاروا، جان جبروم

- ازهار البستان في اخبار الاندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين، تعريب: احمد بلا فريج ومحمد الفاسي، المطبعة الوطنية، (الرباط/ 1349هـ).

الطود، عبد السلام

- بنوعباد باشبيلية، مطبعة كريماديس، (المغرب: 1365هـ/ 1946م).

طه، عبد الواحد ذنون

- (الدس الشعوبي في الاندلس وموقف العرب في مجابهته)، وقائع الندوة القومية لمواجهة الدس الشعوبب: (بغداد: 1410هـ/ 1989م)

العاملي، زينب بنت علي بن حسين بن عبد الله بن حسن

- الدار المنثور في طبقات ربات الخدور، ط1، المطبعة الكبرى الاميركية، ببولاق، (مصر: 1312هـ)

العبادي، احمد مختار عبد الفتاح

- الصقالبة في اسبانيا لمحة عن اصلهم منشأتهم وعلاقاتهم بالحركة الشعوبية، مطابع المعهد المصري للدراسات الاسلامية، (مدريد: 1373هـ/ 1953م).
- في تأريخ المغرب والاندلسي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية: (د- ت).

عباس، احسان

- تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط1، دار الثقافة، (بيروت: 1962م).

عباس، فائزه حمزه

- دور المرأة الاندلسية في الحياة العامه من الفتح حتى نهاية الخلافة الاموية، رسالة ماجستير كتبت على الالـه الطابعة، قدمت لكلية الاداب، جامعة الموصل، (العراق: 1410هـ/ 1989م).

عبد الحميد، محمد عمر

- اليهود في الاندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (مصر: 1970م)

عبد العظيم، علي

- ابن زيدون عصره وحياته وادبه، مطبعة الرسالة، (القاهرة: 1373هـ/ 1954م)

عبد القادر، علي

- (حول رسالة ابن عامر بن غرسيه)، وقائع الندوة القومية لمواجهة الشعوبية، (بغداد: 1410هـ/ 1989م).

العبيدي، صلاح حسين

- الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي الثاني، دار الرشيد للنشر، (العراق: 1980م).

عزام، عبد الوهاب

- المعتمد بن عباد، دار المعارف بمصر، (القاهرة: د - ت)

عفيفي، عبد الله

- المرأة العربية في جاهليتها واسلامها، ط1، مطبعة المعارف، (مصر: 1348هـ/ 1930م).

العكش، ابراهيم علي

- التربية والتعليم في الاندلس، ط1، دار الفيحاء، ودار عمان، الاردن: (1406هـ/ 1986م).

علام، عبد الله علي

- الدولة الموحدية بالمغرب والاندلس في عهد المؤمن بن علي، دار المعارف بمصر (القاهرة: 1971م).

علي، محمد كرد

- المرأة في الشعر الاندلسي عصر الطوائف من 400 - 484هـ، رسالة ماجستير كتبت على الاله الطابعة، قدمت لكلية الاداب، الجامعة المستنصرية، (العراق: 1406هـ/ 1986م).

العمروسي، فايد

- الجواري المغنيات، دار المعارف بمصر، (القاهرة: 1961م)

عنان، محمد عبد الله

- الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: 1381هـ/ 1961م).
- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: 1381هـ/ 1961م).
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ق1 و2، (القاهرة: 1383هـ/ 1964م).
- نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط2، (مصر: 1958م).

عيسى، محمد عبد المجيد

- التعليم في اسبانيا الاسلامية، رسالة دكتوراه كتبت على الالة الطابعة، قدمت لكلية الفلسفة والاداب، جامعة الاوتوما، (مدريد: 1979م).

فارمر، هنري جورج

- تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي، تعريب: جرجيس فتح الله المحامي، دار مكتبة الحياة، (بيروت: 1972م).

فلسطين، لويس

- (ثمالة المستعربين في اسبانيا) مجلة المورد، ع3 (العراق: 1393هـ/ 1973م).

فليح، رعد حسن

- الحياة الثقافية في قرطبة وعلاقتها بالمغرب العربي في القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير كتبت على الالة الطابعة، قدمت لكلية الاداب، جامعة بغداد، (العراق: 1404هـ/ 1984م).

فوزي، فاروق عمر

- التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، مؤسسة المطبوعات العربية، ط1، (بيروت: 1400هـ/ 1980م).

الكبيسي، خليل ابراهيم

- دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالاندلس في عصري الامارة والخلافة، رسالة دكتوراه كتبت على الالة الطابعة، قدمت لكلية الاداب، جامعة بغداد، (العراق: 1980م).

كحالة، عمر رضا

- دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية، المطبعة التعاونية، (دمشق: 1393هـ/ 1973م).

الكريم، مصطفى عوض

- الموشحات والازجال، مطابع المعارف، (مصر: 1965م).

كنون، عبد الله

- (يوسف بن تاشفين ملك الملثمين وصاحب دعوة المرابطين)، مجلة العربي، عدد/ 170، اصدار وزارة الاعلام، (الكويت: 1392هـ/ 1973م).

الكيلاني، ابراهيم

- الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، دار اليقضة للتأليف والترجمة والنشر، (دمشق: 1961م).

ماكيفر، وبيج، شارلز

- المجتمع، تعريب، فؤاد اسكندر ويوسف ميخائيل اسعد، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة: 1971م).

محمود، حسن احمد

- قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، (مصر: 1956م).

مرعشلي، نديم

- المعتمد بن عباد، مطبعة الجهاد، (د - م: د - ت)

المزي، محمد

- (نوري القبس بين طبرية والاندلس) بحوث عن الاندلس في تونس، جمعها: سليمان مصطفى واخرون، المعهد القومي للاثار والفنون، مركز الدراسات الاسبانية، (تونس: 1983م).

مطلق، البير حبيب

- الحركة اللغوية في الاندلس من الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف المكتبة المصرية، (بيروت: 1967م).

منصور، مصطفى كمال

- (الموشحات الاندلسية)، مجلة الداره، ع1، لسنة6، (الرياض: 1400هـ/ 1980م).

المنوني، محمد

- (تاريخ الموسيقى الاندلسية بالمغرب)، مجلة البحث العلمي، ع14 - 15، لسنه 6، (الرباط: 1389هـ/ 1969م).
- (ثقافة الصقالبة بالاندلس)، مجلة اوراق، اصدار: المعهد الاسباني العربي الثقافي، ع5 - 6، (د - م: 1982 - 1983م).
- العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين، المطبعة المهدية، (المغرب: 1369هـ/ 1950م).

مورينو، مانويل جوصت

- الفن الاسلامي في اسبانيا، تعريف: لطفي عبد البديع ومحمود عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية للكتاب، (د - م: 1977م).

الموصلي، سامي احمد

- دراسات اندلسية، ط1، مطبعة الزمان، (بغداد: 1970م)

مؤنس، حسين

- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، (مدريد: 1961م).
- فجر الاندلس، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، (القاهرة: 1959م)

موسى، عز الدين

- النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، (بيروت: 1403هـ/ 1983م).

ميراندا، امبروس وبيسي

- (واقعة اقليش ومصرع الامير شانجه)، مجلة تطوان، ع2، (تطوان: 1957م).

ولفنسون، اسرائيل

- موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د – م: 1355هـ/ 1935م).

هارون، عبد السلام

- نوادر المخطوطات، ط1، نكتبة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: 1373هـ/ 1953م).

الهرفي، سلامة محمد سلمان

- دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين – دراسة سياسية وحضارية – دار الندوة الجديد، (د – م: 1405هـ/ 1985م).

هلال، جودة وصبيح، محمد محمود

- قرطبة في التأريخ الاسلامي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة: 1962م).

هيكل، احمد

- الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة، ط5، دار المعارف بمصر (القاهرة:1970م).

المراجع الاجنبية

- **Barnard, H.Ashort History of English Education, London University Press, (London: 1958).**
- **Centers, R.The psychology of social classes, (New York: 1959).**
- **Cole G.W. studies in Class Stracture, (London: 1955).**
- **Eysenck, M. Uses and Abuses of Psychology, Apelican Book, Middlese X, (England: 1974).**
- **Johnson, M. Sociology, Asystematic Introduction Routlede and Kegan Paul, (London: 1961).**
- **Landis, J.R., Sociology, Concepts and Characteristics, (California: 1977).**
- **Ginsberg, M. Sociology, Oxford Unoversity press , (London: 1950).**
- **Wesolowski Wand K., Slomczynski, Investigation on class Structare and Social Stratification, (Warsaw: 1977).**

الفهرس

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

أ.د. مثنى فليفل سلمان الفضلي

تولد: 1963 – ديالى – بعقوبة

التحقت في مدرسة طارق بن زياد الابتدائية في مدينة بعقوبة- التحرير – عام (1969 – 1970) ومتوسطة موسى بن نصير عام (1976-1977) ثم في اعدادية بعقوبة المركزية اذ تخرجت منها عام (1980-1981) من الفرع الادبي بتسلسل الرابع على الفرع وبعدل.٪81 وعن طريق القبول المركزي التحقت بجامعة بغداد – كلية الاداب قسم التاريخ الذي تخرجت منه سنة 1984 بمعدل جيد جداَ .٪81 وبتسلسل الخامس على القسم... ثم اكملت دراسة الماجستير في جامعة بغداد -كلية الاداب -قسم التاريخ 1990 عن رسالتي الموسومة ((الحياة الاجتماعية في الاندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين)) بأشراف الدكتورة مليحة رحمها الله.

اما أطروحتي للدكتوراه والتي كانت بأشراف الدكتور خليل ابراهيم الكبيسي والتي حصلت على درجة جيد جداً في عام 1996 م من جامعة بغداد – كلية الاداب – قسم التاريخ وقد جاء عنوان الاطروحة ((الحياة الاجتماعية في الاندس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين))

أنضممت الى سلك التدريس في(4/ 8/ 2004) بجامعة ديالى – كلية التربية ثم انتقلت الى جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد عام 2006 منحت لقب استاذ مساعد في عام (5/ 8/ 2008) بتخصص التاريخ الاندلسي وقد درست المراحل البكلوريوس وكذلك الدراسات العليا في القسم.

وفي (22/ 5/ 2011) توليت منصب المعاون العلمي لكلية التربية – ابن رشد. وحصلت على لقب أستاذ في التاريخ الاندلسي في 29/ 8/ 2014 بعد نشر عدد من البحوث في مجال التخصص.

ولي عدة ابحاث منها:

1 - ملامح من سيرة الوزير محمد بن عبد الملك الزيات

2 - السيدة العلوية نفيسة المصرية

3 - الثروات الطبيعية في الأندلس واستخداماتها

4 - مكامِن ضُعفْ المسلمين في الأندلسِ (92-399) للهجرة

5 - الأساليب القتالية لجيش الدولة الموحدية

6 - المريّة حاضرة الأدب الأندلسي دراسة تاريخية

7 - ولادة بنت المستكفي دراسة تحليلية

8 - التنظيمات الإدارية للجيش الموحدي وصنوفه

9 - الخدمات العامة في مملكة غرناطة

وشاركث في العديد من المناقشات رسائل واطاريح جامعية في قسم التاريخ لكلية التربية ابن رشد وكذلك اشرفت على رسائل واطاريح بنفس القسم .

من منشورات



2013 – 2014م

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة النشر
1.	الأب القاتل رواية	غالب حسن الشابندر	2014
2.	الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لاعيان الأندلس في عهدي الامارة والخلافة	د. صباح خابط الحميداوي	2014
3.	أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي	علاء صادق الأعرجي	2014
4.	الاستبداد الرمزي	شاكر شاهين	2014
5.	أقنعة واساطير مقاربات نقدية في سوسيولوجيا الثقافة العراقية	ثامر عباس	2014
6.	البنى الاسلوبية في الشعر العراقي المعاصر مرحلة الستينات	د. أنسام محمد راشد	2014
7.	تحت سماء الشيطان	قيس حسن	2014
8.	التحقيق الاداري وضمانات تحقيق الدفاع دراسة مقارنة	أحمد طلال عبد الحميد البكري	2014
9.	التربية والتعليم في الواقع العراقي – تحديات استراتيجيات	سامي عبد الهادي المظفر	2014
10.	التشكيل البصري واشتغال الاضاءة الرقمية في العرض المسرحي	ضياء محمد تقي الامارة	2014
11.	توظيف الخيال الصوري الموجه للطفل	د.شذى العاملي	2014
12.	حينما ماء القلب - شعر	خزعل الماجدي	2014
13.	سيكولوجية الصورة في المسرح والسينما والتلفزيون	د. شذى العاملي – ضياء الامارة	2014
14.	صالح العابد ذاكرة التاريخ الحاضر	أ.د.محمود عبد الواحد محمود	2014
15.	قدرات الدماغ البشري الفائقة	محمد جاسم عيسى	2014
16.	لغة النقد الحديث في العراق من المقالية إلى النسقية	د.عارف الساعدي	2014
17.	الماء وتشظيات الجمر شعر صلاح عبد الصبور	د. أنسام محمد راشد	2014
18.	مراكش خلال عصر الموحدين	د.مشتاق المياح	2014
19.	المسرح العراقي رؤية تراجيدية في وطن متغير	د.عبد الرحمن بن زيدان	2014
20.	مسلية الغريب في كل أمر عجيب دراسة تحليلية عن رحلة الإمام البغدادي	د.باولو دانيال الياس فرح	2014
21.	نزيف – رواية	أميرة فيصل	2014
22.	نشوار القراءة الفلسفية - في الفلسفة اليونانية	محمد مبارك	2014
23.	نظرية المعنى عند الازهري في تهذيب اللغة	أ.د. لطيفة الضايفي	2014
24.	ابن الشارع – رواية	خضر فليح الزيدي	2013

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة النشر
.25	الاتجاه الفوضوي في فلسفة سارتر	عبد الحي أرزقان	2013
.26	الاحتباس الحراري	جمال الاسدي	2013
.27	الاخراج المسرحي	عدنان منشد	2013
.28	أزمة الإسلام - الحرب الأقدس والإرهاب المدنس - رؤية المحافظين الجُدد واليمين الأميركي للإسلام المعاصر	برنارد لويس – ترجمة: حازم مالك محسن	2013
.29	استعصاء الاصلاح في العقل العراقي	ثامر عباس	2013
.30	أسرة عمر نظمي دورها السياسي واتجاهاتها الفكرية في العراق المعاصر	حيدر علي طوبان	2013
.31	الاصنام والاوثان	كيلان خضير العزاوي	2013
.32	أعجاز القرآن في النبات والحيوان	حسام حميد الحديثي	2013
.33	الإعلام الإذاعي والتلفزيوني الدولي المفاهيم -الوسائل –المقاصد	أ . د . وسام فاضل راضي	2013
.34	الأعلم عند الشيعة دراسة في مؤسسة مرجعية التقليد	لندا س. والبرج - ترجمة: د. هناء خليف غني	2013
.35	الأعمال الشعرية الكاملة	فوزي الأتروشي	2013
.36	الألسنة العراقية	علي ثويني	2013
.37	ألف حكاية وحكاية للأطفال	د.شفيق مهدي	2013
.38	آلية انتاج الفكر	رأفت امير أسماعيل	2013
.39	إمضاءات وقائع مهرجان المتنبي التاسع	شعراء عراقيون	2013
.40	انتظام المعرفة اللغوية	مجموعة باحثين	2013
.41	انتهاكات متاخرة	عبد النبي شايع	2013
.42	انستانس الكرملي	كريم عبد الحسين الغراوي	2013
.43	أنطقة المحّرم المثقف وشبكة علاقات السلطة	سعد محمد رحيم	2013
.44	انطولوجيا المعرفة	مجموعة باحثين	2013
.45	أوبرا كادو الحداد – من الموروث الكردي	محمد علي الخفاجي	2013
.46	الباب الشرقي رواية الضحك بلا سبب	خضر فليح الزبيدي	2013
.47	بغداد تبوح بأسرارها	عباس عبود	2013
.48	بغداد والأمن وهموم أخرى	حسن البيضاني	2013
.49	بنسيانا شكسبير يمكن العثور عليه ثانية	بيتر بروك مع دينس بابيله وجورج بانو – ترجمة: د.محمد سيف	2013
.50	بياض قاتم - نصوص	مهدي علي ازبين	2013
.51	تأسيس بغداد	زهير هواري	2013
.52	التحضر في المجتمع العراقي	منى العينجي	2013
.53	التحول في اداء الممثل	كريم خنجر 2013	2013
.54	التحولات الأسلوبية في بنية النص المسرحي المعاصر	د.منتهى المهناوي	2013
.55	التشكيل الجمالي	عقيل مهدي	2013

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة النشر
.56	التطور الديمقراطي	جاسم الحلفي	2013
.57	تقويم العراق	رفاييل بطي	2013
.58	التيار الديمقراطي في العراق الواقع والافاق	جاسم الحلفي 2013	2013
.59	ثقافة الحرمان الجنسي	أحمد إبراهيم أحمد	2013
.60	جرأة اسئلة	عارف الساعدي	2013
.61	جماليات المكان في العرض المسرحي المعاصر	كريم رشيد	2013
.62	الجواهري بلسانه وقلمي	سليم البصون	2013
.63	حدث بين النهرين	عزيز الحاج	2013
.64	حفريات في الذاكرة العراقية	أ.د. أنعام السلمان	2013
.65	حكاية من بغداد	اثيل ديستيفانو	2013
.66	حلم ليلة غامضة – شعر	ليلى الخفاجي	2013
.67	الحياة في عطلتها – شعر	هنادي خليل	2013
.68	خريف الأميرات – شعر	أ.د.محمد ثامر السعدون	2013
.69	خصوصيات الاستعمار الجمهورية الفرنسية الثالثة	أ.د.يقظان سعدون العامر	2013
.70	الدراويش والمرايا	حمد الدوخي	2013
.71	الدكتور علي الوردي ودراسة المجتمعين العراقي والعربي	د.حميد الهاشمي	2013
.72	دليل خارطة بغداد	احمد سوسه	2013
.73	دوائر نقدية وجمالية	أ.د.عقيل مهدي يوسف 2013	2013
.74	دور الجواري والقَهْرَمَانات في دار الخلافة العبّاسية	سولاف فيض اللّه حسن	2013
.75	دون جوان الأزمنة عمر بن أبي ربيعة شاعر الحب والجمال	د. عبد المعطي الخفاف	2013
.76	الذات الجماليـة	أ.د. عقيل مهدي يوسف	2013
.77	ذاكرة الطين	زهير صاحب	2013
.78	رجل في حقيبة - شعر	محمد الذهبي	2013
.79	رحلة الباخرة الى شمال العراق	جيمس فليكس	2013
.80	رواية سيده القمر	محمد ثامر	2013
.81	زوجة الظل – رواية	جون تولي – ترجمة: مها محمد حسن	2013
.82	زوجة الظل – رواية	جون تولي – ترجمة: مها محمد حسن	2013
.83	سوسيولوجيا تاريخ العراق المعاصر	د. ثناء محمد صالح	2013
.84	سيد أسود باذنجان وقائع حياة الأخرس في كتاب الحصار	خضير فليح الزبيدي	2013
.85	سيميولوجيا المُمثّل - المُمثّل بوصفه علامة وحامل للعلامات	أحمد شرجي	2013
.86	شارع الرشيد	سالم الالوسي	2013
.87	شذرات من العامي	حسين الاعرجي	2013

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة النشر
.88	شوارد – شعر شعبي	رحيم العراقي	2013
.89	شواطئ أخرى لمحمود درويش	د.سهير أبو جلود	2013
.90	الصحائف البغدادية	فؤاد طه	2013
.91	صرخة في فراغ مزدحم	عبد النبي الشايع	2013
.92	صور ملونة لشاعر – شعر	علي عبد الزهرة	2013
.93	ضباب ليس أبيض – شعر	غرام الربيعي 2013	2013
.94	طرق المواصلات	أ.د. جميل موسى النجار	2013
.95	الطين والحجر	حميد الشمري	2013
.96	ظاهرة الغربة والحنين في الشعر العربي	د. صبح الجابر	2013
.97	العراق صور فوتوغرافية	علي ابو الطحين	2013
.98	العقلانية والتنوير في الفكر العربي المعاصر قراءة في مشروع ناصيف نصار	زروخي الشريف	2013
.99	علم التاريخ	أ.د. جميل موسى النجار	2013
.100	علم الفرائض المواريث بين الاختلاف المذهبي والتطبيق	المحامي طارق عزيز جبار العزي	2013
.101	العهد العارفي في العراق 1963-1968	د.علياء محمد حسين الزبيدي	2013
.102	عين السمك - رواية	صالح عبد المهدي العبودي	2013
.103	فائق حســـن	قاسم محسن	2013
.104	فلسفة التاريخ	جميل النجار	2013
.105	فن الاوبريت	أ.د.حسين علي هارف – كريم الرسام	2013
.106	فن المكياج	سيرج سترنكوفسكي –تر: أ.د.سامي عبد الحميد	2013
.107	فيصل ملك العراق	مستر هرسكل	2013
.108	قاعدة العقد شريعة المتعاقدين في مجال العقود الإدارية	أحمد طلال عبد الحميد البكري	2013
.109	كارت أحمر – مقالات ساخرة	مي أبي جلود	2013
.110	كرسي العازف - شعر	قاسم السعودي	2013
.111	الكرسي وتجلياته	جمال الاسدي	2013
.112	كيف نتسلق سفوح البحار – شعر	عبد النبي الشايع	2013
.113	لطائف 2012	طارق حرب	2013
.114	لعبة الظل والضوء دراسة في مسرح خيال الظل والمسرح الأسود	أ.د.حسين علي هارف – زينب عبد الأمير أحمد	2013
.115	لغة النقد الحديث في العراق مقاربات في نقد النقد	عارف الساعدي	2013
.116	للمعاناة وجه نبيل - قصص	الكساندر هوميمن – تر: مي أبو جلود	2013
.117	ليل علي بابا الحزين – رواية	عبد الخالق الركابي	2013
.118	المأساة والرواية	عبد الواحد بن ياسر	2013

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة النشر
.119	مأوى الثعبان – رواية	حميد المختار	2013
.120	مبدعات من العراق	مجموعة باحثين	2013
.121	محمد صالح مكية	علي ثويني	2013
.122	مدخل إلى المنطق	د.فيصل غازي مجهول	2013
.123	مدرسة الحوليات الفرنسية وتجديد كتابة التاريخ	أ.د.محمود عبد الواحد محمود	2013
.124	مدونات الضميرأنا	سعدون محسن ضمد	2013
.125	مراقد البصرة لها قصص وحكايات	وليد محمد	2013
.126	مرقد الإمام حمزة الشرقي	زينب عبد الله هلال	2013
.127	مسارات المعرفة اللغوية	مجموعة باحثين	2013
.128	المسرح العربي من الاستعارة إلى التقليد طبعة مزيدة	أحمد شرجي	2013
.129	المسرحيات الرسالية : الموعود- وليد الكعبة – النبأ العظيم	منير راضي العبودي	2013
.130	مدرسة الحوليات الفرنسية وتجديد كتابة التاريخ	أ.د.محمود عبد الواحد محمود	2013
.131	مظفر النواب يفتح الأبواب – نصوص مسرحية	عباس لطيف	2013
.132	معايير الاداء التربوي	خالد كاظم	2013
.133	المعبث – قصص قصيرة	علي عبد الرحمن الحديثي	2013
.134	المعدان	وارد بدر السالم	2013
.135	مقامات اسماعيل الذبيح	عبد الخالق الركابي	2013
.136	من المسرح الشعبي الى المسرح الشامل	أ.د.سامي عبد الحميد	2013
.137	من ثمرات القراءة ج2	جمال الاسدي	2013
.138	من مراد إلى مراد	غرتروو لوثيان بل –ترجمة:عبد الهادي فنجان الساعدي	2013
.139	موسوعة الأضرحة والمزارات	مازن لطيف	2013
.140	الموقف النقدي من الشعر المهجري	د. سهير صالح أبو جلود	2013
.141	موناد الخطاب ودرية الوظيفة دراسة إجرائية في أنظمة النقد الحديث	د. حمزة الخفاجي	2013
.142	نشوار تعليقات على وقائع 2011 الدستورية والقانونية والثقافية العراقية	طارق حرب	2013
.143	نصوص بغدادية نادرة	طارق الحمداني	2013
.144	النظام القانوني لخدمة موظفي الخدمة الجامعية	سري حارث الشادي	2013
.145	نقد للنقد الأدبي عبر مراحل التاريخ العربي	طالب الحركاني	2013
.146	نهايات مابعد الحداثة أرهاصات عهد جديد	أماني أبو رحمة	2013
.147	يهود العراق موسوعة شاملة لتاريخ يهود العراق طبعة3	مازن لطيف	2013
.148	استعادة ماركس	سعد محمد رحيم	2012
.149	أصول النقد والتحليل في الكتابة التاريخية (مجموعة مقالات)	أ.د. مرتضى حسن النقيب	2012

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة النشر
150.	أوراق سيدة الشجر – شعر	عبد الزهرة علي	2012
151.	أيها الناس بايوس منهج حضارة السعادة BI OS رؤية المفكر ادريس طه حسن	أعداد:د.صالح السراي	2012
152.	البايولوجي الجزيئي	أ.د.عباس عبد الله الجنابي	2012
153.	البحث اللساني	حيدر جبر	2012
154.	بنت الأكراد	عباس كربول حسين	2012
155.	بين الإيمان والإلحاد رحلة لم تنته - دراسة نقدية وتحليلية في كتاب الشخصية المحمدية للشاعر العراقي معروف الرصافي	أ.د.أحمد ناجي الغريري	2012
156.	التحولات الدستورية في العراق (صفحات من تاريخ التطور الدستوري والسياسي في العراق)	مارينا سبَرونفا -ترجمة : الدكتورفالح الحُمراني	2012
157.	تراتيل بحضرة السدة انطولوجيا الشعر في واسط	شعراء واسطيون	2012
158.	ترانيم الروح أحاديـث المفكر إدريس طه حسن	د. كامل عبدالحسن - د.صالح السراي	2012
159.	التطور الوزاري في العراق من عهد الوزير أبي سلمة الخلال الوزير العباسي الأول حتى وزارة 2011م	طارق حرب	2012
160.	جدل الاستقلال الفلسفي في الفكر العربي المعاصر	طالب محمد كريم	2012
161.	جمهوريه الجواهري ومسرحيات أخرى	د عقيل مهدي	2012
162.	جورج واشنطن مؤسس الولايات المتحدة الأمريكية	عباس علوان الشويلي	2012
163.	حقائق ..ولكن!	إعداد وترجمة: صلاح عبد الكريم	2012
164.	حين يبتسم الضفدع نصوص سردية	مهدي علي اِربيّن	2012
165.	خارج دائرة الضوء	عبد النبي شايع	2012
166.	الدعاية والاعلام	جمال الأسدي	2012
167.	دوائر الهذيان - شعر	عبد النبي الشايع	2012
168.	دورالمجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق (1908-1932)	أ.د.عبد الرزاق أحمد النصيري	2012
169.	ديوان ست النساء	منار القيسي	2012
170.	ذاكرة الخلود – ديوان المراثي	سبتي الهيتي	2012
171.	سلالم التيه نص سردي	مهدي علي اِربيّن	2012
172.	سماء الأصوات (شعر)	محمد مدحت حسن	2012
173.	سنا الأصوات في تلاوة الآيات	إبراهيم السالم	2012
174.	سينما الواقع - دراسة تحليلية في السينما الوثائقية	كاظم مرشد السلوم	2012
175.	صحابة وتابعين نزلوا البصرة واثروا فيها	وليد شريدة جاسم	2012
176.	الطاغية والطغيان في تاريخ العراق القديم والحديث	شامل عبد القادر	2012
177.	الطائر والنخلة	ريسان الخزعلي	2012
178.	العالم بين حربيين من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب الباردة 1914-1991	أ.د موسى محمد آل طويرش	2012
179.	عبد الوهاب البياتي وعي العصر والبنية الشعرية الحديثة	محمد مبارك	2012
180.	عذريات الأعرابي الأسمر – شعر	أنيس عطا	2012